معارج القبول
[ط 1، 1410-1990- دار ابن القيم – الدمام – تحقيق عمر أبو عمر – نسخة مكتبة العقائد والملل – دار التراث]

ترجمة الشيخ العلامة حافظ الحكمي رحمه الله
لمحة تعريفية بالعلامة الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي رحمه الله تعالى
اسمه و نسبه و مولده
هو الشيخ الفاضل والعلامة الجليل المحدث الحافظ فريد عصره وعلامة زمانه في كافة العلوم الشرعية وكل وسائلها أصولا وفروعا حافظ ابن احمد علي الحكمي نسبة إلى قبيلة الحكمية الشهيرة في المخلاف السليماني
يتصل نسبه بسعد العشيرة وهو سعد بن مالك بن ادد بن كهلان جد من العرب القحطانية بنوة عدة بطون منهم الحكم الذي تنتمي اليه قبيلة الحكامية والحكمي نسبة الى الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج أشهر قبيلة عرفت من شعب كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
مولده ونشـــــــــــــأته
ولد في 24 رمضان 1342هـ بقرية السلام الواقعة جنوب شرقي مدينة جازان ؛ احدى قرى الحكميين التابعه لمدينة المضايا الواقعه في جنوب مدينة جازان وانتقلت اسرته الى قرية الجاضع التابعه لمدينة صامطة التي تبعد عنها مسافة ستة كيلو مترات تقريبا من الناحية الشرقية وكان الشيخ احد افراد تلك الاسرة الطيبة المباركة
طـلبه للعلم
نشأ مبارك العمر حافظ بن احمد كغيره من ابناء المنطقة غير انه بدا من سن الصغر المبكرة يتطلع الى حياة العز في الدارين حياة القيادة في الخير والبر والصلاح فحقق الله ما تطلعت اليه نفسه وعزم عليه وتمناه فلقد بدأ في طلبه للعلم بخير العلوم واساسها القرآن الكريم فاهتم به اهتماما بالغا تلاوة وحفظا فاجاد تلاوته وحفظ بعض سوره بالاضافه الى حفظ بعض المتون في مختلف الفنون وكان قد اوتي سرعة في الحفظ وتمكنا في الفهم وجودة في الخط بالقلم وذكاء خارقاً امتاز به عن أقرانه آنذاك تلك المحاولة الشريفة والبداية اللطيفة كانت كالتمهيد والتوطئة للدخول في باب طلب العلم الشريف بصورة جادة ومنتظمة بعد أن كان يشتغل برعي غنيمات لوالديه الكريمين اللذين كانا خير قدوة له مما جعله يتميز عن جميع افراد مجتمعه وسبحان الله الذي يعلم حيث يجعل فضله ويودع خيره وبره واحسانه استمر الشيخ حافظ- اسكنه الله فسيح جناته-على تلك الحاله العجيبة من رعي الغنم وحمل المصحف وبعض المتون وبر الوالدين حتى قدم من بلاد نجد الى منطقة الجنوب الامام المجدد العالم العامل الداعية الى الله على علم وبصيرة الفذ التقي السخي نبيل الخلق عالي الهمه حسن النيه سلفي العقيدة الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي الذي اختار نشر العلم بعد طلبه غايه له ومنهجاً وجعل الدعوةالى الله بالحكمه والموعظة الحسنه له سبيلاً مراده منها رضا الله وجنه عرضها كعرض السماءوالارض قدم هذا الداعيه المجاهد والناس في

منطقتنا احوج ما يكونون اليه وكان اتجاهه الى هذه المنطقه بفضل من الله ثم بمشورة ذلك العالم الجليل الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ علينا وعليهم رحمه الله واول موعظة قام بها الشيخ القرعاوي في المسجد الجامع في مدينهجازان وفي عام 1359هـ شاء الله ان يلتقي هذا الداعية المخلص بعالمنا وتحبب اليه ورغبه في صحبته لطلب العلم الشرعي لما رأى فيه من الذكاء وصراحة القول وحسن السمت والأدب والثبات على تحصيل العلم الذي يحتاج الى تلك الاخلاق الفاضله الزكيه ففرح الشيخ حافظ بذلك العرض الا انه شرط موافقه الوالدين على ذلك فاتجه الشيخ عبدالله القرعاوي بالعرض على الوالد بلطف وحكمه وترغيب ولكن لشدة حاجة الوالدين الى ابنهما لم يسمحا له بالذهاب عنهما الى صامطه كما طلب شيخه ذلك ورغب فيه غير انه كان يتعاهده بالدروس والتوجيه والترغيب المستمر في علوم الشريعة والتوسع فيها ليصبح ذا شأن عظيم ينتفع بالعلم وينفع به سواه

جهوده العلمية والعمليه

لما حل عام (1360 هـ) توفيت والدة الشيخ حافظ وفي نفس العام توفي والده رحم الله الجميع برحمته التي كتبها لاوليائه وفي هذا العام تفرغ الشيخ حافظ لمواصله السير الحثيث في طلب العلم الذي تذوق حلاوته وحث عليه فيما بعد في ميميته بقوله :

يا طالب العلم لا تبغي به بدلا فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
وقدس العلم واعرف قدر حرمته في القول والفعل والآداب فالتزم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم

حقا لقد كان الشيخ حافظ ذا نهم في تحصيل العلم فخص بجل اوقاته علوم القران والحديث ووسائلها التي قال فيها :

ما العلم الا كتاب الله أو أثر يجلو بنوره هداه كل منبهم
ما ثم علم سوى الوحي المبين وما منه استمد ألا طوبى لمغتنم

كانت ملازمة هذا الطالب النبيه الذي صار بحق اعجوبه زمانه بتفوقه على الكبار من اقرانه لشيخه عبد الله الداعيه المحتسب والمعلم البصيرلا نظير له في الاستمراريه المتعاقبة في جلساتها كتعاقب الليل والنهار وتتابع المطر السح المدرار مما جعل تلك الشجرة الطيبة تفوق جميع الاشجار في إيتاء ثمارها المرغوبة الشهية في أقصر وقت و أغلاه في ميدان السباق في كسب العلم الشريف ونشره بين محتاجيه ومحبيه فما هي الا سنوات قليله حتى ظهر واشتهر هذا العلم بعلمه ولمع في سماء المجد الاصيل ضياؤه واصبح وامسى حديثا حسنا في المجالس والمنتديات والناس من حوله بين داع له بالزيادة في العلم والفقه في الدين والتوفيق لكل مايرضى الله رب العالمين وبين ذي غبطه متناهية يتمنى ظاهرا وباطنا ان ينال من العلم والمكارم مثله كي ينفع الناس ويحشر في زمرة العلماء

الربانيين وبين مادح له ومثن عليه بما هو فيه غير مبالغ في الثناء عليه وكان الشيخ حافظ لا يرغب ان يسمع مدح من يمدحه وما ذلك الا لعظم مخافته من ربه ومدى خشيته له واستحيائه منه.

له مؤلفات كثيرة منه معارج القبول وهو كتاب قيم في العقيدة و 200 سؤال وجواب في العقيدة وغيرها الكثير
وفي عام 1362هـ طلب منه شيخه عبد الله القرعاوي، أن ينظم منظومة في التوحيد، بعد أن قرأ كتب العقيدة السلفية وأتقنها، فنظم منظومته المسماة بـ [سلم الوصول إلى علم الأصول] ولم يتجاوز سنه حينذاك العشرين، فأعجب بها العلماء المعاصرون له، ومنهم الشيخ العلامة مفتي الديار السعودية حينذاك الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فأمر بطبعها فطبعت.
ثم أسند إليه شيخه عبد الله القرعاوي تدريس أقرانه وزملائه، وغيرهم من المستجدين.
وفي عام (1363هـ) جعله الشيخ عبد الله القرعاوي مديراً المدرسة سامطة، وملاحظاً لمدرسة الجرادية.
وفي عام (1373هـ) افتتحت وزارة المعارف مدرسة ثانوية بجازان، فعين مديراً لها في ذلك العام.
وفي عام (1374هـ) أسس المعهد العلمي بسامطة، فاختير الشيخ حافظ لإدارته والإشراف على التعليم فيه.

وفاته رحمه الله

توفي الشيخ حافظ رحمه الله بمكة المكرمة السبت 18- 12 - 1377هـ إثر مرض ألمَّ به ودفن فيها، وله (35) سنة.

ومـؤلفاته

للشيخ رحمه الله مؤلفات كثيرة ؛ منها :
1- سلم الوصول إلى علم الأصول. في توحيد الله واتِّباع الرسول صلى الله عليه وسلم.
2- معارج القبول. بشرح سلم الوصول.
3- أعلام السنة المنشورة. لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة.
4- الجوهرة الفريدة. في تحقيق العقيدة .
5- دليل أرباب الفلاح. لتحقيق فن الاصطلاح.
6- اللؤلؤ المكنون. في أصول الأسانيد والمتون.
7- السبل السوية. لفقه السنن المروية.
8- وسيلة الحصول. إلى مهمات الأصول في أصول الفقة في (640) بيتا طبعت أول طبعة بمكة عام (1373هـ).

[أرقام الصفحات في أعلى النص]

ج 1/ص 27
سلم الوصل إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول صلى الله عليه و سلم
بسم الله الرحمن الرحيم أبدأ باسم الله مستعينا
راض به مدبر معينا والحمد لله كما هدانا

إلى سبيل الحق واجتنانا
أحمد سبحانه وأشكره
ومن مساوي عملي أستغفره
وأستعينه على نيل الرضا
وأستمد لطفه في ما قضى
وبعد إني باليقين أشهد
شهادة الإخلاص أن لا يعبد
بالحق مألوه سوى الرحمن
من جل عن عيب وعن نقصان
وأن خير خلقه محمدا
من جاءنا بالبينات والهدى
ج 1/ص 28
رسوله إلى جميع الخلق
بالنور والهدى ودين الحق
صلى عليه ربنا ومجدا
والآل والصحب دواما سرمدا
وبعد هذا النظم في الأصول
لمن أراد منهج الرسول
سألنى إياه من لا بد لي
من امتثال سؤله الممتثل
فقلت مع عجزي ومع إشفاقي
معتمدا على القدير الباقي

مقدمة تعرف العبد بما خلق له و بأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم و بما هو صائر إليه إعلم بأن الله جل و علا لم يترك الخلق سدى وهملا
بل خلق الخلق ليعبدوه
وبالإلهية يفردوه
أخراج فيما قد مضى من ظهر
آدم ذريته كالذر
وأخذ العهد عليهم أنه
لا رب معبود بحق غيره
وبعد هذا رسله قد ارسلا
لهم وبالحق الكتاب أنزلا
لكي بذا العهد يذكروهم
وينذروهم ويبشروهم
كي لا يكون حجة للناس بل
لله أعلى حجة عز وجل

فمن يصدقهم بلا شقاق
فقد وفى بذلك الميثاق

وذاك ناج من عذاب النار وذلك الوارث عقبى الدار

ج 1/ص 30
فمنهم الشقي والسعيد
وذا مقرب وذا طريد
لحكمه بالغة قضاءها
يستوجب الحمد على اقتضاها
وهو الذي يرى دبيب الذر
في الظلمات فوق صم الصخر
وسامع للجهر والإخفات
بسمعه الواسع للأصوات
وعمله بما بدا وما خفي
أحاط علما بالجلي والخفي
وهو الغني بذاته سبحانه
جل ثناؤه تعالى شأنه
وكل شىء رزقه عليه
وكلنا مفتقر إليه
كلم موسى عبده تكليما
ولم يزل بخلقه عليما
كلامه جل عن الإحصاء
والحصر والنفاذ والفناء
لو صار أقلاما جميع الشجر
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر
والخلق تكتبه بكل آن
فنت وليس القول منه فان
والقول في كتابه المفصل
بأنه كلامه المنزل
على رسول المصطفى خير الورى
ليس بمخلوق ولا بمفترى
يحفظ بالقلب وباللسان
يتلى كما يسمع الأذان
كذا بالأبصار إليه ينظر
وبالأيادي خطة يسطر
وكل ذي مخلوقة حقيقه
دون كلام باريء الخليقه
جلت صفات ربنا الرحمن

عن وصفها بالخلق والحدثان
فالصوت والألحان صوت القاري
لكنما المتلو قول الباري
ما قاله لا يقبل التبديلا
كلا ولا أصدق منه قيلا
وقد روى الثقات عن خير الملا
بأنه عز وجل وعلا
في ثلث الليل الأخير ينزل
يقول هل من تائب فيقبل

ج 1/ص 31
هل من مسيء طالب للمغفرة يجد كريما قلبلا للمعذره

يمن بالخيرات والفضائل ويستر العيب ويعطي السائل

وأنه يجيء يوم الفصل كما يشاء للقضاء العدل

وانه يرى بلا إنكار في جنة الفردوس بالأبصار

كل يراه رؤية العيان كما أتى في محكم القرآن

وفي حديث سيد الأنام من غير ما شك ولا إبهام

رؤية حق ليس يمترونها كالشمس صحوا لا سحاب دونها

وخص بالرؤية أولياؤه فضيلة وحجبوا أعداؤه

وكل ما له من الصفات أثبتها في محكم الآيات

أو صح فيما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول

نمرها صريحة كما أتت مع اعتقادنا لما له اقتضت

من غير تحريف ولا تعطيل وغير تمييف ولا تمثيل

بل قولنا قول أئمة الهدى طوبى لمن بهديهم قد اهتدى

وسم ذا النوع من التوحيد توحيد إثبات بلا ترديد

قد أفصح الوحي المبين عنه فالتمس الهدى المنير منه

لا تتبع أقوال كل مارد غاو مضل مارق معاند

فليس بعد رد ذا التبيان مثقال ذرة من الايمان
فصل

في بيان النوع الثاني من التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد وانه هو معنى لا إله إلا الله
هذا وثاني نوعي التوحيد إفراد رب العرش عن نديد
أن تعبد الله إلها واحدا
معترفا بحقه لا جاحدا
ج 1/ص 32
وهو الذي به الإله أرسلا رسله يدعون اليه أولا

وأنزل الكتاب والتبيانا من أجله وفرق الفرقانا

وكلف الله الرسول المجتبى قتال من عنه تولى وأبى
حتى يكون الدين خالصا له
سرا وجهرا دقة وجله
وهكذا امته قد كلفوا
بذا وفي نص الكتاب وصفوا
وقد حوته لفظة الشهاده
فهي سبيل الفوز والسعاده
من قالها معتقدا معناها
وكان عاملا بمقتضاها
في القول والفعل ومات مؤمنا
يبعث يوم الحشر ناج آمنا
فإن معناها الذي عليه
دلت يقينا وهدت إليه
أن ليس بالحق إله يعبد
إلا الإله الواحد المنفرد
بالخلق والرزق وبالتدبير
جل عن الشريك والنظير
وبشروط سبعة قد قيدت
وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها
بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول

والانقياد فادر ما اقول
والصدق والإخلاص والمحبه
وفقك الله لما احبه فصل

في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها
وان من صرف منها شيئا لغير الله فقد اشرك
ثم العبادة هي اسم جامع
لكل ما يرضى الإله السامع
ج 1/ص 33
وفي الحديث مخها الدعاء
خوف توكل كذا الرجاء
ورغبة ورهبة خشوع
وخشية إنابة خضوع
والاستعاذة والاستعانه
كذا استغاثة به سبحانه
والذبح والنذر وغير ذلك
فافهم هديت أوضح المسالك
وصرف بعضها لغير الله
شرك وذاك اقبح المناهي

فصل

في بيان ضد التوحيد وهو الشرك
وانه ينقسم الى قسمين أصغر واكبر وبيان كل منهما والشرك نوعان فشرك اكبر
به خلود النار إذ مسويا مضاهي
يقصده عند نزول الضر
لجلب خير أو لدفع الشر
أو عند اي غرض لا يقدر
عليه الا المالك المقتدر
مع جعله لذلك المدعو
او المعظم أو المرجو
في الغيب سلطانا به يطلع
على ضمير من اليه يفزع
والثان شرك اصغر وهو الريا
فسره به ختام الانبيا
ومنه إقسام بغير الباري
كما أتى في محكم الاخبار

فصل

في بيان أمور يفعلهاالعامة
منها ما هو شرك ومنها ما هو قريب منه
وبيان حكم الرقي والتمائم ومن يثق بودعة او ناب
او حلقة أو أعين الذئاب

ج 1/ص 34
أو خيط أو عضو من النسور
أو وتر أو تربة القبور
لأي أمر كائن تعلقه
وكله الله الى ما علقه
ثم الرقى من حمة أو عين
فإن تكن من خالص الوحيين
فذاك من هدى النبي وشرعته
وذاك لا اختلاف في سنيته
أما الرقى المجهولة المعاني
فذاك وسواس من الشيطان وفيه قد جاء الحديث أنه
شرك بلا مريه فاحذرنه
إذا كل من يقوله لا يدري لعله يكون محض الكفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس
على العوام لبسوه فالتبس
فحذرا ثم حذار منه
لا تعرف الحق وتنای عنه
وفي التمائم المعلقات إن تك آيات مبينات

فالاختلاف واقع بين السلف فبعضهم أجازها والبعض كف

وإن تكن مما سوى الوحيين فإنها شرك بغير مين

بل إنها قسيمة الأزلام في البعد عن سيما أولى الإسلام
فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أوحجر أو بقعة أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك
المكان عيدا وبيان أن الزيارة تنقسمم إلى سينة وبدعية وشركية
هذا ومن أعمال أهل الشرك
من غير ما تردد أو شك
ج 1/ص 35
ما يقصد الجهال من تعظيم ما

لم يأذن الله بأن يعظما
كمن يلذ ببقعة أو حجر
أو قبر ميت أو ببعض الشجر
متخذا لذلك المكان
عيدا كفعل عابدي الأوثان
ثم الزيارة على أقسام
ثلاثة يا أمة الإسلام
فإن نوى الزائر فيما أضمره
في نفسه تذكرة بالأخره
ثم الدعا له وللأموات
بالعفو والصفح عن الزلات
ولم يكن شد الرحال نحوها
ولم يقل هجر كقول السفها
فتلك سنة أتت صريحه
في السنن المثبة الصحيحه
أو قصد الدعاء والتوسلا
بهم إلى الرحمن جل وعلا
فبدعة محدثة ضلاله
بعيدة عن هدي ذي الرسالة
وإن دعا المقبور نفسه فقد
أشرك بالله العظيم وحجد
لن يقبل الله تعالى منه
صرفا ولا عدلا فيعفو عنه
إذ كل ذنب موشك الغفران
إلا اتخاذ الند للرحمن

فصل

في بيان ما وقع فيه العامة اليوم ما يفعلون عند القبور وما يرتكبون من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات ومن على القبر سراجا أوقد
أو ابتنى على الضريح مسجدا
ج 1/ص 36
فإنه مجدد جهارا
لسنن اليهود والنصارى
كم حذر المختار عن ذا ولعن
فاعله كما روى أهل السنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبر
وأن يزاد فيه فوق الشبر
وكل قبر مشرف فقد أمر

بأن يسوى هكذا صح الخبر
وحذر الأمة عن إطرائه
فغرهم إبليس باسجرائه
فخالفوه جهرة وأرتكبوا
ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا
فانظر إليهم قد غلوا وزادوا
ورفعوا بناءها وشادوا بالشيد والآجر والأحجار
لا سيما في هذه الأعصار
وللقناديل عليها أوقدوا
وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلام والريات
وافتتنوا بالأعظم الرفات

بل نحروا في سواحها النحائر فعل أولي التسييب والبحائر

والتمسوا الحاجات من موتاهم واتخذوا إلههم هواهم

قد صادهم إبليس في فخاخه بل بعضهم قد صار من أفراخه

يدعوا إلى عبادة الأوثان بالمال والنفس وباللسان

فليت شعري من أباح ذلك وأورط الأمة في المهالك

فيا شديد الطول والإنعام إليك نشكو محنة الأسلام
ج 1/ص 37
فصل
في بيان حقيقة السحر وحد الساحر وأن منه علم التنجم وذكر عقوبة من صدق كاهنا والسحر حق وله تأثير
لكن بما قدره القدير
أعني بذا التقدير ما قد قدره
في الكون لا في الشرعة المطهره
واحكم على الساحر بالتكفير
وحده القتل بلا نكير
كما أتى في السنة المصرحه
مما رواه الترمذي وصححه
عن جندب وهكذا في أثر أمر بقتلهم روى عن عمر

وصح عن حفصة عند مالك ما فيه أقوى مرشد للسالك

هذا ومن أنواعه وشعبه علم النجوم فادر هذا وانتبه

وحلة بالوحي نصا يشرع أما بسحر مثله فيمنع
ومن يصدق كاهنا فقد كفر
بما أتي به الرسول العتبر فصل

يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاثة مراتب
الأسلام والإيمان والإحسان وبيان أركان كل منها
اعلم بأن الدين قول وعمل
فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل
ج 1/ص 38
كفاك ما قد قاله الرسول
إذا جاءه يسأله جبريل على مراتب ثلاث فصلة
جاءت على جمعية مشتملة الأسلام والإيمان والأحسان
والكل مبني على اركان
فقد أتى الأسلام مبنى على
خمس فحقق ودار ما قد نقلا
اولها الركن الأساس الأعظم
وهو الصراط المستقيم الأقوم ركن الشهادتين فاثبت واعتصم
بالعروة الوثقى التي لا تنقصم
وثانيا إقامة الصلاة
وثالثا تأدية الزكاة
والرابع الصيام فاسمع واتبع
والخامس الحج على من يستطع
فتلك خمسة وللايمان
ستة أركان بلا نكران
إيماننا بالله ذي الجلال
وما له من صفة الكمال
وبالملائكة الكرام البررة
وكتبه المنزلة المطهره
ورسله الهداة للانام
من غير تفريق ولا إيهام
أولهم نوح بلا شك كما
ان محمد لهم قد ختما
وخمسة منهم أولوا العزم الألى
في سورة الأحزاب والشورى تلا
وبالميعاد أيقن بلا تردد
ولا ادعا علم بوقت الموعد

لكننا نؤمن من غير امترا
بكل ما قد صح عن خير الورى
من ذكر آيات تكون قبلها
وهي علامات وأشراط لها
ويدخل الإيمان بالموت وما
من بعده على العباد حتما
وأن كلا مقعد مسؤول
ما الرب ما الدين وما الرسول
ج 1/ص 39
وعند ذا يثبت المهيمن
بثابت القول الذين آمنوا
ويوقن المرتاب عند ذلك بأن ما مورده المهالك

وباللقاء والبعث والنشور وبقيامنا من القبور غرلا حفاة كجراد منتشر
يقول ذو الكفران ذا يوم عسر
ويجمع الخلق ليوم الفصل جميعهم علويهم والسفلي

في موقف يجل فيه الخطب ويعظم الهول به والكرب

وأحضروا للعرض والحساب وانقطعت علائق الأنساب

وارتكمت سجائب الأهوال وانعجم البليغ في المقال

وعنت الوجوه للقيوم واقتض من ذي الظلم للمظلوم وساوت الملوك للاجناد
وجىء بالكتاب والاشهاد
وشهدت الأعضاء والجوارح وبدت السوءات والفضائح

وابتلت هنالك السرائر وانكشف المخفى في الضمائر

ونشرت صحائف الاعمال تؤخذ باليمين والشمال طوبي لمن يأخذ باليمين
كتابه بشرى بحول عين
والويل للآخذ بالشمال
وراء ظهر للجحيم صالي
والوزن بالقسط فلا ظلم ولا
يؤخذ عبد بسوى ما عملا
فبين ناج راجع ميزانه
ومقرف أوبقه عدوانه
وينصب الجسر بلا امتراء
كما أتى في محكم الأنباء

يجوزه الناس على أحوال
بقدر كسبهم من الأعمال
ج 1/ص 40
فبين مجتاز إلى الجنان
ومسرف يكب في النيران
والنار والجنة حق وهما
موجودتان لا فناء لهما
وحوض خير الخلق حق وبه
يشرب في الاخرى جميع حزبه
كذا له لواء حمد ينشر
وتحته الرسل جميعا تحشر
كذا له الشفاعة العظمى كما
قد خصه الله بها تكرما
من بعد إذن الله لا كما يرى
كل قبوري على الله افترى
يشفع أولا إلى الرحمن في

فصل القضاء بين اهل الموقف
من بعد أن يطلبها الناس إلى
كل أولى العزم الهداة الفضلا
وثانيا يشفع في استفتاح
دار النعيم لأولي الفلاح
هذا وهاتان الشفاعتان
قد خصتا به بلا نكران
وثالثا يشفع في أقوام
ماتوا على دين الهدى الإسلام
وأبقتهم كثرة الآثام
فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان
بفضل رب العرض ذي الإحسان
وبعده يشفع كل مرسل
وكل عبد ذي صلاح وولي
ويخرج الله من النيران
جميع من مات على الإيمان
في نهر الحياة يطرحونا
فحما فيحيون ويبنتونا
كأنما ينبت في هيئاته
حب حميل السيل في حافاته
والسادس الإيمان بالأقدار

فأيقنن بها ولا تمار
فكل شيء بقضاء وقدر
والكل في أم الكتاب مستطر
لا نؤ لا عدوى لا طير ولا
عما قضى الله تعالى حولا
لا غول لا هامة لا ولا صفر
كما بذا أخبر سيدة البشر
ج 1/ص 41
وثالث مرتبة الإحسان
وتلك أعلاها لدى الرحمن
وهو رسوخ القلب في العرفان
حتى يكون الغيب كالعيان

فصل

كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحله وأنه تحت المشيئة وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر
إيماننا يزيد بالطاعات
ونقصه يكون بالزلات
وأهله فيه على تفاضل
هل أنت كالأملاك أو كالرسل
والفاسق الملي ذو العصيان
لم ينفت عنه مطلق الإيمان
لكن بقدر الفسق والمعاصي
إيمانه ما زال في انتقاص
ولا نقول إنه في النار
مخلد بل أمره للباري
تحت مشيئة الإله النافذه
إن شا عفا عنه وإن شا آخذه
بقدر ذنبه والى الجنان
إن مات على الإيمان
والعرض تيسير الحساب في النبا
ومن يناقش الحساب عذبا
ولا نكفر بالمعاصي مؤمنا
إلا مع استحلاله لما جنى
وتقبل التوبة قبل الغرغره
كما أتي في الشرعة المطهره
أما متى تغلق عن تغلق عن طالبها
فبطلوع الشمس من مغربها

فصل

في معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة وإكمال الله لنا الدين وأنه خاتم النبين وسيد ولد آدم أجمعين وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب نبينا محمد من هاشم
إلى الذبيح دون شك ينتمي
أرسله الله إلينا مرشدا
ورحمة للعالمين وهدى
مولده بمكة المطهره
هجرته لطيبة المنور
بعد أربعين بدأ الوحي به
ثم دعا إلى سبيل ربه
عشر سنين أيها الناس اعبدوا ربا تعالى شأنه ووحدوا

وكان قبل ذلك في غار حرا يخلو بذكر ربه عن الورى

بعد خمسين من الأعوام مضت لعمر سيد الأنام

أسرى به الله إليه في الظلم وفرض الخمس عليه وحتم

وبعد أعوام ثلاثة مضت من بعد معراج النبي وانقضت

أوذن بالهجرة نحو يثربا مع كل مسلم له قد صحبا

وبعدها كلف بالقتال لشيعة الكفران والضلال

حتى أتوا للدين منقادينا ودخلوا في السلم مذعينا

وبعد أن قد بلغ الرساله واستنقذ الخلق من الجهالة

وأكمل الله به الإسلاما وقام دين الحق واستقاما

قبضه الله العلى الأعلى سبحانه إلى الرفيق الأعلى

نشهد بالحق بلا ارتياب بأنه المرسل بالكتاب

وأنه بلغ ما قد أرسلا

به وكل ما إليه أنزلا
وكل من من بعده قد ادعى
نبوة فكاذب فيما ادعى
فهو ختام الرسل باتفاق
وأفضل الخلق على الإطلاق

فصل

فيمن هو أفضلا الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر الصحابة بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم وبعد الخليفة الشفيق
نعم نقيب الامة الصديق
ذاك رفيق المصطفى في الغار
شيخ المهاجرين والانصار
وهو الذي بنفسه تولى
جهاد من عن الهدى تولى
ثانيه في الفضل بلا ارتياب
الصادع الناطق بالصواب
أعني بهه الشهم أبا حفص عمر
من ظاهر الدين القويم ونصر
الصارم المنكي على الكفار
وموسع الفتوح في الأمصار
ثالثهم عثمان ذو النورين
ذو الحلم والحيا بغير مين
بحر العلوم جامع القرآن
منه استحت ملائك الرحمن
بايع عنه سيد الأكوان
بكفه في بيعة الرضوان
والرابع ابن عم خير الرسل
أغنى الإمام الحق ذات القدر العلي
مبيد كل خارجي مارق
وكل خب رافضي فاسق
من كان للرسول في مكان
هارون من موسى بلا نكران
لا في نبوة فقد قدمت ما
يكفي لمن من سوء ظن سلما

ج 1/ص 44
فالستة المكملون العشره
وسائر الصحب الكرام البرره

وأهل بيت المصطفى الأطهار
وتابعوه السادة الأخيار
فكلهم في محكم القرآن
أثنى عليهم خالق الأكوان
في الفتح والحديد والقتال
وغيرها بأكمل الخصال
كذاك في التوراة والأنجيل
صفاتهم معلومة التفصيل
وذكرهم في سنة المختار
قد سار سير الشمس في الأقطار
ثم السكوت واجب عما جرى
بينهم من فعل ما قد قدرا
فكلهم مجتهد مثاب
وخطؤهم يغفره الوهاب

خاتمة

في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الأختلاف إليهما فما خالفهما
فهو رد شرط قبول السعى أن يجتمعا
فيه إصابة وإخلاص معا
لله رب العرش لا سواه
موافق الشراع الذي ارتضاه
وكل ما خالف للوحيين
فإنه رد بغير مين
وكل ما فيه الخلاف نصبا فرده إليهما قد وجبا

فالدين إنما أتى بالنقل ليس بالأوهام وحدس العقل

ثم إلى هنا قد انتهيت وتما ما بجمعه عنيت
سميته بسلم الوصول
إلى سما مباحث الأصول
ج 1/ص 45
والحمد لله على انتهائي كما حمدت الله في ابتدائي

أسأله مغفرة الذنوب جميعها والستر للعيوب

ثم الصلاة والسلام ابدا تغشى الرسول المصطفى محمدا

ثم جميع صحبه والآل السادة الأئمة الأبدال

تدوم سرمدا بلا نفاذ ما جرت الأقلام بالمداد

ثم الدعا وصية القراء جميعهم من غير ما استثناء

أبياتها يسر بعد الجمل تأريخها الغفران فافهم فانهم وادع لي

ج 1/ص 47
بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة المصنف

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي ممن الذل وما كان معه مت إله الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير عالم الغيب والشهادة الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها كيف لا وهو الذي خلق وقدر ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير رحمن الدنيا و الآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين الذي وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الآرض بعد موتها إن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال ألا له الخلق الامر تبارك الله رب العالمين لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين له ملك السموات و الأرض وما بينهما
ج 1/ص 48
وإليه المصير القدوس الذي اتصف بصفات الكمال وتقدس عن كل نقص ومحال وتعالى عن الأشباه والأمثال حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير المؤمن الذي آمن أولياءه من

خزي الدنيا ووقاهم في الآخره عذاب الهاوية وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية إنه بعباده لخبير بصير العزيز الذي لا مغالب له ولا مرام لجنابه الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به المتكبر الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه العظمة إزاره والكبرياء رداؤه فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والإرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير ما خلقكم وما بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة القهار الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره الوهاب الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله الغزير يرزق كل ذي قوت قوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرا متقنا محكما يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر مسلم أموالا وأولادا وأهلا وخدما ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته قضى ذلك قضاء حتما مبرما وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير الفتاح الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم يفتح على هذا مالا وعلى هذا ملكا وعلى هذا علما وحكمة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماض وآت ظاهر وكامن ومتحرك

وساكن وجليل حقير علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره ولا بحر إلا ويدري ما في قعره وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير القابض الباسط فيقبض عمن يشاءء رزقه فيقدره عليه ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم كل ذلك إليه إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير الخافض الرافع الضار النافع المعطي المانع فلا رافع لمن خفض ولا خافض لمن رفعه ولا نافع لمن ضر ولا ضار لمن نفعه ولا مانع لما أعطى ولا معطي لمن هو مانع فلو أجتمع أهل السموات السبع والأرض والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في

استطاعتهم بواقع وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير المعز المذل الذي أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة فما لمن والاه وأعزه من مذل وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الودحى القائل لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى فمن نفي عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبا وقد خاب من افتري لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولا وفعلا إن ربي على صراط مستقيم فلا يحيف في حكمه ولا يجور وما ربك بظلام للعبيد الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما ووعد الظالمين الوعيد الأكيد وفي الحديث إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا بل يحصي عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقمطير اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفوا ورحمة وفضلا وإحسانا ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلا وإجمالا وسرا وإعلانا الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وآفعالهم ماذا عملوا وكيف عملوا وأين عملوا ومتي عملوا حقيقة وكيفة ومكانا وزمانا إنها إن تك مثقال حبة من خرول فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير الحليم فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء وذل لعزته وكبريائه كل كبير الغفور الشكور الذي يغفر الكثير من الزلل ويقبل اليسير من صالح العمل فيضاعفه أضعافا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل وكل هذا لأهل التوحيد أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير العلي الذي ثبت له كل معاني العو علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائنا من جميع المخلوقات كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في أصح الروايات وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير الكبير الذي كل شيئ دونه والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصا بينا محكما الحفيظ على كل شئ فلا يعزب عنه مثقال درة في الأرض ولا في السماء الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما حفظ أولياءه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير المغيث لجميع مخلوقاته فما استغاثه

ملهوف إلا نجاه الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه ومن يتوكل على الله فهو حسبه فنعم المولى ونعم النصير الجليل الذي جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال الجميل الذي

له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال الكريم الذي لو أن إول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألة ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالأحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير الرقيب على عباده بأعمالهم العليم بأقوالهم وأفعالهم الكفيل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم المجيب لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير الواسع الذي وسع كل شئ علما ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرما وحلما يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الحكيم في خلقه وتدبيره إحكاما وإتقانا والحكيم في شرعه وقدره عدلا وإحسانا وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ومن أكبر من الله شهادة وآوضح دليلا وأقوم برهانا فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل فله الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الودود الذي يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان وفي أي وقت من الأوقات فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو الستير المجيد الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد الشهيد الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدا أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير القوي المتين الذي لم

ج 1/ص 52

يقم لقوله شيئ وهو الشديد المحال الولي للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه وإذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال الحميد الذي ثبت له جميع أنواع المحامد وهل يثبت الحمد إلا لذي العزة والجلال فله الحمد كما يقول وخيرا مما نقول لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وكيف يحصي العبد الضعيف ثناء على العلي الكبير المحصي الذي أحصى كل شيئ عددا وهو القائل وكل شيء أحصيناه في إمام مبين يس 21 المبدئ المعيد الذي قال وهو أصدق القائلين كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين الأبياء 401 وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه الروم 72 وأنى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئا كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير المحيي المميت الذي انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنا وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام الحي الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال تعالي كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام الرحمن 072 القيوم الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ومن آياته إن تقوم السماء والأرض بأمره فلا يحتاج إلى شيئ إليه فقير الواحد الأحد الذي لا شريك له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه

وجلاله لا ضد له ولا ند ولا شبيه ولا كفؤ ولا عديل الصمد الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب فإليه منتهى الطلبات ومنه يسأل قضاء الحاجات وهو الذي لا تعتريه الآفات وهو حسبنا ونعم الوكيل فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في صفات الكمال ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل القادر المقتدر الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه على كل شيئ قدير المقدم المؤخر بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة على وفق ما قدره وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا

ج 1/ص 53

تغيير الأول فليس قبله شيئ والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيئ والباطن فليس دونه شيء هكذا فسره البشير النذير الوالي فلا منازع له ولا مضاد المتعالي عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد البر وصفا وفعلا ومن بره المن على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسله أنه لا يخلف الميعاد التواب الذي يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير المنتقم الذي لم يقم لغضبه شيء وهو الشديد العقاب والبطش والأنتقام العفو بمنه وكرمه عن الذنوب والآثام الرؤوف بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام فقال تعالي يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير التحريم 8 مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ذي الجلال والإكرام والعزة والبقاء والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء المقسط الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير الجامع لشتات الأمور وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد الغني المغني فلا يحتاج إلى شيئ ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه معصية العاصين من العباد وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى بهم عن بابه طرفة عين وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم مستعيذا به أعوذ بنور وجهك الذي

ج 1/ص 54

أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله فبصفات ربنا تعالى نؤمن ولكتابه وسنة رسوله نحكم وبحكمهما نرضى ونسلم وإن أبي الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فصلت 04 الهادي الذي بيده الهداية والإضلال فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا الكهف 71 من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الأنعام 93 قل إن هدى الله هو الهدى البقرة 021 ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير لقمان 02 البديع الذي أبدع السموات والارض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير الرشيد في كل أقواله وآفعاله فبالرشاد يإمر عباده وإليه يهديهم الصبور الذي لا أحد آصبر منه على أذي سمعه ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم يعافيهم ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ولا ضره فيضروه وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم ووبال عصيانهم عليهم واستغني الله والله غني حميد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير أحمده تعالى على جزيل إنعامه وإفضاله وآشكره على جليل إحسانه ونواله وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله وله الحمد على

عدله قدرا وشرعا وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير وآشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق العلي الكبير تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير وتقدس في أحديته وصمديته عن الصاحبة والولد والوالد والولي والنصير وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفؤ والنظير وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين والمشير وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيوميته عن المطعم والمجير وآشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله البشير النذير المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدي المنير بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين وأنزل عليه كتابه المهمين والنور المبين والهدي المستبين والمنهج المستنير والشرك مضطرمة ناره طائر شراره مرتفع غباره لا مغير له ولا نكير فقام بتبليغ الرسالة حق القيام وجاهد في الله حق جهاده إعلاء لكلمة الله الملك العلام حتى جاء الحق ورهق الباطل وأدبر ليل الكفر والضلالة وانفجر الإيمان والإسلام ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وآشرقت أنواره ونكست راية الشرك انكسرت شوكته وخمدت ناره ورمى بناؤه بالدمدمة والتكسير والتدمير صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه شموس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم وتابعيهم والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان

ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم الحشر 01 وعلى من اقتفي أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم وجعلنا من المقتدين بهم المهتدين بهديهم المتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهما نسير أما بعد فاعلموا رحمكم الله أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة
ج 1/ص 56
والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلي حسب ذلك تقسم الأنوار ومن لم يجعل الله له وصفاته وتوحيده بذلك ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل والتشبيه والتشبه واجتناب ذلك والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها فإن الله تعالى أنزل كتابه تبيانا لكل شيئ وتفصيل كل شيئ وقال ما فرطنا في الكتاب من شيء الأنعام 53 وقال ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الفرقان 33 وأرسل رسوله بذلك الكتاب مبلغا ومبينا ليقرأه على الناس علي مكث ويبينه لهم أتم البيان ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ويديهم به إلي صراط مستقيم فقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء النحل 98 وقال تعالى ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون النحل 46 وقال تعالى وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون النحل 44 وقال تعالي وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون النحل 46 وقال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم المائدة 51 612 ولا شفاء للقلوب والآرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والاستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم الأنفال 02 42 الآيات
ج 1/ص 57
وقال تعالى إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون 63 ولم ينج الله تعالى من عذابه ولم يكتب رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله

كما قال تعالى عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون الأعراف 651 751
وقد كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة كما قال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون الأعراف 851 وقال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون سبأ 82 ولم يتوفه الله تعالى حتى أكمل له الدين وبلغ البلاغ المبين وبين للناس ما نزل إليهم أوضح البيين وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك وما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علما وهدى الله به اذين آمنوا لم االختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كما قال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم البقرة 312 قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وكذلك هي في قراءة عبد الله وأبي بن
ج 1/ص 58
كعب وهذا التفسير مروي عن قتادة ومجاهد أيضا وقوله وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم أي من بعد ما قامت الحجج عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض وقوله تعالى فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فنحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه وهدانا لله فالناس لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى رواه عبد الرزاق وهو في الصحيح من طرق بألفاظ وعن عبد الرحمن بن زيد بن إسلم عن أبيه في قوله تعالى فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد فهدى الله امة محمد ليوم الجمعة واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى الشرق واليهود بيت المقدس وهدى الله تعالى أمة محمد للقبلة واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدى الله تعالى أمة محمد للحق من ذلك واختلفوا في إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى نصرانيا وجعله الله حنيفا مسلما

فهدي الله أمة محمد إلى الحق من ذلك واختلفوا في عيسي عليه الصلاة والسلام فكذبت به اليهود وقالوا لأمة بهتانا عظيما وجعلته النصارى إلها وولدا وجعله الله تعالى روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم
ج 1/ص 59
إلى الحق من ذلك وقال الربيع بن أنس في قوله عز وجل فهدى الله الذين أمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه أي عند الآختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الأختلاف أقاموا علي الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الأختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون وأن رسلهم قد بلغوهم وأنهم كذبوا رسلهم وفي قراءة أبي بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وكان أبو العالية رحمه الله تعالى يقول في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام يصلي من الليل قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا في يختلفون إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وفي الدعاء المأثور اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماما
اختلاف الفرق الإسلامية

واعلم أنه كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة أنهم اختلفوا اختلافا شديدا شديا وافترقوا افتراقا بعيدا وفي ذلك أعظم واعظ وأكبر زاجر عن الأختلاف والتفرق
ج 1/ص 60
ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك عليه بل زجرنا عن الأختلاف زجرا شديدا وتوعد على ذلك وعيدا أكيدا فقال تعالي ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه آل عمران 501 601 قال ابن عباس رضي الله عنهما تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدع والإختلاف ثم فصل تعالى مآل الفريقين وأين توصل أهلها كل من الطريقين فقال تعالى فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون آل عمران 601 501
وحذرنا عن ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال صلى الله عليه وسلم ألا وإن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الجماعة وفي بعض الروايات هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وآصحابي وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسول صلى

الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق من الأفتراق وتفاقم الأمر وعظم الشقاق فاشتد الاختلاف ونجمت البدع والنفاق
ج 1/ص 61
فافترقوا في إسماء الله تعالى وصفاته إلى نفاة معطلة وغلاة ممثلة وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة وفي باب أفعال الله وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية نفاة وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة ألى غير ذلك من فرق الضلال وطوائف البدع والانتحال وك لطائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فرقا وتشعبت طرقا وكل فرقة تكفر صاحبتها وتزعم أنها هي الفرقة الناجية المنصورة
الفرق الناجية المنصورة

وقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه وليس أحد من هؤلاء كذلك بل إنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلا من طريق سننه المروية وآثاره المصطفوية التي هي الشريعة الغراء والمحجة البيضاء وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها وإنما تصلح هده الصفة لحملتها وحفاظها ونقادها المنقادين لها المتمسكين بها الذابين عنها يقفون عندها ويسيرون بسيرها لا ينحرفون عنها يمينا ولا شمالا ولا يقدمون عليها لأحد مقالا ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم ولا يضرهم ذلك حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة وجيش دولتها المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها وفقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فآمنوا بما أخبر الله به من كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في سنته وتلقوه بالقبول والتسليم إثباتا بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيها بلا تحريف ولا تعطيل فهم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية وفي باب
ج 1/ص 62
وعيدالله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج فهم والله أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة وآقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة فانتدبوا لنصرة الدين دعوة وجهادا وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى ولم يخشوا في الله لومة لائم ولم يبالوا بعداوة من عادى فقهروا البدع المضلة وشردوا بأهلها واجتثوا شجرة الألحاد بمعاول السنة من أصلها فبهتوهم

بالبراهين القطعية في المحافل العديدة وصنفوا في رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة فمنهم المتقصي للرد على الطوائف بأسرها ومنهم المخلص لعقائد السلف الصالح من غيرها ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين إلا ويقيض الله لها جيشا من عباده المخلصين فحفظ الله بهم دينه على العباد وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد وذلك مصداق وعد الله عز وجل بحفظه الذكر الذي أنزله كما قال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الحجر 9 وإعلاء لكلمته وتأييدا لحزبه إذ يقول وإن جندنا لهم الغالبون الصافات 371

سبب نظم المتن وتأليف الشرح

وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبين أن أنظم مختصرا يسهل حفظه على الطالبين ويقرب مناله للراغبين يفصح عن عقيدة السلف الصالح ويبين فأجبته الى ذلك مستعينا بالله راجيا الثواب من الله قائلالا حول ولا قوة إلا بالله وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه علي ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو

ج 1/ص 63

أقبح المحظور وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور فيسر الله تعالى ذلك بمنه وإفضاله وأعانني وله الحمد والمنة على إكماله وسميته سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول فلما انتشر بأيدي الطلاب وعظمت فيه رغبة الأحباب سئل مني أن أعلق تعليقا لطيفا يحل مشكله ويفصل مجمله مقتصرا على ذكر الدليل ومدلوله من كلام الله تعالى وكلام رسوله فاستخرت الله تعالى بعلمه واستقدرته بقدرته فعن لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول مستمدا من الله تعالى الإعانة على نيل السول وسميته معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول والله أسأل أن يعين على إكماله بمنه وفضله وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله وان يهدينا الصراط المستقيم ويجعلنا من انصار التوحيد واهله انه سميع قريب مجيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ج 1/ص 65
بسم الله الرحمن الرحيم

شرح مقدمة المنظومة أبدآ باسم الله مستعينا
راض به مدبرا معينا

اأبدآ في جميع حركاتي وسكناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كله ومنه هذا التصنيف باسم الله متبركا ومستعينا به أو إياه بالباء وبدونه أي طالبا منه العون على فعل طاعته وترك معصيته كما قال تعالى معلما لنا في فاتحة الكتاب إياك نعبد وإياك نستعين الفاتحة 5 وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا سألت فاسأل الله وإذا أستعنت فاستعن بالله وهو خطاب شامل لجميع الأمة وفي ضمن ذلك الامر الواقع في جواب الشرط نهى لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدر الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تطلب الإعانة منه على فعل غيره والعاقل يفهم ذلك بادئ بد
ج 1/ص 66
خلاصة القول في تفسير البسملة

والكلام على تفسير البسملة مستوفى في كتب المفسرين ولنذكر خلاصة ذلك فنقول الباء أداة تخفض ما بعدها ومعناها في البسملة الاستعانة وتطويلها في القرآن تعظيما لكتاب الله عز وجل وإسقاط الألف من الإسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل على السقوط ولذلك لما كتبت الألف في اقرأ باسم ربك الذي خلق العلق 1 ردت الباء إلى هيئتها والإسم هو المسمى وعينه وذاته فإنك تقول يا الله يا رحمن يا رحيم فتدعوه بأسمائه التي سمى بها نفسه كما قال تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها الأعراف 081 وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى الإسراء 011 ولو كانت أسماء الله غيره لكان الداعي بها مشركا إذ دعا مع الله غيره ولكانت مخلوقة إذ كل ما سوى الله مخلوق وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء الله تعالى وصفاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وسيأتي بسط القول في ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على الأسماء الله علم على ذاته تبارك وتعالى وكل الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى ولله الأسماء الحسنى الإسراء 011 وقال تعالى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى طه 8 ألا ترى أنك تقول الرحمن من اسماء الله تعالى والرحيم من اسماء الله ونحو ذلك الله من اسماء الرحمن وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين إسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة واختلفوا في كونه مشتقا أو لا ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى

عدم اشتقاقه لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء
ج 1/ص 67
على الألف واللام وقال آخرون إنه مشتق واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال آقواها أنه مشتق من أله يأله إلاهة فأصل الإسم الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبا فقيل الله ومن أقوى الأدله عليه قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الأرض الأنعام 3 مع قوله عز وجل وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله الزخرف 48 ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له ومعني أله يأله إلهة عبد يعبد عبادة فالله المألوه أي المعبود ولهذا الإسم خصائص لا يحصيها إلا الله عز وجل وقيل إنه هو الإسم الأعظم
الرحمن الرحيم إسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم فالرحمن يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى طه 5 والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما الأحزاب 74 ذكره ابن جرير بسنده عن العزرمي بمعناه وفي الدعاء المأثور رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما
ج 1/ص 68
والظاهر المفهوم من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة واسمه الرحيم يدل الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة الى المرحوم فلهذا قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما إنه بهم رؤف رحيم التوبة 711 ولم يأت قط إنه بهم رحمن ووصف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه رءوف رحيم فقال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم التوبة 821 ولم يصف قط أحدا من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك والله أعلم
راض خبر لمبتدأ محذوف تقديره وأنا راض به أي بالله عز وجل مدبرا حال من الضمير المجرور أي بتدبيره لي في جميع شؤوني فإن أزمة الأمور بيده وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدر ما لا نقدر وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما الطلاق 12 ومعينا لي على جميع أموري الدينية والدنيوية فإني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ولا علم لي إلا ما علمنيه فلا أعبد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجأ ولا ملجأ منه إلا إليه
القول في حمد الله وشكره والاستعانة به والحمد لله كما هدانا
إلي سبيل الحق واجتبانا

أي و وأثنى بحمده فأقول الحمد لله كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال الحمد لله رب العالمين وأمر بذلك عباده فقال تعالى مخاطبا لنبيه خطابا يدخل فيه جميع أمته قل الحمد لله النمل 95 فله الحمد كالذي يقول وخيرا مما نقول سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه فله الحمد على أسمائه

الحسنى وصفاته العلى وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة وله الحمد في الأولى والآخرة وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال صلى الله عليه وسلم أما إن ربك يحب
ج 1/ص 69
الحمد رواه أحمد والنسائي وعن الحكم بن عمير رضي الله عنه وكانت له صحبة قال قال رسول الله اذا قلت الحمد لله فقد شكرت الله فزادك رواه ابن جرير وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى ليعني من هدايته للحمد أفضل مما أخذ رواه ابن ماجه وللقرطبي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك قال القرطبي وغيره أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا
ج 1/ص 70
الكهف 64 وقال علي رضي الله عنه الحمد لله كلمة أحبها الله تعالى لنفسه و رضيها لنفسه وأحب أن تقال وقال ابن عباس رضي الله عنهما الحمد لله كلمة الشكر وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي وقال رضي الله عنه الحمد لله كلمة كل شاكر وقال رضي الله عنه الحمد لله هو الشكر لله هو استخذاء له والإقرار له بنعمته وهدايته و ابتدائه وغير ذلك وقال الضحاك الحمد لله رداء الرحمن وقال كعب الأحبار الحمد لله ثناء الله وفي معنى الحمد لله وفضلها آثار غير ما ذكرنا لا تحصى ولما كان من أكبر نعم الله علينا وأجل مننه الواصلة إلينا هدايته إيانا الى صراطه المستقيم الذي هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد غيره ناسب الثناء عليه بها فقلت كما هدانا أي على ما هدانا إرشادا ودلالة بكتبه ورسله وتوفيقا وتسديدا بمشيئته وقدره الى سبيل الحق وهو دين الإسلام والإيمان واجتبانا له وبذلك قال تعالى ممتنا علينا وله الحمد و المنة واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين البقرة 891 وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و الحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين آل عمران 461 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير الحج 77 87 ولما كان الحمد الخبري أبلغ من الإنشائي لدلالته

على الثبوت والاستمرار قدمته عليه أولا ثم عطفت عليه الإنشائي جمعا بينهما فقلت أحمده سبحانه وأشكره
ومن مساوي عملي أستغفره
أحمده أي أنشىء له حمدا آخر متجددا على توالي نعمه وتواتر فضله فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه سبحانه أي تنزيها له عما يليق بنعوت جلاله و صفات كماله وهذه العبارة تتضمن معنى قوله في الحديث المتفق عليه كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأشكره على ما أنعم وألهم امتثالا لقوله عز وجل فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون البقرة 251 و اختلف العلماء في معنى الحمد و الشكر هل هما مترادفان أو لا فذهب الى ترادفهما ابن جرير الطبري صاحب التفسير وجعفر الصادق وغيرهما وذهب جماعة من المتأخرين الى التفرقة بينهما وقال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله تعالى الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان الإحسان الى الحامد أو لم يكن و الشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر فمن هذا الوجه الحمد اعم من الشكر لأنه يكون على المحاسن والإحسان فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسني والمثل الأعلى وما خلقه في الآخرة والأولى ولهذا قال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ

ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل الإسراء 111 وقال تعالى الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور الأنعام 1 وقال تعالى الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة الأنعام 1 وقال تعالى الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء فاطر 1 وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام فهو أخص من الحمد من هذا الوجه لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي و لساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور سب أ 31 و الحمد يكون بالقلب و اللسان فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه والحمد أعم من جهة أسبابه وفي الحديث الحمد لله رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها والله أعلم انتهى كلامه رحمه الله تعالى ومن مساوئ جمع مساءة عملي مضاف اليه من إضافة الصفة إلى الموصوف استغفره السين للطلب أي أطلب منه مغفرة تلك المساوئ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وأستعينه على نيل الرضا ... وأستمد لطفه في ما قضى ...
وأستعينه أطلب منه العون على نيل الرضا أي على فعل الأعمال الصالحة التي بسببها ينال رضاه أن يرزقنيها وينيلني رضاه بفضله و رحمته وأستمد أي اطلب منه الإمداد بأن يرزقني لطفه بي فيما قضى و قدر من المصائب وأن يجعلني راضيا بذلك مؤمنا به مستيقنا أنه من عند الله وأن وقوعه خير عندي من كونه لم يقع وأن يهدي قلبي كما قال تعالى ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم التغابن 11 وكما قال صلى الله عليه وسلم وأسألك الرضا بعد القضاء الحديث فإن ذلك أعلى درجات الإيمان بالقدر وهو الرضا بالمصيبة
القول في كلمة الشهادة ... وبعد أني باليقين أشهد ... شهادة الإخلاص أن لا يعبد ... بالحق مألوه سوى الرحمن ... من جل من عيب وعن نقصان ...
وبعد هو ظرف زماني يؤتى به للتنبيه على ما بعده وفصله عما قبله و يبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويغني عن إعادة المضاف إليه إني باليقين القاطع على الجازم بدون شك ولا تردد أشهد شهادة مصدر مؤكد الإخلاص مضاف الى شهادة من إضافة الصفة إلى الموصوف أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مستكن والتقدير أنه والخبر لا يعبد بضم الياء وفتح الباء بالبناء للمفعول بالحق يتعلق بيعبد مألوه نائب الفاعل ليعبد ومعناه معبود سوى أداة استثناء بمعنى إلا الرحمن أي لا معبود بحق إلا الله عز و جل والتقييد بحق يخرج به الآلهة المعبودة بباطل فإنها قد عبدت و المنفي هو استحقاق العبادة عن غير الله عز وجل لا وقوعها وهذه هي شهادة أن لا اله إلا الله ولما لم يمكن في النظم الإتيان بلفظها نظمتها بمعناها وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط القول في تفسيرها

من جل في صفات كماله و نعوت جلاله عن عيب وعن نقصان وهما لفظان مترادفان فكل عيب يسمى نقصانا و كل نقصان يسمي عيبا و الله سبحانه و تعالى منزه عن ذلك كله بل له والجلال المطلق و الكمال المطلق في ذاته وأسمائه و صفاته و أفعاله ... وإن خير خلقه محمدا ... من جاءنا بالبينات و الهدى ... رسوله إلى جميع الخلق ... بالنور والهدى والدين الحق ...
و أشهد أن خير أفضل خلقه هاء الضمير يعود الى الرحمن محمدا يدل على خير أو عطف بيان ومعناه الكثير المحامد فهو أبلغ من محمود من جاءنا بالبينات و

الهدى من عند الله عز و جل هذه الجملة صلة من وهو محله النصب نعت لمحمد صلى الله عليه وسلم و الخبر رسوله الرسول بمعنى المرسل وهو من أوحى إليه و أمر بالتبليغ فإن أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط فكل رسول نبي ولا عكس الى جميع الخلق كافة قال الله عز و جل وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا و لكن أكثر الناس لا يعلمون سبأ 82 و قال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي ملك السموات و الأرض لا إله إلا هو يحيي و يميت فآمنوا بالله و رسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون الأعراف 851 و في الصحيح من حديث الخصائص و كان الرسول يبعث في قومه خاصة و بعثت الى الناس عامة و فيه أيضا والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار بالنور المبين وهو القرآن الذي قال الله

عز وجل فيه يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نورا مبينا النساء 471 و قال تعالى و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا و إنك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الشورى 25 الآية و قال تعالى فآمنوا بالله و رسوله و النور الذي أنزلنا التغابن 8 و غير ذلك من الآيات والهدى الإرشاد و الدلالة الى الصراط المستقيم ودين الحق الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد غيره قال الله عز و جل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الصف 9 و كل من القرآن و الرسول و الإسلام يسمى نورا و هدى و صراطا مستقيما و كل الثلاثة متلازمة تقول أرسل الله عز و جل رسوله و أنزل عليه كتابه بدين الإسلام و تقول دين الإسلام هو الذي أرسل الله به رسوله و أنزل به كتابه وكل منها نور مبين و هدى مستبين و صراط مستقيم

القول في الصلاة و التعريف بالآل و الأصحاب ... صلى عليه ربنا و مجدا والآل والصحب دواما سرمدا ...

صلى عليه ربنا قال أبو العالية الصلاة من الله عز وجل ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى ذكره عنه البخاري ومنه قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم و ملائكته الأحزاب 34 و في الصحيح من الحديث القدسي وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و إذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم مجدا

بألف الإطلاق أي شرفه و زاده تشريفا و تمجيدا والآل أي آله صلى الله عليه وسلم وهم أتباعه و أنصاره إلى يوم القيامة كما قيل ... آل النبي همو أتباع ملته ... على الشريعة من عجم ومن عرب ... لو لم يكن آله إلا قرابته ... صلى المصلى على الطاغي أبي لهب ...
و يدخل الصحابة في ذلك من باب أولي و يدخل فيه أهل بيته من قرابته و أزواجه و ذريته من باب أولي و أولي والصاحب جمع صحابي وهو من رأى أو لقي النبي مؤمنا به ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخللت ردة في الأصح وهم أفضل القرون في هذه الأمة و سيأتي في آخر المتن الكلام على فضل بعضهم على بعض إن شاء الله تعالى
التعريف بموضوع الكتاب ... و بعد هذا النظم في الأصول ... لمن أراد منهج الرسول سألنى إياه من لا بد لي ... من امتثال سؤله الممتثل ...
وبعد تقدم الكلام عليه قريبا أي و بعد الشهادتين و الصلاة و السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وآله و صحبه هذا النظم الألف و اللام للعهد الحضوري موضوعه في الأصول و المراد بها هنا أصول الدين من الإيمان بالله عز و جل وأسمائه و صفاته و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و بالقدر خيره و شره و أركان الإسلام الشهادتين و الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج وما يتعلق بكل منها و الكلام على رسالة نبينا محمد وما يتعلق بها و الكلام في مسألة الخلافة و الاعتصام بالكتاب و السنة وما تحتوي عليه كل مسألة من ذلك و سترى إن شاء الله تعالى تبيانها مفصلا لمن أراد من المؤمنين منهج الرسول سبيله و مسلكه وهو ما عليه أهل السنة و الجماعة سألني الخ البيت بين واضح ... فقلت مع عجزي ومع إشفاقي ... معتمدا على القدير الباقي ...
فقلب جواب سألني مع عجزي عدم قدرتي على ذلك ومع إشفاقي خوفي من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها و ذلك

لقصر باعي و قلة اطلاعي و الذي قوى عزمي على ذلك هو كوني معتمدا أي متوكلا على القدير الذي لا يعجزه شيء في السماوات و لا في الأرض الباقي الذي كل هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ومن يتوكل على الله فهو حسبه وما توفيقي ألا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مقدمة تعرف العبد بما خلق له وبأول ما فرض الله تعالى عليه و بما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم و بما صائر إليه ... اعلم بأن الله جل و علا ... لم يترك الخلق سدى وهملا ... بل خلق الخلق ليعبدو ... وبالالهية يفرد ... اعلم كلمة يأتى بها للاهتمام و للحث على تدبر ما بعدها و الخطاب بها في هذا الموضوع لكل المكلفين بأن الله جل شأنه وتنزه عن كل نقص و علا بكل معاني العلو لم يترك الخلق سدى ولا هملا أي لا يأمرهم و لا ينهاهم في الدنيا ولا يبعثهم فيجازيهم في الآخرة لأنه تعالى في خلقهم إلا بالحق لا عبثا و لا باطلا بل لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد قال الله تعالى إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار آل عمران 091 191 ربنا ما خلقت هذا أي الخلق باطلا لا بل الحق ليجزي الذين أساءوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى ثم نزهوه عن العبث و خلق الباطل فقالوا سبحانك أي عن أن تخلق شيئا باطلا تباركت و تعاليت و قال تعالى خلق السموات و الأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين النحل 3 4 يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات بما حوت والعالم السفلي وهو الارض بما حوت وأن ذلك مخلوق بالحق لا

للعبث ثم نزه تعالى نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له ثم نبه تعالى على خلق جنس الإنسان من نطفة أي مهينة ضعيفة فلمل استقل و درج إذا هو يخاصم ربه تعالى و يكذبه و يحارب رسله وهو إنما خلق ليكون عبدا لا ضدا وهذا كقوله تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه قال من يحيي العظام و هي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم يس 67 87 و قال تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا لا ترجعون المؤمنون 511 أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منا ولا حكمة لنا و قيل للعبث أي لتلعبوا و تعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب و أنكم إلينا لا ترجعون أي لا تعودون في الدار الآخرة لا ليس الأمر كذلك إنما خلقناكم للعبادة و إقامة أوامر الله عز وجل ثم نبعثكم ليوم لا ريب فيه و نجازي كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذا يقوله تعالى لأهل النار توبيخا و تقريعا وتبكيتا بعدما رأوا الحقائق عين اليقين ثم قال تعالي منزها نفسه عما حسبوه فتعالى الله الملك الحق أي تقدس أن يخلق شيئا عبثا فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك لا إله إلا هو رب العرش الكريم وقال تعالى وما خلقنا السماء و الأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ص 72 يخبر تعالى أنه ما

خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر وليس الأمر كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط فويل للذين كفروا من النار أي ويل لهم يوم معادهم و نشورهم من النار المعدة لهم ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله و حكمته لا يساوي بين المؤمنين و الكافرين فقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ص 82 أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي و يعاقب فيها هذا الفاجر قال ابن كثير رحمه الله تعالى وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة و الفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإنا نرى الظلام الباغي يزداد ماله

وولده و نعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا المظلوم من هذا الظالم وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك دارا أخرى لهذا الجزاء و المواساة و قال تعالى أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى الروم 8 يقول تعالى منبها على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده و انفراده بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه فقال تعالى أولم يتفكروا في أنفسهم يعني به النظر والتدبر و التأمل لخلق الله عز وجل الأشياء من العالم العلوي و السفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ولهذا قال تعالى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون الروم 8 وقال تعالى خلق الله السموات والأرض بالحق العنكبوت 44 أي للحق و إظهار الحق لا على وجه العبث و اللعب إن في ذلك أي في خلقها لآية أي لدلالة للمؤمنين على أنه تعالى المتفرد بالقدر والخلق والتدبير و الإلهية وقال تعالى خلق الله السموات والأرض بالحق أي بالعدل ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون الجاثية 22 وقال تعالى وما خلقنا السموات و الأرض وما بينهما إلا بالحق أي لا على وجه العبث و اللعب وأجل مسمى أي والى مدة معينة مضروبة يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي تنتهي اليه السموات وهو الإشارة الى فنائهما وقال تعالى أيحسب الإنسان أن يترك سدى القيامة 63 قال السدى يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى قال ابن كثير رحمه الله تعالى والظاهر أن الآية تعم الحالتين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور الى الله في الدار الآخرة

بل خلق الله تعالى الخلق ليعبدوه عز وجل بما شرعه على ألسنة رسله و أنزل به كتبه و مع عبادتهم إياه لا يشركون بعبادته أحدا كائنا من كان بل بالإلهية يفردوه دون ما سواه فمن عبد الله تعالى ألف سنة ثم أشرك به لحظة من اللحظات ومات على ذلك حبط جميع عمله وصار هباء منثورا حيث أشرك مع الله في عبادته من هو مثله مخلوق لعبادة الله عز وجل قال الله تعالى وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون الذريات 65 قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أي إلا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم لعبادتي يؤيده قوله عز وجل وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون التوبة 13 وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا ليعبدون إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها وهذا إختيار ابن جرير وقال ابن جريح و مجاهد إلا ليعرفون و قال الربيع ابن أنس أي إلا للعبادة طوعا أو كرها و قال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لقمان 52 فهذا منهم عبادة ولا ينفعهم مع الشرك وقال الضحاك المراد بذلك المؤمنون ا ه من تفسير ابن كثير وقال الكلبي و الضحاك و سفيان هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والإنس من المومنين إلا ليعبدون ثم قال في آية أخرى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن و الإنس الأعراف 71 وقال بعضهم وما خلقت السعداء من الجن و الإنس إلا لعبادتي و الأشقياء منهم إلا لمعصيتي وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة و السعادة وقيل معناه إلا ليخضعوا لي و يتذللوا و معنى العبادة في الغة التذلل و الانقياد فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله و متذلل لمشيئته ولا يملك أحد لنفسه خروجا عما

خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر و قيل إلا ليعبدون إلا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده في الشدة و الرخاء وأما الكافر فيوحده في الشدة و البلاء دون النعمة و الرخاء بيانه قوله عز وجل فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين العنكبوت 56 الآية ا ه من تفسير البغوي رحمه الله تعالى قلت و هذه الأقوال في هذه الآية وإن كانت متقاربة والآية تسع جميعها أرجحها الأول وهو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا لآمرهم و أدعوهم لعبادتي يؤيده قوله تعالى و ما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون التوبة 13 و قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء البينة 5 الآية و غيرها من الآيات و يؤيد ذلك أن الله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من

جميع عباده وأرادها و قضاها عليهم في الشرع لا في الكون فمن أطاع أمره و أتى بما أراده وشاءه منه فله رضاه و الجنة ومن خالف في ذلك فله سخطه و النار ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادة وأرادها في الكون لم يكن لهم بد من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية الله تعالى من سبيل ولا يخرج عن قضائه تعالى و قدره شيء من المخلوقات مثقال ذرة فإنه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا مضاد لأمره ولا ناقض لما أبرمه ولا دافع لما قدره ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه الإسراء 32 فقال لابن عباس و قتادة و الحسن و أمر ربك و قال الربيع بن أنس و أوجب ربك و قال مجاهد و أوصى وبك و قرأ أبي بن كعب و ابن مسعود و الضحاك بن مزاحم ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ولو أنه تبارك وتعالى قضى في الكون أن لا يعبد إلا إياه لم يشرك به أحد من خلقه و إنما قضى ذلك شرعا ليبلوكم أيكم أحسن عملا ليجزي الذين أساءوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى و هذه المشيئة منه للعبادة من عباده شرعا عامة لمؤمنهم و كافرهم و أما مشيئته للعبادة الكونية القدرية فخاصة للمؤمنين فلهذا

اتفقت فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئة الشرعية لما سبق لهم في المشيئة القدرية الكونية و أما الكافر فلم يوافق المشيئة الشرعية لما سبق عليه في المشيئة القدرية من الشقاوة فتبين بهذا أن المشيئة الكونية القدرية لا خروج لأحد منها ولا محيد له عنها سواء سبقت له بالشقاوة أو السعادة وأما المشيئة الشرعية فمن كان سبق له في القدرية أنه يوافقها كان كذلك أو يخالف كان كذلك وأما معنى العبادة فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى و يرضاه من الأقوال و الأعمال الباطنة و الظاهرة فالصلاة و الزكاة و الصيام و الحج و صدق الحديث و أداء الأمانة و بر الوالدين و صلة الأرحام و الوفاء بالعهود و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الجهاد للكفار و المنافقين و الإحسان إلى الجار و اليتيم و المسكين وابن السبيل و المملوك من الآدميين والبهائم و الدعاء و الذكر و القراءة و أمثال ذلك من العبادة يعني الظاهرة و كذلك حب الله و رسوله و خشيته و الإنابة إليه و إخلاص الدين له و الصبر لحكمه و الشكر لنعمه و الرضا بقضائه و التوكل عليه و الرجاء لرحمته و الخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله يعني الباطنة و جماع العبادة كمال الحب مع كمال الذل و سيأتي إن شاء الله تعالي زيادة بحثها في بابها من المتن ... أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر ... وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره ...
أخرج أي الله تبارك و تعالى فيما أي الزمن الذي قد مضى و ذلك بعد خلقه آدم عليه الصلاة و السلام من ظهر آدم أبي البشر عليه السلام ذريته كل من يوجد منهم الى يوم القيامة كالذر أي كهيئته و أخذ عز و جل العهد عليهم و تفسير

العهد أنه الضمير للشأن أو الحال هو ربهم لا رب معبود مستحق للعبادة و لذا قيد بحق غيره و إلا فكم قد اتخذ أعداؤه من أرباب و عبدوها بالباطل بدون حق بل بالظلم العظيم قال الله تبارك و تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم

ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذر ية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون الأعراف 271 471 و عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به قال فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي أخرجاه في الصحيحين و عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال تعالى ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية إلى قوله المبطلون رواه أحمد و النسائي و الحاكم و قال صحيح الإسنا و لم يخرجاه و قد روي من طرق كثيرة موقوفا و عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله خلق آدم

عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهلل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قالل خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة و إذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار رواه أحمد و أبو داود و النسائي و الترمذي و ابن أبي حاتم و ابن جرير و ابن حبان في صحيحه و قال الترمذي هذا حديث حسن و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله

آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة و جعل بين عيني كل إنسان منهم و بيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي ربي من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم أعجبه و بيص ما بين عينيه فقال أي رب من هذا قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال أولم يبقى من عمري أربعون سنة قال أولم تعطيها لابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته و نسي آدم و نسيت ذريته رواه الترمذي و قال

هذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم و رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه و رواه ابن أبي حاتم في تفسيره نحو ما تقدم الى أن قال ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك و إذا فيهم الأجذم و الأبرص و الأعمى و أنواع الأسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر نعمتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا قال هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم وعن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتبدأ الأعمال أم قد قضى القضاء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة و هؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة و أهل النار ميسرون لعمل أهل النار رواه ابن جرير و ابن مردويه من طرق عنه و عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق و قضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه و أهل الشمال بشماله فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك و سعديك قال ألست بربكم قالوا بلى قال يا أصحاب

الشمال قالوا لبيك و سعديك قال ألست ربكم قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال له يا رب لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم رواه ابن مردويه و فيه جعفر ابن الزبير وهو ضعيف وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى الماء رواه ابن جرير وله عنه

رضي الله عنه قال إن الله تعالى مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا و تكفل لهم بالرزق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفي به نفعه الميثاق الأول و من أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة و له عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين و صحح ابن كثير وقفه و عن أبي ابن كعب رضي الله عنه في قوله

تعالى و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآيات قال فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن منه الى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وإخذ عليهم العهد و الميثاق و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية قال فإني أشهد عليكم السموات السبع و الأرضين السبع و أشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري و لا رب غيري ولا تشركوا بي شيئا و إني سأرسل إليكم رسلا ليذكروكم عهدي و ميثاقي وأنزل عليكم كتبي قالوا نشهد أنك ربنا و إلهنا لا رب لنا غيرك و لا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة و رفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني و الفقير و حسن الصورة و دون ذلك فقال يا رب لو سويت بين عبادك قال إني أحببت أن أشكر و رأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور و خصوا بميثاق آخر من الرسالة و النبوة فهو الذي يقول تعالى و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الأحزاب 7 الآية وهو الذي يقول و فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الروم 03 الآية ومن ذلك قال هذا نذير من النذر الأولى النجم 65 و من ذلك قال و ما و جدنا لأكثرهم من عهد الأعراف 201 الآية رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه و ابن أبي حاتم و ابن جرير و ابن مردويه و في البغوي قال مقاتل و غيره من أهل التفسير إن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال ألست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي و هم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال و أرحام النساء قال الله تعالى

فيمن نقض العهد الأول وما وجدنا لأكثرهم من عهد و قال بعض أهل التفسير إن أهل السعادة

أقروا طوعا و قالوا بلى و أهل الشقاوة قالوا تقية و كرها و ذلك معنى قوله تعالى و له أسلم من في السموات والأرض طوعا و كرها و اختلفوا في موضع الميثاق قال ابن عباس رضي الله عنهما ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة و روي عنه أيضا أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه و قال الكلبي بين مكة و الطائف و قال السدي أخرج آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته و روي أن الله تعالى أخرجهم جميعا و صورهم و جعل لهم عقولا يعلمون بها و ألسنا ينطقون بها ثم كلمهم قبلا يعني عيانا و قال ألست ربكم و قال الزجاج و جائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهما تعقل به كما قال تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم النمل 81 قال البغوي فإن قيل ما معنى قوله و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و إنما أخرجهم من ظهر آدم قيل إن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم عن ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علموا أنهم كلهم بنوه و أخرجوا من ظهره قوله تعالى و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أي أشهد بعضهم على بعض قوله شهدنا أن تقولوا قرأ أبو عمرو أن يقولوا أو يقولوا بالياء فيهما و قرأ الآخرون بالتاء فيهما و اختلفوا في قوله شهدنا قال السدي هو خبر من الله عز و جل عن نفسه و ملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم وقال بعضهم هو خبر عن قول بنى آدم أشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدنا و قال الكلبي ذلك من قول الملائكة و فيه حذف تقديره لما قالت الذرية بلى قال الله عز و جل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا قوله أن يقولوا يعني و أشهدهم على أنفسهم أن يقولوا أي لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أي عن هذا الميثاق و الإقرار فإن قيل كيف يلزم الحجة واحدا لا يذكر الميثاق قيل قد أوضح الله تعالى الدلائل علي وحدانيته و صدق رسله فيما أخبروا فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد و لزمته الحجة و بنسيانهم و عدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر صاحب المعجزة قوله أو تقولوا

إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعدهم يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل و نقضوا العهد و كنا ذرية من بعدهم أي كنا أتباعا لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذرا لأنفسكم و تقولوا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالي بأخذ الميثاق على التوحيد و كذلك نفصل الآيات اي نبين الآيات ليتدبرها العباد و لعلهم يرجعون من الكفر الى التوحيد ا ه البغوي و قال ابن كثير رحمه الله تعالى و ذهب طائفة من السلف و الخلف أن المراد بهذا الاشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة و في رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء أخرجاه و في صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم و عن الأسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسو أبناء المشركين فقال إن خياركم إبناء المشركين إلا أنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها

و ينصرانها قال الحسن و لقد قال الله تعالى في كتابه و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قالوا و لهذا قال تعالى و إذ أخذ ربك من بني آدم و لم يقل من آدم من ظهورهم و لم يقل من ظهره ذرياتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل و قرنا بعد قرن كقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الأرض الأنعام 561 و قال و يجعلكم خلفاء الأرض و قال تعالى كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين الأنعام 331 ثم قال تعالى و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا قال و الشهادة تكون بالقول كقوله تعالى قالوا شهدنا على أنفسنا الآية و تارة تكون حالا كقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر التوبة 71 أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك و كذا قوله تعالى و إنه على ذلك لشهيد العاديات 7 كما أن السؤال تارة يكون بالمقال و تارة يكون بالحال كقوله تعالى و آتاكم من كل ما سألتموه إبراهيم 43 قالوا و مما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم به كاف في وجوده فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون

بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا و غيره و هذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد و لهذا قال تعالى أن تقولوا أي لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أي عن التوحيد أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا الآية ا ه قلت ليس بين التفسيرين منافاة و لا مضادة و لا معارضة فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب و السنة الأول الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم

قالوا بلى الآيات وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات و هو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين و غيرهما الميثاق الثاني ميثاق الفطرة و هو أنه تبارك و تعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول كما قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله الروم 03 الآية وهو الثابت في حديث أبي هريرة و عياض ابن حمار و الأسود ابن سريع رضي الله عنهم و غيرها من الأحاديث في الصحيحين و غيرهما الميثاق الثالث هو ما جاءت به الرسل و أنزلت به الكتب تجديدا للميثاق الأول و تذكيرا به رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزا حكيما النساء 561 فمن أدرك هذا الميثاق و هو باق على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرة و لا يتوقف لأنه جاء موافقا لما في فطرته و ما جبله الله عليه فيزداد بذلك يقينه و يقوى إيمانه فلا يتلعثم ولا يتردد ومن أدركه و قد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه و هوده أبواه أو نصراه أو مجساه فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع الى فطرته و صدق بما جاءت به الرسل و نزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول و الثاني و إن كذب بهذا الميثاق كان مكذبا بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال بلى جوابا لقوله تعالى ألست بربكم و قامت عليه حجة الله و غلبت عليه الشقوة و حق عليه العذاب و من يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء و من لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيرا قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم و إن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان عاملا لو أدركه كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين و فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين فقال صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما كانوا عاملين ... وبعد هذا رسله قد أرسلا ... لهم وبالحق الكتاب أنزلا ... لكي بذاالعهد يذكروهم ... وينذروهم ويبشروهم ... كي لا يكون حجة للناس بل ... لله أعلى حجة عز وجل ... فمن يصدقهم بلا شقاق ... فقد وفى بذلك الميثاق ... وذاك ناج من عذاب النار ... وذك الوارث عقبى الدار ... ومن بهم وبالكتاب كذبا ... ولازم الأعراض عنه والإبا فذاك ناقض كلا العهدين ... مستوجب للخزي في الدارين ...
وبعد هذا أي الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرهم و جبلهم على الإقرار به و خلقهم شاهدين به رسله بإسكان السين للوزن مفعول أرسل مقدم قد أرسلا بألف الإطلاق لهم أي إليهم و بالحق متعلق بأنزل أي بدين الحق الكتاب جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل أنزلا بألف الإطلاق و الأمر الذي أرسل الله تعالى به الرسل إلى عباده و أنزل عليهم به الكتب هو لكي بذا العهد الميثاق الأول يذكروهم تجديدا له و إقامة لحجة الله البالغة عليهم و ينذروهم عقاب الله إن هم عصوه و نقضوا عهده و يبشروهم بمغفرته و رضوانه إن هم وفوا بعهده و لم ينقضوا ميثاقه و أطاعوه و صدقوا رسله و الحكمة في ذلك لكي لا يكون حجة على الله عز و جل للناس بل لله على جميع عباده

أعلى حجة أبلغها و أدمغها عز سلطانه وجل شأنه عن أن يكون لأحد عليه حجة كما قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم و هو خاتم الرسل و المصدق لما جاءوا به و كتابه مصدق لما بين يديه مما معهم من الكتب و مهيمن عليه إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النبيين من بعده و أوحينا إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الاسباط و عيسى و أيوب و يونس و هارون و سليمان و آتينا داود زبورا و رسلا قد قصصناهم عليك من قبل و رسلا لم نقصصهم عليك و كلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزا حكيما النساء 361 561 و قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم مغفرة و رزق كريم و الذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم الحج 94 15 و قال تعالى له صلى الله عليه وسلم إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا الأحزاب 54 74 الآيات و قال تعالى له إن أنت إلا نذير و قال تعالى قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله

مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد سبأ 64 الآيات و قال تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة أعدت للكافرين و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار البقرة 42 52 الآية و غير ذلك من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا داعيا إلى عبادة الله عز و جل لا شريك له و الكفر بما سواه من الأنداد و مبشرا لمن صدقه و أطاعه بالجنة و نذيرا لمن كذبه و عصاه من النار ثم أخبر تعالى أن المراد بذلك لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل النساء 561 و قال تعالى قل فلله الحجة البالغة الأنعام 941 و تقدير البحث في الرسالة و اتفاق الرسل في دعوتهم يأتي في بابه إن شاء الله عز و جل فمن يصدقهم يعني الرسل بلا شقاق تكذيب و لا مخالفة فقد وفي لربه عز و جل بذلك الميثاق العهد الأول و هؤلاء هم القليل من الثقلين و لكن هم جند الله الغالبون المنصورون في الدنيا و حزبه المفلحون الفائزون في الآخرة و جواب الشرط فذاك ناج من عذاب النار إذ لم يرتكب

أسباب دخولها من معصية الله و تكذيب رسله كما ارتكب ذلك من خلق لها و ذلك الوارث عقبى الدار و هي الجنة لفعله أسبابها التي أمره الله عز وجل بها من الوفاء بعهد الله و ميثاقه و تصديق رسله و كتبه و العمل بجميع طاعته تبارك و تعالى ومن بهم أي بالرسل و بالكتاب أي الكتب التي أنزل الله عليهم ليبلغوها إلى عباده و يبينوها ليعملوا بما فيها كذبا و لازم الأعراض عنه عما أرسل الله به رسله و الإبا أي الامتناع و هم الذين قال الله تعالى فيهم الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون غافر 07 الآيات و قال تعالى فيهم و من أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا طه 421 الآيات و غيرها و هؤلاء أكثر الثقلين كما قال الله تبارك و تعالى فأبى أكثر الناس إلا كفورا الإسراء 89 وقال تعالى و ما وجدنا لأكثرهم من عهد و إن و جدنا أكثرهم لفاسقين الأعراف 201 و قال تعالى و إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله الأنعام 611 و غير ذلك من الآيات و جواب الشرط فذاك أي المكذب بالكتاب و بما أرسل الله تعالى به رسله الآبي منه المعرض عنه المصر على ذلك حتى مات عليه هو ناقض كلا العهدين الميثاق الذي أخذه الله عليه و فطره على الإقرار به و ما جاءت به الرسل من تجديد الميثاق الأول و إقامة الحجة مستوجب بفعله ذلك للخزي في الدارين أي في الدنيا و الآخرة كما قال تعالى و أتبعناهم في هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة هم من المقبوحين القصص 24 و قد وفى بذكر الفريقين الموفين بالعهد و الناقضين له و ما لكل منهم وما عليه في الدنيا و الآخرة قول الله عز و جل للذين استجابوا لربهم أي فيما دعاهم إليه على ألسنة رسله و هم الفريق الأول الحسنى الجنة و الذين لم يستجيبوا له و هم الفريق الثاني لو أن لهم ما في الأرض جميعا و مثله معه

لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب و مأواهم جهنم و بئس المهاد الرعد 81 و تأويل ذلك ما ورد في الصحيحين من طرق عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا و أنت في صلب

آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي و قد تقدم ذكره قريبا أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق يعني الفريق الأول كمن هو أعمى يعني الفريق الثاني لا و الله ليسوا سواء إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق يتناول كل العهود و المواثيق التي أمر الله عز و جل بالوفاء بها مع الحق و مع الخلق و تناولها للميثاق المذكور من باب أولى و الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من صلة الأرحام و من الإيمان بالله و رسله و عدم التفريق بين أحد منهم و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب و الذين صبروا على قدر الله و على ملازمة طاعته وعن معصيته ابتغاء وجه ربهم و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سرا و علانية و يدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار فكأنه قيل ما هي فقال تعالى جنات عدن يدخلونها و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم ذكر الفريق الثاني بصفاتهم السيئة و بين جزاءهم عليها و العياذ بالله تعالى فقال تعالى و الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة و لهم سوء الدار الرعد 81 52 فسبحان الله و بحمده ما أبلغ حكمته و أعدل حكمه و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم

فصل في انقسام التوحيد إلى نوعين و بيان النوع الأول و هو توحيد المعرفة و الإثبات ... أول واجب على العبيد ... معرفةالرحمن بالتوحيد ... إذ هو من كل الأوامر أعظم ... وهو نوعان أيا من يفهم ... إثبات ذات الرب جل وعلا ... أسمائه الحسنى صفاته العلى ... وأنه الرب الجليل الأكبر ... الخالق البارئ والمصور

أول واجب فرضه الله عز و جل على العبيد هو معرفة الرحمن أي معرفتهم إياه بالتوحيد الذي خلقهم له و أخذ عليهم الميثاق به ثم فطرهم شاهدين مقرين به

ثم أرسل به رسله إليهم و أنزل به كتبهم عليهم إذ حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تبارك و تعالى بالتوحيد هو من كل الأوامر جمع أمر و هو خطاب الله عز و جل المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل أعظم كما أن ضده من الشرك و التعطيل و التمثيل هو أعظم المناهي و لهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به و لا يخرج منه إلا بضده ولم يزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به ولا يخلدفي النار ويحرم الجنة إلا بضده و لم تدع الرسل إلى شيء قبله و لم تنه عن شيء قبل ضده وهو أي التوحيد نوعان الأول التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز و جل و تنزيهه فيها عن التشبيه و التمثيل و تنزيهه عن صفات النقص و هو توحيد الربوبية و الأسماء و الصفات و الثاني التوحيد الطلبي القصدي الإرادي و هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له و تجريد محبته و الإخلاص له و خوفه و رجاؤه و التوكل عليه و الرضا به ربا و إلها و وليا و أن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء وهو توحيد الإلهية و القرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين لأنه إما خبر عن الله عز و جل و ما يجب أن يوصف به وما يجب أن ينزه عنه وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي و إما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له و خلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الطلبي الإرادي و إما أمر و نهي و إلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد و مكملاته و إما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد و ما فعل بهم في الدنيا من النصر و التأييد وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده و إما خبر عن أهل الشرك و ما فعل بهم في الدنيا من النكال و ما يفعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم اقرأ في الجمع بين التوحيدين طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى طه 1 8 وآية الكرسي وقل هو الله أحد وغيرها من القرآن واقرأ في الأمر والنهي وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الحشر 7 واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة وإنا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا يوم يقوم الأشهاد غافر 1 5 واقرأفي إخزاء أهل الشرك في الدنيا والآخرة واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كانت عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين القصص 39 42

والكلام في هذا الفصل على النوع الأول وهو التوحيد العلمي الخبري الإعتقادي وهو إثبات بالرفع بدل بعض من قولنا نوعان أي الأول منهما إثبات ذات الرب جل وعلا فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها ومحال أن توجد بدون موجد ومحال أن توجد أنفسها قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون الطور 35 36 قال ابن عباس رضي الله عنهما أم خلقوا من غير شيء أي من غير رب ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الإسم فلا بد له من خالق فإن

أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق أم هم الخالقون لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به أم خلقوا السموات والأرض وهذا في البطلان أشد وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلا عن أن يكون موجدا لغيره وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له بل لا يوقنون أي ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون الطور 35 37 كاد قلبي أن يطير أخرجاه في الصحيحين

وكثيرا ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الإستدلال على معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى وفي الأرض آيات للموقنين الذاريات 20 أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه ولهذا قال عز وجل وفي أنفسهم أفلا تبصرون الذاريات 21 قال قتادة من تفكر في خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة وكذا ما في لإبتداء الإنسان من الآيات العظيمة إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما إلى أن نفخ فيه الروح وقال تعالى والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون

الذاريات 74 94 يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوي والسفلي والسماء بنيناها أي جعلناها سقفا محفوظا رفيعا بأيد أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد وإنا لموسعون قال ابن عباس رضي الله عنهما لقادرون وعنه أيضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو وسعة وقال ابن كثير أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي والأرض فرشناها أي جعلناها فراشا للمخلوقات فنعم الماهدون الباسطون نحن قال ابن عباس نعم ما وطأت لعبادي ومن كل شيء خلقنا زوجين صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والإنس والذكر والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والجنة والنار والحق والباطل والحلو والمر والدنيا والآخرة والموت والحياة والجامد والنامي والمتحرك والساكن والحر والبرد وغير ذلك لعلكم تذكرون أي لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك له ا ه ابن كثير والبغوي وقال تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون البقرة 4611 قال أبو الضحى لما نزلت وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم قال المشركون أن كان هكذا فليأتنا بآية فأنزل الله عز وجل إن في خلق السموات والأرض تلك في إرتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها

السيارة والثوابت ودوران فلكها وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون يس 04 وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان كما قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها كما قال تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون يس 33 إلى قوله ومما لا يعلمون وبث فيها من كل دابة على

اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفي عليه شيىء من ذلك كما قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وتصريف الرياح فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وهي الريح وتارة تأتي مبشرات بين يدي السحاب وتارة تسوقها وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمن وتارة صبا وهي الشرقية وتارة دبور وهي غربية وغير ذلك والله أعلم والسحاب المسخر بين السماء والأرض أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى لآيات لقوم يعقلون أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانبة الله تعالى لقوم يعقلون فيعلومن أن لهذه الأشياء خالقا وصانعا غنيا بذاته وكل ما سواه فقير إليه قائم بذاته وكل ما سواه لا يقوم إلا به قدير لذاته وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره متصف بجميع صفات الكمال وكل ما سواه فلازمه النقص وليس الكمال المطلق إلا له وهو الله

تبارك وتعالى وقال تبارك وتعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون الروم 02 52 يقول تعالى ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظاما شكله شكل إنسان ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ثم أخرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء ومكر ورأي وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر والحسن والقبح والغنى والفقر والسعادة والشقاوة وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر

الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا أي خلق لكم من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا لتسكنوا إليها كما قال تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها الأعراف 981 يعني بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل الأزواج من جنسهم وجعل بينهم مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته ومن آياته الدالة على قدرته العظيمة خلق السموات والأرض أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار واختلاف ألسنتكم يعني اللغات فهؤلاء بلغة العرب وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى وهؤلاء كرج وهؤلاء روم وهؤلاء إفرنج وهؤلاء بربر وهؤلاء حبشة وهؤلاء هنود وهؤلاء فرس وهؤلاء صقالبة وهؤلاء خزر وهؤلاء أرمن وهؤلاء أكراد إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل من اختلاف لغات بني آدم وألوانكم أي واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة وغير ذلك من اختلاف الصفات والحلى فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لابد من فارق

بين كل واحد منهم وبين الآخر إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل فإن فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الأنتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم أن في

ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار ومن آياته الدالة على عظمته أنه يريكم البرق خوفا وطمعا أي تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه ولهذا قال تعالى وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شييء فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج الحج 5 وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ولهذا قال تعالى إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره الروم 52 62 كقوله تعالى ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه الحج 56 وقوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده فاطر 14 وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال والذي قامت السموات والأرض بأمره أي هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم ولهذا قال تعالى ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون أي من الأرض كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا الإسراء 52 وقال تعالى فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة النازعات 13 14 وقال تعالى إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون يس 53

والأيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصي وفيما ذكرنا كفاية وغني يغني عن خرط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئا فلم يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم وشأن الله تعالى أكبر من ذلك ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا النمل 41 فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به و إنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض إبراهيم 9 01 وهذا يحتمل شيئين أحدهما أفي وجوده تعالى شك فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى

معرفته فقالوا فاطر السموات والأرض الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق فإن شواهد الحدوث الخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلابد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه والمعنى الثاني في قولهم أفي الله شك أي أفي إلهيته وتفرده بوجود العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم و الجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين لا أي لا شك فيه

ذكر مناظرة أخرى بين رسل الله وأعدائه قال الله تبارك وتعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين البقرة 852 قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار هذا المحاج هو مالك بابل واسمه نمرود بن كنعان ذكروا أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة و كان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق جل وعلا عنادا ومكابرة فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية فلما قال الخليل عليه الصلاة والسلام ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق يعني أنه إذا أتي بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما عفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات هذا الآخر وهذا ليس بمعارضة للخليل عليه الصلاة والسلام بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشغيب محض وهو انقطاع في الحقيقة فإن الخليل عليه الصلاة والسلام استدل على وجود الخالق جل وعلا بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وإماتتها على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إليه في وجودها ضرورة لعدم قيامها بأنفسها ولابد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ثم إماتتها ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربي الذي يحيي ويميت فقول هذا الجاهل أنا أحيي وأميت إن عني أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند وإن عني ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مستلزما ولا عارض الدليل ولما كا ن انقطاع

مناظرة هذا المحاج قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلا آخر بين وجود الخالق وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيىء فإن كنت كما زعمت أنك تحيي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيىء ودان له كل شيىء فإن كنت كما تزعم فافعل هذا فإن لم تفعله فلست كما زعمت وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيىء من هذا بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضة أو تتصرف فيها فبين ضلاله وجهله وكذبه فيم ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت ولهذا قال تعالى فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ذكر مناظرة أخرى من ذلك أيضا قال الله تبارك وتعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون الشعراء 32 82 يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعون من المقاولة والمحاجة والمناظرة وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية ثم الحسية وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى وزعم أنه الإله فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى النازعات 32 وقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري القصص 38 وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين النمل 41 ولهذا قال لموسى عليه

السلام على سبيل الإنكار لرسالته وإظهار أنه ما ثم رب أرسله وما رب العالمين لأنهما قالا له إنا رسول رب العالمين فكأنه يقول لهما و من رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما و ابتعثكما فأجابه موسى قائلا رب السموات والأرض وما بينهما أي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو الله الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات والعالم السفلي وما فيه من بحار وأنهار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر والرياح والمطر وما يحتوي عليه الجو وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولابد لها من موجد ومحدث وخالق وهو

الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين الجميع مذللون مسخرون وعبيد له خاضعون ذليلون إن كنتم موقنين أي إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة قال أي فرعون لمن حوله من أرائه ومرازبته 1 وكبرائه ورؤساء دولته على سبيل التهكم والتنقص والاستهزاء والتكذيب لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله ألا تستمعون أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلها غيري فقال لهم موسى ربكم ورب آبائكم الأولين أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الآباد فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلقه رب العالمين وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فصلت 35 ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون الشعراء 72 أي ليس له عقل في دعواه أن ثم ربا غيري قال أي موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبه فأجاب موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون أي هو الذي جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب

ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها وهو الله لا إله إلا هو خالق الظلام والضياء ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة خالق الليل بظلامه والنهار بضيائه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون وكل في فلك يسبحون يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقا فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا والثابت سائرا والسائر ثابتا كما قال تعالى عن الذي حاج إبراهيم في ربه في الآية السابقة ولما قامت الحجج علي فرعون وذهبت شبهه وغلب وانقطعت حجته ولم يبق له قول سوى العناد عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه وسطوته واعتقد أن ذلك نافعا له ونافذا في موسى عليه الصلاة والسلام فقال وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين الشعراء 92 إلى آخر ما قص الله عز وجل عنه حتى قصمه الله تعالى قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر ومناظرة الرسل لأعداء الله في الباب يطول ذكرها ومقامات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق بل هم مقرون به وبربوبيته غير أنهم لم يقدروه حق قدره بل عبدوا معه غيره ولهذا قال تعالى في شأنهم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض

ليقولن الله لقمان 52 والزمر 83 ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله العنكبوت 36 ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله الزهخرف 9 إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى
ذكر ما نقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب
عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة

سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا إلى سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتي تخلص منها وتسير حيث شائت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع فبهت القوم ورجعوا إلي الحق وأسلموا علي يديه وعن الشافعي رحمه الله تعالي أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل فقال هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبرسيم وتأكله النحل فيخرج منه العسل وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرا وروثا وتأكله الظباء فيخرج منه المسك وهو شيء واحد وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح ا 0 ه 0 يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الديك وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد ... تأمل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك ... عيون من لجين شاخصات ... بأحداث هي الذهب السبيك ... على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك
وقال ابن المعتز ويروي لأبي العتاهية رحمهما الله تعالى ... فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد ... ولله في كل تحريكة ... وفي كل يسكينة شاهد ... وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد ...
وسئل بعض الأراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالي فقال يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير وإن أثر الأقدام ليدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ومن خطب قس بن ساعدة الإيادي وكان على ملة إبراهيم رحمه الله تعالي أيها

الناس اجتمعوا فاسمعوا وإذا سمعتم فعوا وإذا وعيتم فانتفعوا وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وأحياء وأموات ليل داج وسماء ذات أبراج ونجوم تزهر وبحار تزخر وضوء وظلام وليل وأيام وبر وآثام إن في اسماء خبرا وإن في الأرض عبرا يحار فيهن البصر مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحار لا تفور ومنايا دوان ودهر خوان كحد النسطاس ووزن القسطاس أقسم قس قسما لا كاذبا فيه ولا آثما لئن كان في هذا الأمر رضى ليكونن سخط ثم قال أيها الناس إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه وهذا زمانه وأوانه ثم قال مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا وفي بعض ألفاظها قال شرق وغرب ويتم وحزب وسلم وحرب ويابس ورطب وأجاج وعذب وشموس وأقمار ورياح وأمطار وليل ونهار وإناث وذكور وبرار وبحور وحب ونبات وآباء وأمهات وجمع وأشتات وآيات في إثرها آيات ونور وظلام ويسر وإعدام ورب وأصنام لقد ضل الأنام نشو مولود ووأد مفقود وتربية محصود وفقير وغني ومحسن ومسي تبا لأرباب الغفلة ليصلحن العامل عمله وليفقدن الآمل أمله كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد أعاد وأبدي وأمات وأحيا وخلق الذكر والأنثى رب الآخرة والأولى أما بعد فيا معشر إياد أين ثمود وعاد وأين الآباء والأجداد وأين العليل والعواد كل له معاد يقسم قس برب العباد وساطع المهاد لتحشرن علي الانفراد في يوم التناد وإذا نفخ في الصور ونقر في الناقور ووعظ الواعظ فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر في يوم الفصل وميزان العدل إذا حكم القدير وشهد النذير وبعد النصير وظهر التقصير فريق في الجنة وفريق في السعير

أسماء الله الحسنى

وأسماء الله الحسنى هي التي أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وآمن بها جميع المؤمنين قال اله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون بما اكانوا يعملون الأعراف 081 وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى الإسراء 011 وقال تعالى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى طه 8 وقال تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء

الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الحشر 22 42 وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر أخرجاه في الصحيحين ورواه الترمذي وزاد هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المعطي المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في

هذا الحديث ا 0 ه 0 ورواه الدارمي وزاد كلها في القرآن 1 وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني كلاهما في الدعاء وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة أسأل الله الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير الحنان المنان البديع الغفور الودود الشكور المجيد المبدئ المعيد النور البارئ وفي لفظ القائم الأول الآخر الظاهر الباطن العفو الغفار الوهاب الفرد وفي لفظ القادر الأحد الصمد الوكيل الكافي الباقي المغيث الدائم المتعال ذا الجلال والإكرام المولى النصير الحق المتين الوارث المنير الباعث القدير وفي لفظ المجيب المحيي المييت

الحميد وفي لفظ الجميل الصادق الحفيظ المحيط الكبير القريب الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العلام العلي العظيم الغني الملك المقتدر الأكرم الرءوف المدبر المالك القاهر الهادي الشاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذا

الطول ذا المعارج ذا الفضل الخلاق الكفيل الجليل وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر رحمه الله تعالي قال سألت أبي جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال هي في القرآن ففي الفاتحة خمسة أسماء يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم يا ملك وفي البقرة ثلاثة وثلاثون إسما يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا علي يا عظيم يا تواب يا بصير يا ولي يا واسع يا كافي يا رءوف يا بديع يا شاكر يا واحد يا سميع يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا غني يا حميد يا غفور يا حليم يا إله يا قريب يا مجيب يا عزيز يا نصير يا قوي يا شديد يا سريع يا خبير وفي آل عمران يا وهاب يا قائم يا صادق يا باعث يا منعم يا متفضل وفي النساء يا حسيب يا رقيب يا شهيد يا مقيت يا وكيل يا علي يا كبير وفي الأنعام يا فاطر يا قاهر يا لطيف يا برهان وفي الأعراف يا محيي يا مميت وفي الأنفال يا نعم المولى ويا نعم النصير وفي هود يا حفيظ يا مجيد يا ودود يا فعال لما تريد وفي الرعد يا كبير يا متعالي وفي إبراهيم يا منان يا وارث وفي الحجر يا خلاق وفي مريم يا فرد وفي طه يا غفار وفي قد أفلح يا كريم وفي النور يا حق يا مبين وفي الفرقان يا هاد وفي سبأ يا فتاح وفي الزمر يا عالم وفي غافر يا قابل التوب يا ذا الطول يا رفيع وفي الذاريات يا رزاق يا ذا القوة يا متين وفي الطور يا بر وفي اقتربت يا مقتدر يا مليك وفي الرحمن يا ذا الجلال

والإكرام يا رب المشرقين يارب المغربين ياباقي يا معين وفي الحديد يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن و في الحشر يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصور وفي البروج يا مبدئ يا معيد وفي الفجر يا وتر وفي الإخلاص يا أحد يا صمد انتهى
وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه الله في تلخيص الحبير تسعة وتسعين إسما من الكتاب العزيز منطبقة علىلفظ الحديث ورتبها وهكذا الله الرب الإله الواحد الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الأول الآخر الظاهر الباطن الحي القيوم العلي العظيم التواب الحليم الواسع الحكيم الشاكر العليم الغني الكريم العفو القدير اللطيف الخبير السميع البصير المولى النصير القريب المجيب الرقيب الحسيب القوي الشهيد الحميد المجيد المحيط الحفيظ الحق المبين الغفار القهار الخلاق الفتاح الودود الغفور الرءوف الشكور الكبير المتعال المقيت المستعان الوهاب الحفي الوارث الولي القائم القادر الغالب القاهر البر الحافظ الأحد الصمد المليك المقتدر الوكيل الهادي الكفيل الكافي الأكرم الأعلى الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول رفيع الدرجات سريع الحساب فاطر السموات والأرض بديع السموات والأرض نور السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام ا 0 ه 0 وقد عدها جماعة غير من ذكرنا

كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبي وغيرهم وعدها ابن العربي المالكي في أحكام القرآن مرتبا لها على السور

لكنه أخطأ في بعض ما عده كما سنشير إليه قريبا إن شاء الله تعالى واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصاب أحدا قط هم ولا ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها واعلم أن من أسماء الله عز وجل مالا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصا تعالي الله عن ذلك فمنها المعطي المانع والضار النافع والقابض الباسط والمعز المذل والخافض الرافع فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن

إلا مضافا إلى ذو كقوله تعالى عزيز ذو انتقام آل عمران 4 أو مقيدا بالمجرمين كقوله تعالى إنا من المجرمين منتقمون السجدة 22 واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منهما أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات كقوله تعالى إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم النساء 241 وقوله ومكروا ومكر الله النساء 45 وقوله تعالى نسوا الله فنسيهم التوبة 76 وقوله تعالى وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم البقرة 41 ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناس مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ولا يقال الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال ابن القيم رحمه الله تعالى

إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقا ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى ومن ظن من الجهال ! المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالي الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعالليست ممدوحة مطلقا بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها علي الله تعالى مطلقا فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ولاالفاعل ولاالصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهي والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط

والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى قلت ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عده ابن العربي فإن الفاعل والزارع إذا أطلق بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحا أما سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحد كما قال تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين الأبياء 401 وقال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون الواقعة 36 46 الآيات بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله أكبر مصيبة أن عد في الأسماء الحسنى رابع ثلاثة وسادس خمسة مصرحا قبل ذلك بقوله وفي سورة المجادلة إسمان فذكرهما وهذا خطأ فاحش فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقا ولا مفهوما فإن الله عز وجل قال ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدني من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا المجادلة 8 الآية وأين في هذا السياق رابع ثلاثة سادس خمسة وكان حقه اللائق بمراده أن يقول رابع كل ثلاثة في نجواهم وسادس كل خمسة كذلك فإنه تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية والله أعلم واعلم

أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمنا والتزاما فدلالة اسمه تعالي الرحمن على ذاته عز وجل مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمنا وعلى الحياة وغيرها التزاما وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى وليست أسماء الله تعالى غيره كما يقوله الملحدون في أسمائه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فإن الله عز جل هو الإله وما سواه عبيد وهو الرب وما سواه مربوب وهو الخالق وما

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 1]

معارج القبول 1

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 27]

سلم الوصل إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول صلى الله عليه و سلم بسم الله الرحمن الرحيم ... أبدأ باسم الله مستعينا ... راض به مدبر معينا ... والحمد لله كما هدانا ... إلى سبيل الحق واجتنانا ... أحمد سبحانه وأشكره ... ومن مساوي عملي أستغفره ... وأستعينه على نيل الرضا ... وأستمد لطفه في ما قضى ... وبعد إني باليقين أشهد ... شهادة الإخلاص أن لا يعبد ... بالحق مألوه سوى الرحمن ... من جل عن عيب وعن نقصان ... وأن خير خلقه محمدا ... من جاءنا بالبينات والهدى

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 28]

رسوله إلى جميع الخلق ... بالنور والهدى ودين الحق ... صلى عليه ربنا ومجدا ... والآل والصحب دواما سرمدا ... وبعد هذا النظم في الأصول ... لمن أراد منهج الرسول ... سألنى إياه من لا بد لي ... من امتثال سؤله الممتثل ... فقلت مع عجزي ومع إشفاقي ... معتمدا على القدير الباقي ...
مقدمة تعرف العبد بما خلق له و بأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم و بما هو صائر إليه إعلم بأن الله جل و علا ... لم يترك الخلق سدى وهملا ... بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه ... أخراج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر ... وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره ... وبعد هذا رسله قد ارسلا ... لهم وبالحق الكتاب أنزلا ... لكي بذا العهد يذكروهم ... وينذروهم ويبشروهم ... كي لا يكون حجة

للناس بل ... لله أعلى حجة عز وجل ... فمن يصدقهم بلا شقاق ... فقد وفى بذلك الميثاق ... وذاك ناج من عذاب النار ... وذلك الوارث عقبى الدار

ومن بهم وبالكتاب كذبا ... ولازم الإعراض عنه والإباء ... فذاك ناقض كلا العهدين ... مستوجب للخزي في الدارين ...
فصل
في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين و بيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة و الإثبات أول واجب على العبيد ... معرفة الرحمن بالتوحيد ... إذ هو من كل الأوامر أعظم ... وهو نوعان أيا منن يفهم ... إثبات ذات الرب جل وعلا ... أسمائه الحسنى صفاته العلى ... وأنه الرب الجليل الأكبر ... الخالق البارىء والمصور ... باري البرايا منشىء الخلائق ... مبدعهم بلا مثال سابق ... الأول المبدي بلا ابتداء ... والآخر الباقي بلا انتهاء ... الأحد الفرد القدير الأزلي ... الصمد البر المهيمن العلي ... علو قهر وعلو الشان ... جل عن الأضداد والأعوان ... كذا له العلو والفوقيه ... على عباده بلا كيفيه ... ومع ذا مطلع إليهم ... بعلمه مهيمن عليهم ... وذكره للقرب والمعيه ... لم ينف للعلو والفوقيه ... فإنه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه ... حي وقيوم فلا ينام ... وجل أن يشبهه الأنام ... لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ... ولا يكيف الحجا صفاته ... باق فلا يفنى ولا يبيد ... ولا يكون غير ما يريد ... منفرد بالخلق والإراده ... وحاكم جل بما أراده ... فمن يشأ وفقه بفضله ... ومن يشأ أضله بعدله

فمنهم الشقي والسعيد ... وذا مقرب وذا طريد ... لحكمه بالغة قضاءها ... يستوجب الحمد على اقتضاها ... وهو الذي يرى دبيب الذر ... في الظلمات فوق صم الصخر ... وسامع للجهر والإخفات ... بسمعه الواسع للأصوات ... وعمله بما بدا وما خفي ... أحاط علما بالجلي والخفي ... وهو الغني بذاته سبحانه ... جل ثناؤه تعالى شأنه ... وكل شىء رزقه عليه ... وكلنا مفتقر إليه ... كلم موسى عبده تكليما ... ولم يزل بخلقه عليما ... كلامه جل عن الإحصاء ... والحصر والنفاذ والفناء ... لو صار أقلاما جميع الشجر ... والبحر تلقى فيه سبعة أبحر ... والخلق تكتبه بكل آن ... فنت وليس القول منه فان ... والقول في كتابه المفصل ... بأنه كلامه المنزل ... على رسول المصطفى خير الورى ... ليس بمخلوق ولا بمفترى ... يحفظ بالقلب وباللسان ... يتلى كما يسمع

الأذان ... كذا بالأبصار إليه ينظر ... وبالأيادي خطة يسطر ... وكل ذي مخلوقة حقيقه ... دون كلام باريء الخليقه ... جلت صفات ربنا الرحمن ... عن وصفها بالخلق والحدثان ... فالصوت والألحان صوت القاري ... لكنما المتلو قول الباري ... ما قاله لا يقبل التبديلا ... كلا ولا أصدق منه قيلا ... وقد روى الثقات عن خير الملا ... بأنه عز وجل وعلا ... في ثلث الليل الأخير ينزل ... يقول هل من تائب فيقبل

هل من مسيء طالب للمغفرة ... يجد كريما قابلا للمعذره ... يمن بالخيرات والفضائل ... ويستر العيب ويعطي السائل ... وأنه يجيء يوم الفصل ... كما يشاء للقضاء العدل ... وانه يرى بلا إنكار ... في جنة الفردوس بالأبصار ... كل يراه رؤية العيان ... كما أتى في محكم القرآن ... وفي حديث سيد الأنام ... من غير ما شك ولا إبهام ... رؤية حق ليس يمترونها ... كالشمس صحوا لا سحاب دونها ... وخص بالرؤية أولياؤه ... فضيلة وحجبوا أعداؤه ... وكل ما له من الصفات ... أثبتها في محكم الآيات ... أو صح فيما قاله الرسول ... فحقه التسليم والقبول ... نمرها صريحة كما أتت ... مع اعتقادنا لما له اقتضت ... من غير تحريف ولا تعطيل ... وغير تمييف ولا تمثيل ... بل قولنا قول أئمة الهدى ... طوبى لمن بهديهم قد اهتدى ... وسم ذا النوع من التوحيد ... توحيد إثبات بلا ترديد ... قد أفصح الوحي المبين عنه ... فالتمس الهدى المنير منه ... لا تتبع أقوال كل مارد ... غاو مضل مارق معاند ... فليس بعد رد ذا التبيان ... مثقال ذرة من الايمان ...

فصل

في بيان النوع الثاني من التوحيد

وهو توحيد الطلب والقصد وانه هو معنى لا إله إلا الله ... هذا وثاني نوعي التوحيد ... إفراد رب العرش عن نديد ... أن تعبد الله إلها واحدا ... معترفا بحقه لا جاحدا

وهو الذي به الإله أرسلا رسله يدعون اليه أولا ... وأنزل الكتاب والتبيانا ... من أجله وفرق الفرقانا ... وكلف الله الرسول المجتبى قتال من عنه تولى وأبى ... حتى يكون الدين خالصا له ... سرا وجهرا دقة وجله ... وهكذا امته قد كلفوا ... بذا وفي نص الكتاب وصفوا ... وقد حوته لفظة الشهاده ... فهي سبيل الفوز والسعاده ... من قالها معتقدا معناها ... وكان عاملا بمقتضاها ... في

القول والفعل ومات مؤمنا ... يبعث يوم الحشر ناج آمنا ... فإن معناها الذي عليه ... دلت يقينا وهدت إليه ... أن ليس بالحق إله يعبد ... إلا الإله الواحد المنفرد ... بالخلق والرزق وبالتدبير ... جل عن الشريك والنظير ... وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت ... فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها ... العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما اقول ... والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما احبه ...

فصل

في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها

وان من صرف منها شيئا لغير الله فقد اشرك ... ثم العبادة هي اسم جامع ... لكل ما يرضى الإله السامع

وفي الحديث مخها الدعاء ... خوف توكل كذا الرجاء ... ورغبة ورهبة خشوع ... وخشية إنابة خضوع ... والاستعاذة والاستعانه ... كذا استغاثة به سبحانه ... والذبح والنذر وغير ذلك ... فافهم هديت أوضح المسالك ... وصرف بعضها لغير الله ... شرك وذاك اقبح المناهي ...

فصل

في بيان ضد التوحيد وهو الشرك

وانه ينقسم الى قسمين أصغر واكبر وبيان كل منهما ... والشرك نوعان فشرك اكبر ... به خلود النار إذ مسويا مضاهي ... يقصده عند نزول الضر ... لجلب خير أو لدفع الشر ... أو عند اي غرض لا يقدر ... عليه الا المالك المقتدر ... مع جعله لذلك المدعو ... او المعظم أو المرجو ... في الغيب سلطانا به يطلع ... على ضمير من اليه يفزع ... والثان شرك اصغر وهو الريا ... فسره به ختام الانبيا ... ومنه إقسام بغير الباري ... كما أتى في محكم الاخبار ...

فصل

في بيان أمور يفعلهاالعامة

منها ما هو شرك ومنها ما هو قريب منه

وبيان حكم الرقي والتمائم ... ومن يثق بودعة او ناب ... او حلقة أو أعين الذئاب

أو خيط أو عضو من النسور ... أو وتر أو تربة القبور ... لأي أمر كائن تعلقه ... وكله الله الى ما علقه ... ثم الرقى من حمة أو عين ... فإن تكن من خالص

الوحيين ... فذاك من هدى النبي وشرعته ... وذاك لا اختلاف في سنيته ... أما الرقى المجهولة المعاني ... فذاك وسواس من الشيطان وفيه قد جاء الحديث أنه ... شرك بلا مريه فاحذرنه ... إذا كل من يقوله لا يدري لعله يكون محض الكفر ... أو هو من سحر اليهود مقتبس ... على العوام لبسوه فالتبس ... فحذرا ثم حذار منه ... لا تعرف الحق وتنای عنه ... وفي التمائم المعلقات ... إن تك آيات مبينات ... فالاختلاف واقع بين السلف ... فبعضهم أجازها والبعض كف ... وإن تكن مما سوى الوحيين ... فإنها شرك بغير مين ... بل إنها قسيمة الأزلام ... في البعد عن سيما أولى الإسلام

فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أوحجر أو بقعة أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيدا وبيان أن الزيارة تنقسمم إلى سينة وبدعية وشركية ... هذا ومن أعمال أهل الشرك ... من غير ما تردد أو شك

ما يقصد الجهال من تعظيم ما ... لم يأذن الله بأن يعظما ... كمن يلذ ببقعة أو حجر ... أو قبر ميت أو ببعض الشجر ... متخذا لذلك المكان ... عيدا كفعل عابدي الأوثان ... ثم الزيارة على أقسام ... ثلاثة يا أمة الإسلام ... فإن نوى الزائر فيما أضمره ... في نفسه تذكرة بالأخره ... ثم الدعا له وللأموات ... بالعفو والصفح عن الزلات ... ولم يكن شد الرحال نحوها ... ولم يقل هجر كقول السفها ... فتلك سنة أتت صريحه ... في السنن المثبة الصحيحه ... أو قصد الدعاء والتوسلا ... بهم إلى الرحمن جل وعلا ... فبدعة محدثة ضلاله ... بعيدة عن هدي ذي الرسالة ... وإن دعا المقبور نفسه فقد ... أشرك بالله العظيم وحجد ... لن يقبل الله تعالى منه ... صرفا ولا عدلا فيعفو عنه ... إذ كل ذنب موشك الغفران ... إلا اتخاذ الند للرحمن ...

فصل

في بيان ما وقع فيه العامة اليوم ما يفعلون عند القبور وما يرتكبون من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات ... ومن على القبر سراجا أوقد ... أو ابتنى على الضريح مسجدا

فإنه مجدد جهارا ... لسنن اليهود والنصارى ... كم حذر المختار عن ذا ولعن ... فاعله كما روى أهل السنن ... بل قد نهى عن ارتفاع القبر ... وأن يزاد فيه فوق الشبر ... وكل قبر مشرف فقد أمر ... بأن يسوى هكذا صح الخبر ...

وحذر الأمة عن إطرائه ... فغرهم إبليس باسجرائه ... فخالفوه جهرة وأرتكبوا ... ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا ... فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ... ورفعوا بناءها وشادوا بالشيد والآجر والأحجار ... لا سيما في هذه الأعصار ... وللقناديل عليها أوقدوا ... وكم لواء فوقها قد عقدوا ... ونصبوا الأعلام والريات ... وافتتنوا بالأعظم الرفات ... بل نحروا في سواحها النحائر ... فعل أولي التسييب والبحائر ... والتمسوا الحاجات من موتاهم ... واتخذوا إلههم هواهم ... قد صادهم إبليس في فخاخه ... بل بعضهم قد صار من أفراخه ... يدعوا إلى عبادة الأوثان ... بالمال والنفس وباللسان ... فليت شعري من أباح ذلك ... وأورط الأمة في المهالك ... فيا شديد الطول والإنعام ... إليك نشكو محنة الأسلام

فصل
في بيان حقيقة السحر وحد الساحر وأن منه علم التنجم وذكر عقوبة من صدق كاهنا ... والسحر حق وله تأثير ... لكن بما قدره القدير ... أعني بذا التقدير ما قد قدره ... في الكون لا في الشرعة المطهره ... واحكم على الساحر بالتكفير ... وحده القتل بلا نكير ... كما أتى في السنة المصرحه ... مما رواه الترمذي وصححه ... عن جندب وهكذا في أثر ... أمر بقتلهم روى عن عمر ... وصح عن حفصة عند مالك ... ما فيه أقوى مرشد للسالك ... هذا ومن أنواعه وشعبه ... علم النجوم فادر هذا وانتبه ... وحلة بالوحي نصا يشرع أما بسحر مثله فيمنع ... ومن يصدق كاهنا فقد كفر ... بما أتي به الرسول العتبر ...
فصل
يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاثة مراتب
الأسلام والإيمان والإحسان وبيان أركان كل منها ... اعلم بأن الدين قول وعمل ... فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل

كفاك ما قد قاله الرسول ... إذا جاءه يسأله جبريل على مراتب ثلاث فصلة ... جاءت على جمعية مشتملة ... الأسلام والإيمان والأحسان ... والكل مبنى على اركان ... فقد أتى الأسلام مبنى على ... خمس فحقق ودار ما قد نقلا ... اولها الركن الأساس الأعظم ... وهو الصراط المستقيم الأقوم ركن الشهادتين فاثبت واعتصم ... بالعروة الوثقى التي لا تنقصم ... وثانيا إقامة الصلاة ...

وثالثا تأدية الزكاة ... والرابع الصيام فاسمع واتبع ... والخامس الحج على من يستطع ... فتلك خمسة وللايمان ... ستة أركان بلا نكران ... إيماننا بالله ذي الجلال ... وما له من صفة الكمال ... وبالملائكة الكرام البررة ... وكتبه المنزلة المطهره ... ورسله الهداة للانام ... من غير تفريق ولا إيهام ... أولهم نوح بلا شك كما ... ان محمد لهم قد ختما ... وخمسة منهم أولوا العزم الألى ... في سورة الأحزاب والشورى تلا ... وبالميعاد أيقن بلا تردد ... ولا ادعا علم بوقت الموعد ... لكننا نؤمن من غير امترا ... بكل ما قد صح عن خير الورى ... من ذكر آيات تكون قبلها ... وهي علامات وأشراط لها ... ويدخل الإيمان بالموت وما ... من بعده على العباد حتما ... وأن كلا مقعد مسؤول ... ما الرب ما الدين وما الرسول

وعند ذا يثبت المهيمن ... بثابت القول الذين آمنوا ... ويوقن المرتاب عند ذلك بأن ما مورده المهالك ... وباللقاء والبعث والنشور ... وبقيامنا من القبور غرلا حفاة كجراد منتشر ... يقول ذو الكفران ذا يوم عسر ... ويجمع الخلق ليوم الفصل ... جميعهم علويهم والسفلي ... في موقف يجل فيه الخطب ... ويعظم الهول به والكرب ... وأحضروا للعرض والحساب ... وانقطعت علائق الأنساب ... وارتكمت سجائب الأهوال ... وانعجم البليغ في المقال ... وعنت الوجوه للقيوم ... واقتض من ذي الظلم للمظلوم وساوت الملوك للاجناد ... وجىء بالكتاب والاشهاد ... وشهدت الأعضاء والجوارح وبدت السوءات والفضائح ... وابتلت هنالك السرائر ... وانكشف المخفى في الضمائر ... ونشرت صحائف الاعمال ... تؤخذ باليمين والشمال طوبي لمن يأخذ باليمين ... كتابه بشرى بحول عين ... والويل للآخذ بالشمال ... وراء ظهر للجحيم صالي ... والوزن بالقسط فلا ظلم ولا ... يؤخذ عبد بسوى ما عملا ... فبين ناج راجع ميزانه ... ومقرف أوبقه عدوانه ... وينصب الجسر بلا امتراء ... كما أتى في محكم الأنباء ... يجوزه الناس على أحوال ... بقدر كسبهم من الأعمال

فبين مجتاز إلى الجنان ... ومسرف يكب في النيران ... والنار والجنة حق وهما ... موجودتان لا فناء لهما ... وحوض خير الخلق حق وبه ... يشرب في الاخرى جميع حزبه ... كذا له لواء حمد ينشر ... وتحته الرسل جميعا تحشر ... كذا له الشفاعة العظمى كما ... قد خصه الله بها تكرما ... من بعد إذن الله لا كما يرى ... كل قبوري على الله افترى ... يشفع أولا إلى الرحمن في ... فصل

القضاء بين اهل الموقف ... من بعد أن يطلبها الناس إلى ... كل أولى العزم الهداة الفضلا ... وثانيا يشفع في استفتاح ... دار النعيم لأولي الفلاح ... هذا وهاتان الشفاعتان ... قد خصتا به بلا نكران ... وثالثا يشفع في أقوام ... ماتوا على دين الهدى الإسلام ... وأبقتهم كثرة الآثام ... فأدخلوا النار بذا الإجرام ... أن يخرجوا منها إلى الجنان ... بفضل رب العرض ذي الإحسان ... وبعده يشفع كل مرسل ... وكل عبد ذي صلاح وولي ... ويخرج الله من النيران ... جميع من مات على الإيمان ... في نهر الحياة يطرحونا ... فحما فيحيون ويبنتونا ... كأنما ينبت في هيئاته ... حب حميل السيل في حافاته ... والسادس الإيمان بالأقدار ... فأيقنن بها ولا تمار ... فكل شيء بقضاء وقدر ... والكل في أم الكتاب مستطر ... لا نؤ لا عدوى لا طير ولا ... عما قضى الله تعالى حولا ... لا غول لا هامة لا ولا صفر ... كما بذا أخبر سيدة البشر

وثالث مرتبة الإحسان ... وتلك أعلاها لدى الرحمن ... وهو رسوخ القلب في العرفان ... حتى يكون الغيب كالعيان ...

فصل

كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحله وأنه تحت المشيئة وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر

... إيماننا يزيد بالطاعات ... ونقصه يكون بالزلات ... وأهله فيه على تفاضل ... هل أنت كالأملاك أو كالرسل ... والفاسق الملي ذو العصيان ... لم ينفت عنه مطلق الإيمان ... لكن بقدر الفسق والمعاصي ... إيمانه ما زال في انتقاص ... ولا نقول إنه في النار ... مخلد بل أمره للباري ... تحت مشيئة الإله النافذه ... إن شا عفا عنه وإن شا آخذه ... بقدر ذنبه والى الجنان ... إن مات على الإيمان ... والعرض تيسير الحساب في النبا ... ومن يناقش الحساب عذبا ... ولا نكفر بالمعاصي مؤمنا ... إلا مع استحلاله لما جنى ... وتقبل التوبة قبل الغرغره ... كما أتي في الشرعة المطهره ... أما متى تغلق عن تغلق عن طالبها ... فبطلوع الشمس من مغربها

فصل

في معرفة نبينا محمد وتبليغه الرسالة وإكمال الله لنا الدين وأنه خاتم النبين وسيد ولد آدم أجمعين وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب ... نبينا محمد من هاشم ... إلى الذبيح دون شك ينتمي ... أرسله الله إلينا مرشدا ... ورحمة

للعالمين وهدى ... مولده بمكة المطهره ... هجرته لطيبة المنور ... بعد أربعين بدأ الوحي به ... ثم دعا إلى سبيل ربه ... عشر سنين أيها الناس اعبدوا ربا تعالى شأنه ووحدوا ... وكان قبل ذلك في غار حرا ... يخلو بذكر ربه عن الورى ... بعد خمسين من الأعوام ... مضت لعمر سيد الأنام ... أسرى به الله إليه في الظلم ... وفرض الخمس عليه وحتم ... وبعد أعوام ثلاثة مضت ... من بعد معراج النبي وانقضت ... أوذن بالهجرة نحو يثربا ... مع كل مسلم له قد صحبا ... وبعدها كلف بالقتال ... لشيعة الكفران والضلال ... حتى أتوا للدين منقادينا ... ودخلوا في السلم مذعينا ... وبعد أن قد بلغ الرساله ... واستنقذ الخلق من الجهالة ... وأكمل الله به الإسلاما ... وقام دين الحق واستقاما ... قبضه الله العلى الأعلى ... سبحانه إلى الرفيق الأعلى ... نشهد بالحق بلا ارتياب ... بأنه المرسل بالكتاب

وأنه بلغ ما قد أرسلا ... به وكل ما إليه أنزلا ... وكل من من بعده قد ادعى ... نبوة فكاذب فيما ادعى ... فهو ختام الرسل باتفاق ... وأفضل الخلق على الإطلاق ...

فصل

فيمن هو أفضلا الأمة بعد الرسول وذكر الصحابة بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم ... وبعد الخليفة الشفيق ... نعم نقيب الامة الصديق ... ذاك رفيق المصطفى في الغار ... شيخ المهاجرين والانصار ... وهو الذي بنفسه تولى ... جهاد من عن الهدى تولى ... ثانيه في الفضل بلا ارتياب ... الصادع الناطق بالصواب ... أعني بهه الشهم أبا حفص عمر ... من ظاهر الدين القويم ونصر ... الصارم المنكي على الكفار ... وموسع الفتوح في الأمصار ... ثالثهم عثمان ذو النورين ... ذو الحلم والحيا بغير مين ... بحر العلوم جامع القرآن ... منه استحت ملائك الرحمن ... بايع عنه سيد الأكوان ... بكفه في بيعة الرضوان ... والرابع ابن عم خير الرسل ... أغنى الإمام الحق ذات القدر العلي ... مبيد كل خارجي مارق ... وكل خب رافضي فاسق ... من كان للرسول في مكان ... هارون من موسى بلا نكران ... لا في نبوة فقد قدمت ما ... يكفي لمن من سوء ظن سلما

فالستة المكملون العشره ... وسائر الصحب الكرام البرره ... وأهل بيت المصطفى الأطهار ... وتابعوه السادة الأخيار ... فكلهم في محكم القرآن ...

أثنى عليهم خالق الأكوان ... في الفتح والحديد والقتال ... وغيرها بأكمل الخصال ... كذاك في التوراة والأنجيل ... صفاتهم معلومة التفصيل ... وذكرهم في سنة المختار ... قد سار سير الشمس في الأقطار ... ثم السكوت واجب عما جرى ... بينهم من فعل ما قد قدرا ... فكلهم مجتهد مثاب ... وخطؤهم يغفره الوهاب ...

خاتمة

في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الأختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد ... شرط قبول السعى أن يجتمعا ... فيه إصابة وإخلاص معا ... لله رب العرش لا سواه ... موافق الشراع الذي ارتضاه ... وكل ما خالف للوحيين ... فإنه رد بغير مين ... وكل ما فيه الخلاف نصبا فرده إليهما قد وجبا ... فالدين إنما أتى بالنقل ... ليس بالأوهام وحدس العقل ... ثم إلى هنا قد انتهيت وتما ما بجمعه عنيت ... سميته بسلم الوصول ... إلى سما مباحث الأصول

والحمد لله على انتهائي كما حمدت الله في ابتدائي ... أسأله مغفرة الذنوب ... جميعها والستر للعيوب ... ثم الصلاة والسلام ابدا ... تغشى الرسول المصطفى محمدا ... ثم جميع صحبه والآل ... السادة الأئمة الأبدال ... تدوم سرمدا بلا نفاذ ... ما جرت الأقلام بالمداد ... ثم الدعا وصية القراء ... جميعهم من غير ما استثناء ... أبياتها يسر بعد الجمل ... تأريخها الغفران فافهم فانهم وادع لي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي ممن الذل وما كان معه مت إله الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير عالم الغيب والشهادة الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها كيف لا وهو الذي خلق وقدر ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير رحمن الدنيا و الآخرة ورحيمهما الذي كتب

على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين الذي وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الآرض بعد موتها إن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال ألا له الخلق الامر تبارك الله رب العالمين لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين له ملك السموات و الأرض وما بينهما

وإليه المصير القدوس الذي اتصف بصفات الكمال وتقدس عن كل نقص ومحال وتعالى عن الأشباه والأمثال حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير المؤمن الذي آمن أولياءه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخره عذاب الهاوية وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية إنه بعباده لخبير بصير العزيز الذي لا مغالب له ولا مرام لجنابه الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به المتكبر الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه العظمة إزاره والكبرياء رداؤه فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والإرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير ما خلقكم وما بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة القهار الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره الوهاب الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله الغزير يرزق كل ذي قوت قوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرا متقنا محكما يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر مسلم أموالا وأولادا وأهلا وخدما ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته قضى ذلك قضاء حتما مبرما وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير الفتاح الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم يفتح على هذا مالا وعلى هذا ملكا وعلى هذا علما وحكمة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك

فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماض وآت ظاهر وكامن ومتحرك

وساكن وجليل حقير علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره ولا بحر إلا ويدري ما في قعره وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير القابض الباسط فيقبض عمن يشاءء رزقه فيقدره عليه ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم كل ذلك إليه إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير الخافض الرافع الضار النافع المعطي المانع فلا رافع لمن خفض ولا خافض لمن رفعه ولا نافع لمن ضر ولا ضار لمن نفعه ولا مانع لما أعطى ولا معطي لمن هو مانع فلو أجتمع أهل السموات السبع والأرض والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير المعز المذل الذي أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة فما لمن والاه وأعزه من مذل وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الودحى القائل لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى فمن نفي عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبا وقد خاب من افتري لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولا وفعلا إن ربي على صراط مستقيم فلا يحيف في حكمه ولا يجور وما ربك بظلام للعبيد الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما ووعد الظالمين الوعيد الأكيد وفي الحديث إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا بل يحصي عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقمطير اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفوا ورحمة وفضلا وإحسانا ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلا وإجمالا وسرا وإعلانا الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وآفعالهم ماذا عملوا وكيف عملوا وأين عملوا ومتي عملوا حقيقة وكيفة ومكانا وزمانا إنها إن تك مثقال حبة من خرول فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير الحليم فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء وذل لعزته وكبريائه كل كبير الغفور الشكور الذي يغفر الكثير من الزلل ويقبل اليسير من صالح العمل فيضاعفه أضعافا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل وكل هذا لأهل التوحيد أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير العلي الذي ثبت له كل معاني العو علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائنا من جميع المخلوقات كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله في أصح الروايات وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير الكبير الذي كل شيئ دونه والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصا بينا محكما الحفيظ على كل شئ فلا يعزب عنه مثقال درة في الأرض ولا في السماء الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما حفظ أولياءه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير المغيث لجميع مخلوقاته فما استغاثه

ملهوف إلا نجاه الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه ومن يتوكل على الله فهو حسبه فنعم المولى ونعم النصير الجليل الذي جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال الكريم الذي لو أن إول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألة ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالأحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير الرقيب على عباده بأعمالهم العليم بأقوالهم وأفعالهم الكفيل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم المجيب لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير الواسع الذي وسع كل شئ علما ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرما وحلما يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الحكيم

في خلقه وتدبيره إحكاما وإتقانا والحكيم في شرعه وقدره عدلا وإحسانا وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ومن أكبر من الله شهادة وآوضح دليلا وأقوم برهانا فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل فله الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الودود الذي يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان وفي أي وقت من الأوقات فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو الستير المجيد الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد الشهيد الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدا أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير القوي المتين الذي لم

يقم لقوله شيئ وهو الشديد المحال الولي للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه وإذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال الحميد الذي ثبت له جميع أنواع المحامد وهل يثبت الحمد إلا لذي العزة والجلال فله الحمد كما يقول وخيرا مما نقول لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وكيف يحصي العبد الضعيف ثناء على العلي الكبير المحصي الذي أحصى كل شيئ عددا وهو القائل و كل شيء آحصيناه في إمام مبين يس 21 المبدئ المعيد الذي قال وهو أصدق القائلين كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين الأبياء 401 وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه الروم 72 وأنى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئا كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير المحيي المميت الذي انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنا وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام الحي الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال تعالي كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام الرحمن 072 القيوم الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ومن آياته إن تقوم السماء والأرض بأمره فلا يحتاج إلى شيئ إليه فقير الواحد الأحد الذي لا شريك له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله لا ضد له ولا ند ولا شبيه ولا كفؤ ولا عديل الصمد الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب فإليه منتهى الطلبات ومنه يسأل قضاء الحاجات وهو الذي لا تعتريه الآفات وهو حسبنا ونعم الوكيل فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم

الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في صفات الكمال ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل القادر المقتدر الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه على كل شيئ قدير المقدم المؤخر بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة على وفق ما قدره وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا

تغيير الأول فليس قبله شيئ والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيئ والباطن فليس دونه شيء هكذا فسره البشير النذير الوالي فلا منازع له ولا مضاد المتعالي عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد البر وصفا وفعلا ومن بره المن على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسله أنه لا يخلف الميعاد التواب الذي يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير المنتقم الذي لم يقم لغضبه شيء وهو الشديد العقاب والبطش والأنتقام العفو بمنه وكرمه عن الذنوب والآثام الرؤوف بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام فقال تعالي يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيئ قدير التحريم 8 مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ذي الجلال والإكرام والعزة والبقاء والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء المقسط الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير الجامع لشتات الأمور وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد الغني المغني فلا يحتاج إلى شيئ ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه معصية العاصين من العباد وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى بهم عن بابه طرفة عين وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه وقال مستعيذا به أعوذ بنور وجهك الذي

أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله فبصفات ربنا تعالى نؤمن ولكتابه وسنة رسوله نحكم وبحكمهما نرضى ونسلم وإن أبي الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقي في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فصلت 04 الهادي الذي بيده الهداية والإضلال فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا الكهف 71 من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الأنعام 93 قل إن هدي الله هو الهدى البقرة 021 ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير لقمان 02 البديع الذي أبدع السموات والارض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير الرشيد في كل أقواله وآفعاله فبالرشاد يإمر عباده وإليه يهديهم الصبور الذي لا أحد آصبر منه على أذي سمعه ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم يعافيهم ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ولا ضره فيضروه وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم ووبال عصيانهم عليهم واستغني الله والله غني حميد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك علي الله يسير أحمده تعالى على جريل إنعامه وإفضاله وآشكره على جليل إحسانه ونواله وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله وله الحمد على

عدله قدرا وشرعا وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير وآشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق العلي الكبير تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير وتقدس في أحديته وصمديته عن الصاحبة والولد والوالد والولي والنصير وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفؤ والنظير وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين والمشير وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيوميته عن المطعم والمجير وآشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله البشير النذير المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدي المنير بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين وأنزل عليه كتابه المهمين والنور المبين والهدي المستبين والمنهج المستنير والشرك مضطرمة ناره طائر شراره مرتفع غباره لا مغير له ولا نكير فقام بتبليغ الرسالة حق القيام وجاهد في الله حق جهاده إعلاء لكلمة الله الملك العلام حتى جاء الحق

ورهق الباطل وأدبر ليل الكفر والضلالة وانفجر الإيمان والإسلام ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وآشرقت أنواره ونكست راية الشرك انكسرت شوكته وخمدت ناره ورمى بناؤه بالدمدمة والتكسير والتدمير وعلى آله وصحبه شموس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم وتابعيهم والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم الحشر 01 وعلى من اقتفي أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم وجعلنا من المقتدين بهم المهتدين بهديهم المتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهما نسير أما بعد فاعلموا رحمكم الله أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق به وآرسل به رسله إليهم وآنزل به كتبه عليهم ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة

والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلي حسب ذلك تقسم الأنوار ومن لم يجعل الله له وصفاته وتوحيده بذلك ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل والتشبيه والتشبه واجتناب ذلك والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها فإن الله تعالى أنزل كتابه تبيانا لكل شيئ وتفصيل كل شيئ وقال ما فرطنا في الكتاب من شيئ الأنعام 53 وقال ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الفرقان 33 وأرسل رسوله بذلك الكتاب مبلغا ومبينا ليقرأه على الناس علي مكث ويبينه لهم أتم البيان ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ويديهم به إلي صراط مستقيم فقال تعالى وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيئ النحل 98 وقال تعالى ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون النحل 46 وقال تعالى وأنزلنا عليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون النحل 44 وقال تعالي وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدي ورحمة لقوم يؤمنون النحل 46 وقال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم المائدة 51 612 ولا شفاء للقلوب والآرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والاستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا

الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم الأنفال 02 42 الآيات

وقال تعالى إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون 63 ولم ينج الله تعالى من عذابه ولم يكتب رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله كما قال تعالى عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسمعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الآمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون الأعراف 651 751 وقد كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة كما قال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون الأعراف 851 وقال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون سبأ 82 ولم يتوفه الله تعالى حتى أكمل له الدين وبلغ البلاغ المبين وبين للناس ما نزل إليهم أوضح البيين وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك وما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علما وهدى الله به اذين آمنوا لم االختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كما قال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم البقرة 312 قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وكذلك هي في قراءة عبد الله وأبي بن

كعب وهذا التفسير مروي عن قتادة ومجاهد أيضا وقوله وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم أي من بعد ما قامت الحجج عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض وقوله تعالى فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فنحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه وهدانا لله فالناس لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى رواه عبد الرزاق وهو في الصحيح من طرق بألفاظ وعن عبد الرحمن بن زيد بن إسلم عن أبيه في قوله تعالى فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق فإذنه فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد فهدى الله امة محمد ليوم الجمعة واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى الشرق واليهود بيت المقدس وهدى الله تعالى أمة محمد للقبلة واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدى الله تعالى أمة محمد للحق من ذلك واختلفوا في إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى نصرانيا وجعله الله حنيفا مسلما فهدي الله أمة محمد إلى الحق من ذلك واختلفوا في عيسي عليه الصلاة والسلام فكذبت به اليهود وقالوا لأمة بهتانا عظيما وجعلته النصارى إلها وولدا وجعله الله تعالى روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد

إلى الحق من ذلك وقال الربيع بن أنس في قوله عز وجل فهدى الله الذين أمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه أي عند الآختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الأختلاف أقاموا علي الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الأختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون وأن رسلهم قد بلغوهم وأنهم كذبوا رسلهم وفي قراءة أبي بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وكان أبو العالية رحمه الله تعالى يقول في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام يصلي من الليل قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا في يختلفون إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وفي الدعاء المأثور اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماما

اختلاف الفرق الإسلامية
واعلم أنه كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة أنهم اختلفوا اختلافا شديدا شديا وافترقوا افتراقا بعيدا وفي ذلك أعظم واعظ وأكبر زاجر عن الأختلاف والتفرق

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 60]

ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك عليه بل زجرنا عن الأختلاف زجرا شديدا وتوعد على ذلك وعيدا أكيدا فقال تعالي ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه آل عمران 501 601 قال ابن عباس رضي الله عنهما تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدع والإختلاف ثم فصل تعالى مآل الفريقين وأين توصل أهلها كل من الطريقين فقال تعالى فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون آل عمران 601 501 وحذرنا عن ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال صلى الله عليه وسلم ألا وإن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الجماعة وفي بعض الروايات هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق من الأفتراق وتفاقم الأمر وعظم الشقاق فاشتد الاختلاف ونجمت البدع والنفاق

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 61]

فافترقوا في إسماء الله تعالى وصفاته إلى نفاة معطلة وغلاة ممثلة وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة وفي باب أفعال الله وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية نفاة وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رسول الله وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة ألى غير ذلك من فرق الضلال وطوائف البدع والانتحال وك لطائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فرقا وتشعبت طرقا وكل فرقة تكفر صاحبتها وتزعم أنها هي الفرقة الناجية المنصورة
الفرق الناجية المنصورة
وقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه وليس أحد من هؤلاء كذلك بل إنهم قد

ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلا من طريق سننه المروية وآثاره المصطفوية التي هي الشريعة الغراء والمحجة البيضاء وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها وإنما تصلح هده الصفة لحملتها وحفاظها ونقادها المنقادين لها المتمسكين بها الذابين عنها يقفون يقفون عندها ويسيرون بسيرها لا ينحرفون عنها يمينا ولا شمالا ولا يقدمون عليها لأحد مقالا ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم ولا يضرهم ذلك حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة وجيش دولتها المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها وفقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فآمنوا بما أخبر الله به من كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في سنته وتلقوه بالقبول والتسليم إثباتا بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيها بلا تحريف ولا تعطيل فهم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية وفي باب

وعيدالله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج فهم والله أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة وآقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة فانتدبوا لنصرة الدين دعوة وجهادا وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى ولم يخشوا في الله لومة لائم ولم يبالوا بعداوة من عادى فقهروا البدع المضلة وشردوا بأهلها واجتثوا شجرة الألحاد بمعاول السنة من أصلها فبهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل العديدة وصنفوا في رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة فمنهم المتقصي للرد على الطوائف بأسرها ومنهم المخلص لعقائد السلف الصالح من غيرها ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين إلا ويقيض الله لها جيشا من عباده المخلصين فحفظ الله بهم دينه على العباد وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد وذلك مصداق وعد الله عز وجل بحفظه الذكر الذي أنزله كما قال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الحجر 9 وإعلاء لكلمته وتأييدا لحزبه إذ يقول وإن جندنا لهم الغالبون الصافات 371

سبب نظم المتن وتأليف الشرح

وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبين أن أنظم مختصرا يسهل حفظه على الطالبين ويقرب مناله للراغبين يفصح عن عقيدة السلف الصالح ويبين فأجبته الى ذلك مستعينا بالله راجيا الثواب من الله قائلالا حول ولا قوة إلا بالله وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه علي ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو

أقبح المحظور وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور فيسر الله تعالى ذلك بمنه وإفضاله وأعانني وله الحمد والمنة على إكماله وسميته سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول فلما انتشر بأيدي الطلاب وعظمت فيه رغبة الأحباب سئل مني أن أعلق تعليقا لطيفا يحل مشكله ويفصل مجمله مقتصرا على ذكر الدليل ومدلوله من كلام الله تعالى وكلام رسوله فاستخرت الله تعالى بعلمه واستقدرته بقدرته فعن لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول مستمدا من الله تعالى الإعانة على نيل السول وسميته معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول والله أسأل أن يعين على إكماله بمنه وفضله وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله وان يهدينا الصراط المستقيم ويجعلنا من انصار التوحيد واهله انه سميع قريب مجيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم
شرح مقدمة المنظومة ... أبدآ باسم الله مستعينا ... راض به مدبرا معينا ... أأبدأ في جميع حركاتي وسكناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كله ومنه هذا التصنيف باسم الله متبركا ومستعينا به أو إياه بالباء وبدونه أي طالبا منه العون على فعل طاعته وترك معصيته كما قال تعالى معلما لنا في فاتحة الكتاب إياك نعبد وإياك نستعين الفاتحة 5 وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا سألت فاسأل الله وإذا أستعنت فاستعن بالله وهو خطاب شامل لجميع الأمة وفي ضمن ذلك الامر الواقع في جواب الشرط نهى لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدر الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تطلب الإعانة منه على فعل غيره والعاقل يفهم ذلك بادئ بدء

خلاصة القول في تفسير البسملة
والكلام على تفسير البسملة مستوفى في كتب المفسرين ولنذكر خلاصة ذلك فنقول الباء أداة تخفض ما بعدها ومعناها في البسملة الاستعانة وتطويلها في القرآن تعظيما لكتاب الله عز وجل وإسقاط الألف من الإسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل على السقوط ولذلك لما كتبت الألف في اقرأ باسم ربك الذي خلق العلق 1 ردت الباء إلى هيئتها والإسم هو المسمى وعينه وذاته فإنك تقول يا الله يا رحمن يا رحيم فتدعوه بأسمائه التي سمى بها نفسه كما قال تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها الأعراف 081 وقال تعالى قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله بها الاسماء الحسنى الإسراء 011 ولو كانت أسماء الله غيره لكان الداعي بها مشركا إذ دعا مع الله غيره ولكانت مخلوقة إذ كل ما سوى الله مخلوق وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء الله تعالى وصفاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وسيأتي بسط القول في ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على الأسماء الله علم على ذاته تبارك وتعالى وكل الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى ولله الأسماء الحسنى الإسراء 011 وقال تعالى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى طه 8 ألا ترى أنك تقول الرحمن من اسماء الله تعالى والرحيم من اسماء الله ونحو ذلك الله من اسماء الرحمن وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين إسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة واختلفوا في كونه مشتقا أو لا ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء

على الألف واللام وقال آخرون إنه مشتق واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال آقواها أنه مشتق من أله يأله إلاهة فأصل الإسم الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبا فقيل الله ومن أقوى الأدله عليه قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الإرض الأنعام 3 مع قوله عز وجل وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله الزخرف 48 ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له ومعني أله يأله إلهة عبد يعبد عبادة فالله المألوه أي المعبود ولهذا الإسم خصائص لا يحصيها إلا الله عز وجل وقيل إنه هو الإسم الأعظم

الرحمن الرحيم إسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم فالرحمن يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى طه 5 والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما الأحزاب 74 ذكره ابن جرير بسنده عن العزرمي بمعناه وفي الدعاء المأثور رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما

والظاهر المفهوم من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة واسمه الرحيم يدل الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة الى المرحوم فلهذا قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما إنه بهم رؤف رحيم التوبة 711 ولم يأت قط إنه بهم رحمن ووصف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه رءوف رحيم فقال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم التوبة 821 ولم يصف قط أحدا من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك والله أعلم
راض خبر لمبتدأ محذوف تقديره وأنا راض به أي بالله عز وجل مدبرا حال من الضمير المجرور أي بتدبيره لي في جميع شؤوني فإن أزمة الأمور بيده وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدر ما لا نقدر وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيئ علما الطلاق 12 ومعينا لي على جميع أموري الدينية والدنيوية فإني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ولا علم لي إلا ما علمنيه فلا أعبد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجأ ولا ملجأ منه إلا إليه
القول في حمد الله وشكره والاستعانة به ... والحمد لله كما هدانا ... إلي سبيل الحق واجتبانا ...
أي و وأثنى بحمده فأقول الحمد لله كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال الحمد لله رب العالمين وأمر بذلك عباده فقال تعالى مخاطبا لنبيه خطابا يدخل فيه جميع أمته قل الحمد لله النمل 95 فله الحمد كالذي يقول وخيرا مما نقول سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة وله الحمد في الأولى والآخرة وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال صلى الله عليه وسلم أما إن ربك يحب

الحمد رواه أحمد والنسائي وعن الحكم بن عمير رضي الله عنه وكانت له صحبة قال قال رسول الله اذا قلت الحمد لله فقد شكرت الله فزادك رواه ابن جرير وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى ليعني من هدايته للحمد أفضل مما أخذ رواه ابن ماجه وللقرطبي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك قال القرطبي وغيره أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا

الكهف 64 وقال علي رضي الله عنه الحمد لله كلمة أحبها الله تعالى لنفسه و رضيها لنفسه وأحب أن تقال وقال ابن عباس رضي الله عنهما الحمد لله كلمة الشكر وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي وقال رضي الله عنه الحمد لله كلمة كل شاكر وقال رضي الله عنه الحمد لله هو الشكر لله هو استخذاء له والإقرار له بنعمته وهدايته و ابتدائه وغير ذلك وقال الضحاك الحمد لله رداء الرحمن وقال كعب الأحبار الحمد لله ثناء الله وفي معنى الحمد لله وفضلها آثار غير ما ذكرنا لا تحصى ولما كان من أكبر نعم الله علينا وأجل مننه الواصلة إلينا هدايته إيانا الى صراطه المستقيم الذي هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد غيره ناسب الثناء عليه بها فقلت كما هدانا أي على ما هدانا إرشادا ودلالة بكتبه ورسله وتوفيقا وتسديدا بمشيئته وقدره الى سبيل الحق وهو دين الإسلام والإيمان واجتبانا له وبذلك قال تعالى ممتنا علينا وله الحمد و المنة واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين البقرة 891 وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و الحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين آل عمران 461 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير الحج 77 87 ولما كان الحمد الخبري أبلغ من الإنشائي لدلالته

على الثبوت والاستمرار قدمته عليه أولا ثم عطفت عليه الإنشائي جمعا بينهما فقلت ... أحمده سبحانه وأشكره ... ومن مساوي عملي أستغفره ... أحمده أي أنشىء له حمدا آخر متجددا على توالي نعمه وتواتر فضله فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه سبحانه أي تنزيها له عما ... يليق بنعوت جلاله و صفات كماله وهذه العبارة تتضمن معنى قوله في الحديث المتفق عليه كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأشكره على ما أنعم وألهم امتثالا لقوله عز وجل فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون البقرة 251 و اختلف العلماء في معنى الحمد و الشكر هل هما مترادفان أو لا فذهب الى ترادفهما ابن جرير الطبري صاحب التفسير وجعفر الصادق وغيرهما وذهب جماعة من المتأخرين الى التفرقة بينهما وقال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله تعالى الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان الإحسان الى الحامد أو لم يكن و الشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر فمن هذا الوجه الحمد اعم من الشكر لأنه يكون على المحاسن والإحسان فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسني والمثل الأعلى وما خلقه في الآخرة والأولى ولهذا قال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ

ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل الإسراء 111 وقال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور الأنعام 1 وقال تعالى الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة الأنعام 1 وقال تعالى الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء فاطر 1 وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام فهو أخص من الحمد من هذا الوجه لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل ... أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي و لساني والضمير المحجبا ...
ولهذا قال تعالى إعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور سب أ 31 و الحمد يكون بالقلب و اللسان فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه والحمد أعم من جهة أسبابه وفي الحديث الحمد لله رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها

والله أعلم انتهى كلامه رحمه الله تعالى ومن مساوئ جمع مساءة عملي مضاف اليه من إضافة الصفة إلى الموصوف استغفره السين للطلب أي أطلب منه مغفرة تلك المساوئ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة

سواه مخلوق وهو الأول فليس قبله شيئ وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن وهو الآخر الباقي فليس بعده شيئ وما سواه فان فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية أذ كل ما سواه كذلك تعالي الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
أسماء الله غير مخلوقة وقال عثمان بن سعيد الدارمي نقمة الله على بشر المريسي وذويه باب الإيمان بأسماء الله تعالى وأنها غير مخلوقة قال ثم اعترض المعترض يعني ابن الثلجي أسماء الله تعالى المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي فادعي أن أسماء الله غير الله وأنها مستعارة مخلوقة كما أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص يعني الخبيث أن الله تعالى كان مجهولا كشخص مجهول لا يهتدي لاسمه ولا يدري ما هو حتي خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروه إياها من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق قال ومن ادعى التأويل في أسماء الخلق قال ومن ادعى التأويل في أسماء الله فقد نسب الله تعالى الى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلي الخلق لأن المستعير محتاج مضطر والمعير أبدا أعلى منه وأغنى ففي هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملا لا يدري ما اسمه والله المتعالي عن هذا الوصف المنزه عنه لأن أسماء الله تعالى هي تحقيق صفاته سواه عليك قلت عبدت الله أو عبدت الرحمن أو الرحيم أو الملك العزيز الحكيم وسواء على الرجل قال كفرت بالله أو قال كفرت بالرحمن الرحيم أو بالخالق العزيز الحكيم وسواء عليك قلت عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز أو عبد المجيد وسواء عليك قلت يا الله أو يا رحمن أو يا رحيم أو يا مالك يا عزيز يا جبار بأي اسم دعوته من هذه الأسماء أو أضفته إليه فإنما تدعو الله نفسه من شك فيه فقد كفر وسواء عليك قلت ربي الله أو ربي الرحمن كما قال تعالى وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون الصف 81 وقال تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض الصف 1 وقال وسبحوه بكرة وأصيلا الأحزاب 24 كذلك قال في الإسم سبح اسم ربك الأعلى كما قال تعالى

يسبح لله ولو كان الإسم مخلوقا مستعارا غير الله لم يأمر الله تعالى أن يسبح مخلوق غيره وقال تعالى له الأسماء الحسني يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الحشر 42 ثم ذكر الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل بأسمائها المخلوقة المستعارة فقال تعالى أن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم النجم 32 وكذلك قال هود لقومه حين قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا الأعراف 07 فقال لهم نبيهم أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم الأعراف 17 يعني أن أسماء الله تعالى لم تزل كما لم يزل عز وجل وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام والآلهة التي عبدوها من دونه فإن لم تكن أسماء الله بخلافها فأي توبيخ لأسماء هذه الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماؤها وأسماء الله تعالى مخلوقة مستعارة عندكم بمعنى واحد وكلها من تسمية العباد وتسمية آبائهم بزعمهم ففي دعوى هذا المعارض أن الخلق عرفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن الله عرفهم بها نفسه فأي تأويل أوحش في أسماء الله تعالى من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول أو بيت أو شجرة أو بهيمة لم يسبق لشيئ منها اسم ولم يعرف ما هو حتى عرفه الخلق بعضهم بعضا ولا تقاس أسماء الله تعالى بأسماء الخلق لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم وأسماء الله تعالي صفاته ليس شيئ منها مخالفا لصفاته ولا شيئ من صفاته مخالفا لأسمائه فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر لأنك إذا قلت الله فهو الله وإذا قلت الرحمن فهو الرحمن و هو الله فإذا قلت الرحيم فهو كذلك وإذا قلت حكيم عليم حميد مجيد جبار متكبر قاهر قادر فهو كذلك وهو الله سواء لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسما وقد يسمى الرجل حكيما وهو جاهل وحكما وهو ظالم وعزيزا وهو حقير وكريما وهو لئيم وصالحا وهو طالح وسعيدا وهو شقي و محمودا وهو مذموم وحبيبا وهو بغيض وأسدا وحمارا وكلبا وجديا وكليبا وهرا وحنظلة وعلقمة وليس كذلك والله تعالى وتقدس اسمه كل أسمائه سواء لم يزل كذلك ولا يزال لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك كان خالقا قبل المخلوقين ورازقا قبل المرزوقين وعالما قبل

المعلومين وسميعا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين وبصيرا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى طه 5 وقال الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوي على العرش السجدة 4 وقال في موضع ثم استوى على العرش الرحمن الفرقان 95 لأنهما بمعني واحد ولو كان كما ادعي المعارض يعني ابن الثلجي وإمامه المريسي لكان الخالق والمخلوق استويا جميعا على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقة

عندهم إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف لأن لحدوث الخلق حدا ووقتا وليس لأزلية الله تعالى حد ولا وقت لم يزل ولا يزال وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس فقال أرأيت لو كتبت إسما في رقعة ثم احترقت الرقعة إليس إنما تحرق الرقعة ولا يضر الإسم شيئا فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه إن الرقعة وكتابة الإسم ليس كنفس الإسم إذا احترقت الرقعة احترق الخط وبقي اسم الله له وعلي لسان الكاتب لم يزل قبل أن يكتب لم تنقص النار من الإسم ولا ممن له الإسم شيئا وكذلك لو كانت أسماء الخلوقين لم تنقص النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئا وكذلك لو كتبت الله بهجائه في رقعة ثم أحرقت الرقعة لاحترقت الرقعة وكان الله سبحانه بكماله على عرشه وكذلك لو صور رجل في رقعة ثم ألقيت في النار لاحترقت الرقعة ولم يضر المصور شيئا و كذلك القرآن لو احترقت المصاحف كلها لم ينقص من القرآن نفسه حرف واحد وكذلك لو احترق القراء كلهم أو قتلوا أو ماتوا لبقي القرآن بكماله كما كان لم ينقص منه حرف واحد لأنه منه بدا وإليه يعود عند فناء الخلق بكماله غير منقوص وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن كان القرآن عنده مخلوقا من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه في دعواه وكذلك أسماء الله تعالى عنده من ابتداع البشر من غير أن يقول تعالى إني أنا الله رب العالمين القصص 03 بزعمه قط وزعم أني متى اعترف بأن الله تعالى تكلم ب إني أنا الله رب العالمين لزمني أن أقول تكلم بالقرآن ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبنا في القرآن وقد كسره عليهم علي رغم أنوفهم فقال إني أنا الله رب

العالمين ولا يستحق مخلوق أن يتكلم بهذا فإن فعل ذلك كان كافرا كفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى النازعات 42 فهذا الذي ادعوا في أسماء الله عز وجل أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محنتهم وأسسوا بها ضلالتهم غالطوا بها الأغمار والسفهاء وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذهبهم فإن الفقهاء منهم لعلى يقين أرأيتم قولكم إن أسماء الله مخلوقة فمن خلقها وكيف خلقها أجعلها أجساما وصورا تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء أم موضعا دونه في الهواء فإن قلتم لها أجسام دونه فهذا ما تنقمه عقول العقلاء وإن قلتم خلقها في ألسنة العباد فدعوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن الله تعالى كان بزعمكم مجهولا لا اسم له حتي أحدث الخلق فأحدثوا له أسماء من مخلوق كلامهم فهذا هو الإلحاد في أسماء الله والتكذيب بها قال الله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين افاتحة 2 4 كما يضيفه إلى رب العالمين ولو كان كما ادعيتم لقيل الحمد لله رب العالمين المسمى الرحمن الرحيم مالك

يوم الدين وكما قال الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق آل عمران 2 3 كما قال تنزيل الكتاب من الله النصر 1 كذلك قال تنزيل من الرحمن الرحيم تنزيل من حكيم حميد وإنك لتلقى بالقرآن من لدن حكيم عليم النمل 6 كلها بمعنى واحد وكلها هي الله والله هو أحد أسمائه إلى أن قال وكما قال تعالى في كتابه أنا الله رب العالمين كذلك قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أنا الرحمن ثم روى بسنده حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها من إسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته 1 فيقول الله تعالي

أنا شققت لها من إسمي وادعت الجهمية مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الإسم الذي شقها منه ومن أين علم الخلق آسماء الخالق قبل تعليمه إياهم فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين حتى علمهم الله تعالى من عنده وكان بدء علمها منه فقال تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما آنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وآعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون البقرة 13 33 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين إسما ومن أحصاها وحفظها دخل الجنة وساق الأسماء الحسنى كما قدمنا ثم قال فهذه كلها أسماء

الله تعالى لم تزل له كما لم يزل بأيها دعوت فإنما تدعو الله نفسه قال و لن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله تعالى لم يزل إلها واحدا بجميع أسمائه و جميع صفاته لم يحدث له منها شيء كما لم تزل وحدانيته انتهى كلامه رحمه الله تعالى و اختلف العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم من احصاها فقال البخاري و غيره من المحققين معناه حفظها و أن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى و قال الخطابي يحتمل وجوها أحدها أن يعدها حتى يستوفيها بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها و يثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب و ثانيها المراد بالإحصاء الإطاقة و المعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء و العمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجبها فإذا قال الرزاق وثق بالرزق و كذا سائر الأسماء ثالثها

المراد بها الإحاطة بجميع معانيها وقيل أحصاها عمل بها فإذا قال الحكيم سلم لجميع أوامره و أقداره و أنها جميعها على مقتضى الحكمة و إذا قال القدوس استحضر كونه مقدسا منزها عن جميع النقائض و اختاره أبو الوفاء بن عقيل و قال ابن بطال طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم و الكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها يعني فيما يقوم به وما كان يختص به نفسه كالجبار و العظيم فعلى العبد الإقرار بها و الخضوع لها و عدم التحلي بصفة منها و ما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع و الرغبة و ما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية و الرهبة ا ه و الظاهر أن معنى حفظها و احصائها هو معرفتها و القيام بعبوديتها كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به بل جاء في المراق من الدين أنهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 126]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام طويل على أولوية الله تعالى و ما في ذلك الشهود من الغنى التام قال و ليس هذا مختصا بأوليته تعالى فقط بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه و قسمه من معرفتها و قيامه بعبوديتها فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه و فوقيته لعباده و استوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق و أعلمهم به الصادق المصدوق و تعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيا له مطرقا واقفا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز فيشعر بأن كلمه و علمه صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته و أوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه و يفضحه هناك و يشهد نزول الأمر و المراسيم الإلهية الى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير و التصرف من الإماتة و الإحياء و التولية والعزل و الخفض و الرفع و العطاء و المنع وكشف البلاء و إرساله و تقلب الدول و مداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم مكان مقداره ألف سنة مما تعدون السجدة 5 فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة و عبودية استغنى به و كذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض و لا في السموات و لا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علما تفصيليا ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره و إرادته و جميع أحواله و عزماته و جوارحه علم أن حركاته الظاهرة و الباطنة و خواطره و إرادته و جميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء و كذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على إختلافها و جهرها وخفائها وسواء عنده من أسر القول من جهر به لا يشغله حهر من جهر عن سمعه صوت من أسر و لا يشغله سمع عن

سمع و لا تغلطه الأصوات على كثرتها و إختلافها و اجتماعها فهي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم و بعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة و كذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء و يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة و مخها و عروقها و لحمها و حركتها ويرى مد البعوضة

جناحها في ظلمة الليل و أعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته و سكناته و تيقن أنها بمرأى منه و مشاهدة لا يغيب عنه منها شيء و كذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال و أنه قائم على كل شيء و قائم على كل نفس بما كسبت و أنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره و ربوبيته و قهره و إيصال جزاء المحسن و جزاء المسيء إليه وأنه بكامل قيوميته لا ينام و لا ينبغي له أن ينام يخفض القسط و يرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار و عمل النهار قبل عمل الليل لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يضل ولا ينسى و هذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين و هو مشهد الربوبيه و أعلى منه مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل و اتباعهم الحنفاء وهو شهادة أن لا إله إلا الله و أن إلهية ما سواه باطل و محال كما أن ربوبية ما سواه كذلك فلا أحد سواه يسحق أن يؤله و يعبد و يصلى له و يسجد و يستحق نهايه الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه و صفاته و أفعاله فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده و له الحكم فكل عبودية لغيره باطلة و عناء و ضلال و كل محبة لغيره عذاب لصاحبها وكل غنى بغيره فقر وفاقة و كل عز بغيره ذل و صغار و كل تكثر بغيره قلة و ذلة فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره فكذلك استحال ان يكون لهم إله غيره فهو الذي انتهت إليه الرغبات و توجهت نحوه الطلبات و يستحيل أن يكون معه إله آخر فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه و صفاته الذي حاجة كل أحد إليه و لا حاجة به الى أحد و قيام كل شيء به و ليس قيامه بغيره الى أن قال فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء وهو مشهد جامع للأسماء و الصفات و حظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء و الصفات و لذلك كان الإسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله فإن هذا الاسم هو الجامع و لهذا تضاف الاسماء الحسنى كلها إليه فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله و لا يقال الله من أسماء الرحمن قال الله تعالى و لله الأسماء الحسنى فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها و كل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية و قام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الذل و التعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق و صار

من أغنى العباد و لسان مثل هذا يقول ... غنيت بلا مال عن الناس كلهم ... و إن الغنى العالي عن الشيء لابه ...
ا ه تفسير قوله تعالى و ذروا الذين يلحدون في أسمائه
و قوله تعالى و ذروا الذين يلحدون في أسمائه الأعراف 081 قال ابن عباس و ابن جريج ومجاهد هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا و نقصوا فاشتقوا اللات من الله و العزى من العزيز و مناة من المنان و قيل هي تسميتهم الأصنام آلهة و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما يلحدون في أسمائه أي يكذبون و قال قتادة يلحدون يشركون في أسمائه و قال علي ابن أبي طلحة عن عباس الإلحاد التكذيب و أصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد و الميل و الجور و الإنحراف منه اللحد في القبر لإنحرافه إلى جهة القبلة عن سمة الحفر ا ه و هذه الأقوال متقاربة و الإلحاد يعمها و هو ثلاثة أقسام الأول إلحاد المشركين وهو ما ذكره ابن عباس و ابن جريج و مجاهد من عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه و تسميتهم أوثانهم بها مضاهاة لله عز و جل و مشاقة له و للرسول صلى الله عليه وسلم الثاني إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات الله عز وجل و يشبهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى وردا لقوله عز و جل ليس كمثله شيء و لا يحيطون به علما و هو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق و سووه به و هؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة و شبهوه بها تعالى و تقدس عن إفكهم

الثالث إلحاد النفاة و هم قسمان قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا رحمن رحيم بلا رحمة عليم بلا علم حكيم بلا حكمة قدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصر و اطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا و عطلوها عن معانيها و ما تقتضيه و تتضمنه من صفات الكمال لله تعالى وهم في الحقيقة كمن بعدهم و إنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تسترا وهو لا ينفعهم و قسم لم يتستروا بما تستر به إخوانهم بل صرحوا بنفي الأسماء و ما تدل عليه من المعاني و استراحوا من تكلف أولئك و صفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له و لا صفة و هم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله و كل هذه الأربعة الأقسام كل فريق منهم يكفر مقابله وهم كما قالوا كلهم كفار بشهادة الله و ملائكته و كتبه و رسله و الناس أجمعين من أهل الإيمان و الإثبات الواقفين مع كلام الله تعالى

و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و آله و صحبه أجمعين صفاته العلى أي و إثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه تعالى ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال و نعوت الجلال من صفات الذات و صفات الأفعال مما تضمنته أسماؤه بالاشتقاق كالعلم و القدرة و السمع و البصر و الحكمة و الرحمة و العزة والعلو وغيرها ومما أخبر به عن نفسه و أخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم و لم يشتق منه إسما كحبه المؤمنين و المتقين و المحسنين ورضائه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلام دينا و كراهته انبعاث المنافقين و سخطه على الكافرين و غضبه عليهم و إثبات وجهه ذى الجلال و الإكرام و يديه المبسوطتين بالانفاق و غير ذلك مما هو ثابت في الكتاب و السنة و الفطر السليمة و سيأتي الكلام على ما ذكر من ذلك في المتن في محله وما لم يذكر في المتن ففي خاتمة الكتاب إن شاء الله تبارك و تعالى
إثبات ربوبية الله تعالى ... و أنه الرب الجليل الأكبر ... الخالق الباري والمنصور

بارى البرايا منشىء الخلائق ... مبدعهم بلا مثال سابق ...
وأنه الرب أي و إثبات ربوبيته بأنه رب كل شيء و مليكه رب الأولين و الآخرين رب المشرقين و رب المغربين رب السموات و الأرضين وما بينهما رب العالمين رب الآخرة والأولى مالك الملك فلا شريك له في ملكه يأتي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء و يهدي من يشاء و يضل من يشاء و يسعد من يشاء و يشقي من يشاء و يخفض من يشاء و يرفع من يشاء و يعطي من يشاء و يمنع من يشاء و يصل من يشاء و يقطع من يشاء و يبسط الرزق لمن يشاء و يقدره على من يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا و يهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا و إناثا و يجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل و يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و يحيي الأرض بعد موتها و سخر الشمس و القمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون خلق فسوى وقدر فهدى و أضحك وأبكى و أمات و أحيا و خلق الزوجين الذكر و الأنثى من نطفة إذا تمنى و أغنى و أقنى و أوجد و أفنى يبدي و يعيد و يفعل ما يريد رفع سمك السماء فسواها و أغطش ليلها و أخرج ضحاها و بسط الأرض ودحاها فراشا لعباده و مهادا و نصب الجبال عليها أوتادا سخر الفلك تجري في البحر بأمره و يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه فالق الأصباح و جعل الليل سكنا و الشمس والقمر حسبانا لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار و كل في فلك يسبحون الذي أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع

و الأبصار و الأفئدة قليلا ما تشكرون خالق الكون و ما فيه و جامع الناس ليوم لا ريب فيه مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح أجاج و جعل بينهما برزخا و حجرا محجورا و أسبغ على عباده نعمه الظاهرة و الباطنة و جعل الليل و النهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا علم وألهم و دبر فأحكم و قضى فأبرم لا راد لقضائه و لا مضاد لأمره و لا معقب لحكمه و لا شريك له في ملكه

و لا إله غيره و لا رب سواه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم الجليل أي المتصف بجميع نعوت الجلال و صفات الكمال المنزه عن النقائص والمحال المتعالي على الأشباه و الأمثال له الأسماء الحسنى و الصفات العلى و المثل الأعلى و له الحمد في الآخرة و الأولى الأكبر الذي السموات و الأرض و ما فيهن و ما بينهما في كفه كخردلة في كف آحاد عباده له العظمة و الكبرياء و هو أكبر كل شيء شهادة لا منازع له في عظمته و كبريائه و لا ينبغي العظمة و الكبرياء إلا له و من نازعه في صفة منهما أذاقه عذابه وأحل عليه غضبه ومن يحلل عليه غضبه فقد هوى الخالق أي المقدر و المقلب للشيء بالتدبير الى غيره كما قال تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث الزمر 6 و قال تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبين لكم و نقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا الحج 5 الآية قال تعالى و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين المؤمنون 21 41 و قال تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا مريم 76 و قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور الأنعام 1 و قال تعالى الله خالق كل شيء و قال تعالى و الله خلقكم و ما تعملون فالله تبارك وتعالى الخالق و كل ما سواه مخلوق له مربوب له لا خالق غيره فجميع السموات و الأرض و من فيهن و ما بينهما و حركات أهلها و سكناتهم و أرزاقهم و آجالهم و أقوالهم و أعمالهم كلها مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن وهو خالق ذلك كله و موجده ومبدئه و معيده فمنه مبدأها و إليه منتهاها ألا إلى الله تصير الأمور الشورى 35

البارىء أي المنشىء للأعيان من العدم إلى الوجود و البرء هو الفرى وهو التنفيذ و إبراز ما قدره و قرره إلى الوجود و ليس كل من قدر شيئا و رتبه يقدر على تنفيذه و إيجاده سوى الله عز و جل كما قيل و لأنت تفري ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفري أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد فالخلق التقدير و الفري التنفيذ المصور الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها يقال هذه صورة الأمر أو مثاله فأولا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا و هذه الثلاثة الأسماء التى في سورة الحشر في خاتمتها هو الله الخالق البارىء المصور قال ابن كثير رحمه الله تعالى أي الذي اذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد و الصورة التي يختار كقوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك الانفطار 8 باري البرايا جميع الموجودات منشىء الخلائق أي جميع المخلوقات مبدعهم أي خالقهم و منشئهم و محدثهم يفسر ذلك بلا مثال سابق أي بلا نظير سالف و منه سميت البدعة بدعة لأنها على غير مثال سابق في الشرع و قال الله تعالى بديع السموات و الأرض البقرة 711 أي محدثها و موجدها على غير مثال سبق و هذا مفسر للبيت الذي قبله و قد تقدم الكلام عليه و لله الحمد و المنة ... الأول المبدي بلا ابتداء ... و الآخر الباقي بلا انتهاء ...
الأول فليس قبله شيء المبدىء الذي يبدىء الخلق ثم يعيده بلا ابتداء لأوليته تعالى و الآخر فليس بعده شيء الباقي و كل ما سواه فان بلا انتهاء لآخريته تعالى قال الله عز و جل هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم الحديد 3 و قال تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون يونس 43 و قال تعالى أولم

يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير العنكبوت 91 02 و قال تعالى و لا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم و إليه ترجعون القصص 88 و قال تعالى كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام الرحمن 62 72 و قال تعالى يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار غافر 61 و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم رب السموات السبع و رب العرش العظيم ربنا و رب كل شيء فالق الحب و النوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء و أنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء و أنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين و أغنني من الفقر رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم و في الصحيحين عن عمران ابن حصين رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم و عقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر قال كان الله و لم يكن شيء غيره و كان عرشه على الماء و كتب في الذكر كل شيء و خلق السموات و الأرض الحديث و قال عمر رضي الله عنه قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاما فأخبرنا عن

بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم و أهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه و نسيه من نسيه رواه البخاري و في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه تعالى يطوي السموات بيده ثم يقول أنا الملك أنا الملك أنا الجبار المتكبر أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون و في حديث الصور أنه عز و جل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبقى سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا لله الواحد القهار أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء و غلبه و لابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعه الأحياء و الأموات قال و ينزل الله عز و جل إلى السماء الدنيا و يقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في أثناء كلامه على هذه الأسماء الأربعة و هي الأول و الآخر و الظاهر والباطن هي أركان العلم و المعرفة فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه و فهمه و اعلم أن لك أنت أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا بل كل شيء فله أول و آخر وظاهر و باطن حتى الخطرة و اللحظة والنفس و أدنى من ذلك و أكثر فأولية الله عز وجل سابقة على أولية كل ما سواه وآخريته ثابتة بعد آخريه كل ما سواه فأوليته سبقه لكل شيء وآخريته بقاؤه بعد كل شيء وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء معنيى اظهور يقتضي العلو وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه هذا لون وهذا لون فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة وهي إحاطتان زمانية ومكانية فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد

فكل سابق انتهي إلى أوليته وكل آخر انتهى إلى آخريته فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن فما من ظاهر إلا والله فوقه وما من باطن إلا والله دونه وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده فالأول قدمه والآخر دوامه وبقاؤه والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيئ بآخريته وعلا على كل شيء بظهوره ودنا من كل شيء ببطونه فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا يحجب عنه ظاهر باطنا بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة والبعيد منه قريب والسر عنده علانية فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ثم ساق الكلام على التعبد بهذه الأسماء فشفي وكفي رحمه الله تعالى ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة المتقدم قريبا بأوجز عبارة وأخصرها فسبحان من خصه بجوامع الكلم صلى الله عليه وسلم

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 136]

الأحد الفرد القدير الأرلي ... علو قهر وعلو الشأن ... كذا له العلو والفوقية ... الصمد البر المهين العلي جل عن الأضاد والأعوان ... على عباده بلا كيفية ... الأحد الفرد الذي لا ضد له ولا ند له ولا شريك له في الهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته فهو احد في الهيته لا معبود بحق سواه و لا يستحق العبادة الا هو ولذا ألا نعبد إلا إياه وهو أحد في ربوبيته فلا شريك له في ملكه ولا مضاد ولا منازع ولا مغالب أحد في ذاته وأسمائه وصفاته فلا شبيه له ولا مثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما فكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإليته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق والرزق والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال والإسعاد والأشقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضر و النفع فلو اجتمع اهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهم على اماتة من هو محييه أو إعزاز من هو مذله أو هداية من هو مضله او اسعاد من هو مشقيه او خفض من هو رافعه او وصل من هو قاطعة أو إعطاء من هو مانعه أو ضر من هو نافعه أو عكس ذلك لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم وأني لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره ماض فيهم حكمه عدل فيهم قضاؤه نافذة فيهم مشيئته لا امتناع لهم عما قضاه ولا خروج لهم من قبضته ولا تحرك ذرة في السموات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فسحقا لأصاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيته من هو مخلوق

مربوب مثلهم لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا واتخذوهم من دونه أربابا وانداد سووهم به وعدلوهم به واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته وعبدوهم من دونه وهم يرون ويعلمون أنهم محدثون بعد أن لم يكونوا مسبوقون بالعدم عاجزون عن القيام بأنفسهم فقراء إلى من يقوم بهم ألحدوا في أسماء الله وصفاته وآياته على آختلافهم في صناعة الإلحاد فبين مشبه له تعالى بالعدم وهم

نفاة أسماء وصفاته بل هم نفاة وجود ذاته وبين مشبه له بالمخلوقات ممثل صفاته تعالى بصفات الحادثات المحدثات حاكمين عليه بعقولهم واصفين له بما لم يصف به نفسه وآخرون جحدوا إرادته ومشيئته النافذة وقدرته الشاملة وأفعاله وحكمته وحمده وجعلوا أنفسهم هم الفاعلين لما شاءوا الخالقين لما أرادوا من دون مشيئة لله ولا إرادة وجحدوا أن يكون الله خلقهم وما يعملون وآخرون جعلوا قضاءه وقدره حجة لهم على ترك أوامره ونواهيه وأنهم لا قدرة لهم ولا اختيار وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعله وترك ما لا يطاق تركه وجعلوا معاصيه طاعات إذ وافقت مشيئته الكونية وقدره الكونى فخاصموه بمشيئتة واقداره وعطلوا اوامره ونواهيه ونسبوه إلى الظلم تعالى وأن تعذيبه من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة ولم يصم ولم يحج ولم يعمل الطاعات ولم يترك المعاصي كتعذيب الذكر لم يصر أنثى والأنثي لم تصر ذكرا وأن أمرهم بالصلاة وغيرها كأمر الآدمي بالطيران والأعمي بنقط المصاحف أولئك خصماء الله يوم القيامة تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا ورضي الله عن المؤمنين إذ عرفوه حق معرفته وقدروه حق قدره ووحدوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأثبتوا له ما أثبته لنفسه ونفوا عنه التمثيل وآمنوا بقضائه و قدره وتلقوه بالرضا والتسليم وأن ذلك موجب ربوبيته ومقتضي إلهيته واللائق بحكمته وحمده وتلقوا أمره بالسمع والطاعة والآمتثال والانقياد ووقفوا عند نواهيه وحدوده فلم يعتدوها ونزلوا كلا من القدر والشرع منزلته ولم ينصبوا الخصام بينهما فالقضاء والقدر يؤمن به ولا يحتج به والأمر والنهي يطاع ويمتتثل فالإيمان بالقدر من كمال التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله والقيام بالأمر والنهي موجب شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر وينقاد للأمر والنهي فهو مكذب بالشهادتين ولو نطق بهما بلسانه وهذا البحث سيأتي تفصيله عن قريب إن شاء الله في موضعه وإنما ساقنا إليه ها هنا الكلام علي كمال أحدية الله عز وجل في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقدره وشرعه وأنه لا معارض لمشيئته ولا معقب لحكمه وأن المخلوق لا تصرف له في نفسه فضلا عن غيره ولا قدرة له على ما لم يقدره الله تعالى عليه فكيف يسوي به

ويعدل به ويشرك معه في إلهيته أو ينسب إليه التصرف في شيء من ملكوته وكم يقيم الحجة تبارك وتعالى على من أشرك معه إلها غيره بأحديته في الربوبية والأسماء والصفات وإقرار المشرك بها وأن آلهته التي أشرك لا تتصف بشيء منها ويلزمه إفراده بالألوهية الملازمة للربوبيه كما قال تعالى رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا مريم 56 وقال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيئ سبحانه وتعالى عما يشركون الروم 04 وقال تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون يونس 43 53 إلى غير ذلك من الآيات القدير الذي له مطلق القدرة وكمالها وتمامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة الذى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما أي لا يكرثه ولا يثقله الفعال لما يشاء أذا شاء كيف شاء في أي وقت شاء قال الله تعالى إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا النساء 331 وقال تعالي بعد الكلام على البدء والإعادة ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل الحج 62 الآية وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتي وأنه على كل شيء قدير الحج 6 وقال تعالى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما

عليما قديرا غافر 28 وقال تعالي ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة لقمان 82 وقال تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يس 28 و قال تعالى أولم يروا ان الله الذي خلق السموات و الأرض و لم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بل انه على كل شيء قدير الأحقاف 33 و قال تعالى أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ق 51 و قال ولقد خلقنا

السموات و الأرض و ما بينهما في ستة ايام و ما مسنا من لغوب ق 83 و قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير و أن الله قد أحاط بكل شيء علما الطلاق 211 و قال تعالى أوليس الذي خلق السموات و الأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يس 18 28 و قال تعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير تبارك 1 و قال تعالى فلا أقسم برب المشارق و المغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين المعارج 04 و قال تعالى و أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون المؤمنون 81 و قال تعالى و من آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير فصلت 93 و قال تعالى قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء و يرحم من يشاء و إليه تقلبون و ما أنتم بمعجزين في الأرض و لا في السماء و ما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون العنكبوت 02 22 و الآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها بل كل آيات الله الظاهرة و المعنوية و جميع مخلوقاته العلوية و السفلية تدل على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة كما أنه لا يعزب عن عمله مثقال ذرة و عبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم و كفى العبد دليلا أن ينظر في خلق نفسه كيف قدره أحكم الحاكمين و خلقه في أحسن تقويم و شق له

السمع فسمع و البصر فأبصر و اللسان فنطق و الفؤاد فعقل الى غير ذلك فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت و نظر بعين بصيرته الى مبدعات الحي الذي لا يموت ورأى الآيات الباهرة و البراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة و الجبروت أولم ينظروا في ملكوت السماوات و الأرض و ما خلق الله من شيء و أن عسى أن يكون قد إقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون الأعراف 581 و في حديث الإستخارة المتفق عليه اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك و أسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر و لا أقدر وتعلم و لا أعلم الحديث الأزلي بذاته و أسمائه و صفاته الذي لا ابتداء لأوليته و لا انتهاء لآخريته و ليس شيء من أسمائه و صفاته متجددا حادثا لم يكن قبل ذلك كذلك له كمال الربوبية و لا مربوب و اسم الخالق و لا مخلوق وهو العليم قبل إيجاده المعلومات و السميع قبل إيجاده المسموعات و البصير قبل إيجاده المبصرات و كذلك سائر أسمائه و صفاته أزلية بأزلية ذاته باقية ببقاء ذاته لم يزل متصفا بها في أوليته و كذلك لم يزل متصفا بها في سرمديته ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق و لا بإحداثه البرية استفاد اسم البارىء بل هو سبحانه

الخالق قبل خلق المخلوقين و الرازق قبل وجود المرزوقين وهو المحيي المميت قبل خلقه الموت و الحياة و كذلك وصف نفسه تبارك و تعالى فقال و كان الله عليما قديرا و كان الله غفورا رحيما و كان الله عزيزا حكيما و كان الله سميعا بصيرا و كان الله لطيفا خبيرا إن

الله كان عليا كبيرا الى غير ذلك قال ابن عباس أي لم يزل كذلك ا ه و لا يجوز أن يعتقد أن الله تعالى وصف بصفة لم يكن متصفا بها لأن صفاته سبحانه كلها صفات كمال و فقدانها صفة نقص و لا يجوز كونه قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده و تقدم في الأزلية حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما في بدء الخلق كان الله و لم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء الصمد قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم و مسائلهم و قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سؤدده و الشريف الذي قد كمل في شرفه و العظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه و العليم الذي قد كمل في علمه و الحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف و السؤدد وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفؤ و ليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار و عن أبي وائل الصمد الذي قد انتهى سؤدده ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه و عن زيد ابن اسلم الصمد السيد و قال الحسن و قتادة هو الباقي بعد خلقه و قال الحسن أيضا الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له و قال عكرمة الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولم يطعم و قال ابن مسعود و ابن عباس و سعيد ابن المسيب و مجاهد و عبد الله بن بريدة و عكرمة أيضا و سعيد ابن جبير و عطاء ابن أبي رباح و عطية العوفي و الضحاك و السدي الصمد

الذي لا جوف له و قال الشعبي هو الذي لا يأكل الطعام و لا يشرب الشراب و قال عبد الله بن بريدة أيضا الصمد نور يتلألأ قال ابن كثير رحمه الله تعالى روى ذلك كله و حكاه ابن أبي حاتم و البيهقي و الطبراني و كذا أبو جعفر ابن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده و قال الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير الصمد و كل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز و جل وهو الذي يصمد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤدده وهو الصمد الذي لا جوف له و لا يأكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه و قال البيهقي نحو

ذلك و قال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا أحمد ابن منيع أخبرنا أبو سعد هو الصنعاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية عن أبي ابن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد و الصمد الذي لم يلد و لم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا وسيموت و ليس شيء سيموت إلا سيورث و أن الله تعالى لا يموت و لا يورث و لم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه و لا عدل و ليس كمثله شيء حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا أنسب لنا ربك قال فأتاه جبريل عليه

السلام بهذه السورة قل هو الله أحد فذكر نحوه و لم يذكر فيه أبي ابن كعب و هذا أصح من حديث أبي سعد ا ه قلت و هذه السورة العظيمة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم إنها تعدل ثلث القرآن مشتملة على توحيد الإلهية و الربوبية و الأسماء و الصفات جامعة بين الإثبات لصفات الكمال و بين التنزيه له تعالى عن الأشباه والأمثال متضمنة الرد على جميع طوائف الكفر من الدهرية و الوثنية و الملاحدة من المشبهة و المعطلة و أهل الحلول و الاتحاد ومن نسب له الصاحبة و الولد و غيرهم تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا و الله أعلم البر وصفا و فعلا قال ابن عباس اللطيف و قال الضحاك الصادق فيما وعد المهيمن قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدي و مقاتل هو الشهيد على عباده بأعمالهم يقا لهيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء كا قا ل تعالى و الله على كل شيء شهيد البروج 9 و قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون يونس 64 و قال أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الرعد 33 و قال الحسن الأمين و قال الخليل هو الرقيب الحافظ و قال زيد المصدق و قال سعيد ابن المسيب و الضحاك القاضي و قال ابن كيسان هو اسم من اسماء الله تعالى في الكتب و الله اعلم بتأويله ا ه

العلي فكل معاني العلو ثابتة له علو قهر فلا مغالب له و لا منازع بل شيء كل تحت سلطان قهره قل إنما أنا منذر و ما من إله إلا الله الواحد القهار ص 56 لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار الزمر 4 و قد جمع الله تعالى بين علو الذات و القهر في قوله تعالى و هو القاهر فوق عباده الأنعام 81 أي وهو الذي قهر كل شيء و خضع لجلاله كل

شيء و ذل لعظمته و كبريائه كل شيء و علا بذاته على عرشه فوق كل شيء و علو الشأن فتعالى عن جميع النقائص و العيوب المنافية لإلهيته و ربوبيته و أسمائه الحسنى و صفاته العلى تعالى في أحديته عن الشريك و الظهير و الولي والنصير و تعالى في عظمته و كبريائه و جبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه و المجير و تعالى في صمديته عن الصاحبة و الولد و الوالد و الكفؤ و النظير و تعالى في كمال حياته و قيوميته و قدرته عن الموت و السنة و النوم و التعب و الإعياء و تعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان و عن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء و تعالى في كمال حكمته و حمده عن الخلق عبثا و عن ترك الخلق سدى بلا أمر و لا نهى و لا بعث و لا جزاء و تعالى في كمال عدله على أن يظلم أحدا مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئا من حسناته وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء و تعالى فى صفات كماله و نعوت جلاله عن التعطيل و التمثيل قال الله تعالى وما من إله إلا الله و قال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله محمد 91 و قال تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات الأحقاف 4 و قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا سبحان رب العرش عما يصفون الأنبياء 22 و قال تعالى قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض و ما لهم فيها من شرك و ما له منهم من ظهير سبأ 22 و قال تعالى و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل الإسراء 111 و قال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا

أحد سورة الإخلاص و قال تعالى و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولدا الجن 3 و قال تعالى رب السموات و الأرض و ما بينهما فاعبده و اصطبر لعبادته هل تعلم له سميا مريم 56 وقال تعالى يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يشفعون إلا لمن ارتضى الأنبياء 82 و قال تعالى ما من شفيع إلا من بعد إذنه يونس 3 و قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه البقرة 452 و قال تعالى وهو الذي يجير و لا يجار عليه المؤمنون 88 و قال تعالى و توكل على الحي الذي لا يموت الفرقان 85 و قال تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة و لا نوم البقرة 452 و قال تعالى و لقد خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ق 83 و قال تعالى أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ق 51 وقال تعالى أولم يروا ان الله الذي خلق السموات و الأرض و لم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير الأحقاف 33 و قال تعالى وما الله بغافل عما تعملون و قال تعالى وما كنا عن الخلق غافلين المؤمنون 71 و قال تعالى و ما كان ربك نسيا و قال تعالى عن موسى لما قال له فرعون فما بال القرون الأولى قال

علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي و لا ينسى طه 15 25 وقال تعالى عالم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء و لا أصغر من ذلك ولا أكبر سبأ 3 و قال تعالى و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ص 72 و قال تعالى و ما خلقنا السموات و الأرض وما بينهم لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق و لكن أكثرهم لا يعلمون الدخا 83 93 و قال تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا لا ترجعون المؤمنون 511 و قال تعالى أيحسب الإنسان أن يترك سدى القيامة 63 و قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا الكهف 94 و قال تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة و إن تك حسنة يضاعفها النساء 04 و قال تعالى و ما ربك بظلام للعبيد و قال تعالى

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما و لا هضما طه 211 وقال تعالى قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات و الأرض وهو يطعم ولا يطعم الأنعام 41 و قال تعالى و ما خلقت الجن و الإنس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين الذاريات 65 85 و قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله و الله هو الغني الحميد فاطر 51 و قال تعالى يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يحيطون به علما طه 11 و قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الشورى 11 و الآيات في هذا الباب كثيرة جدا و هذان المعنيان من العلو لم يخالف فيهما أحد ممن يدعي الإسلام و ينتسب إليه و إنما ضل من ضل منهم و أخطأ في التنزيه الذي هو مقصوده حيث لم يسلك الطريق الموصلة إليه وأحسن الظن بنفسه و عقله و متبوعه و أساءه بالكتاب و السنة و كثير منهم اغتر بقول كان مقصود قائله الزيغ و الفساد و الكفران فحسب لإحسان الظن به أن مقصوده التحقيق و الإيمان و العرفان و اتبعوا السبل المضلة فتفرقت بهم عن صراط الرحمن فمنهم من نزهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائنا من خلقه ووقع في أعظم من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان و لم ينزهه حتى عن الأماكن الخسيسة و منهم من نزهه عن العلو و الفوقية و جعله هو الوجود بأسره و منهم من نزهه عن وجود ذاته ووصفه بالعدم المحض ومنهم من نزهه عن أفعاله و مشيئته فرارا من وصفه بالظلم ووقع في تعطيله عن قدرته و نسبته الى العجز و غلا بعضهم في ذلك حتى أنكر علمه السابق ووصفه بضده و منهم من غلا في مسألة القدر و إثباته و خاصم به الأمر و النهي فرارا مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم ذلك تعطيل الشريعة و نسبته تعالى إلى الظلم و إلى تكليف عباده ما لا يطاق تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ففروا من الهدى الى الضلالة و من الرشد الى الغي ومن الأسلام الى الكفر و من السنة الى البدعة و من

النور الى الظلمات و ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا و هدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه فجعلوا

إمامهم و قدوتهم الكتاب و السنة و ساروا معهما حيث سارا و وقفوا حيث وقفا فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه و أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى و الصفات العلا و آمنوا بالقدر خيره و شره و تلقوه بالرضا و التسليم و انقادوا للشريعة فقابلوا أوامرها و نواهيها بالإمتثال و التعظيم فما أثبت الله لنفسه أثبتوه وما نفاه عن نفسه نفوه فإذا سمعوا آيات الصفات و أحاديثها قالوا آمنا به كل من عند ربنا وإن أحسنوا قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا هدانا الله و إن أساءوا قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين و إذا أصابتهم مصيبة قالواإنا لله و إنا إليه راجعون كذا ثابت له العلو و الفوقية بالكتاب والسنة و إجماع الملائكة و الأنبياء و المرسلين و أتباعهم على الحقيقة من أهل السنة و الجماعة على عباده فوقهم مستويا على عرشه عاليا على خلقه بائنا منهم يعلم أعمالهم و يسمع أقوالهم و يرى حركاتهم و سكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية و الأدلة في ذلك من الكتاب و السنة أكثر من أن تحصى و أجل من أن تستقصى و الفطر السليمة و القلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره و لنشر على بعض ذلك إشارة تدل على ما وراءها و بالله التوفيق فمن ذلك أسماؤه الحسنى الدالة على ثبوت جميع معاني العلو له تبارك و تعالى كاسمه الأعلى و اسمه العلي و اسمه المتعالي و اسمه الظاهر و اسمه القاهر و غيرها قال تعالى سبح اسم ربك الأعلى الأعلى 1 و لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم و قال تعالى وسع كرسيه السموات و الأرض و لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم البقرة 452 و قال تعالى إن الله كان عليا كبيرا النساء 43 وقال تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه

هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير الحج 26 وقال تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلي الكبير سبأ 32 و قال تعالى إنه علي حكيم الشورى 15 و قال تعالى عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال الرعد 9 و قال تعالى هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن الحديد 3 و قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه و أنت الظاهر فليس فوقك شيء و قال تعالى وهو القاهر فوق عباده الأنعام 81 وهذه الأسماء تدل على ثبوت جميع معاني

العلو له تبارك و تعالى ذاتا وقهرا و شأنا و من ذلك التصريح بالاستواء على عرشه كما قال تعالى في سورة الأعراف إن ربكم الله الذي خلق السموات و الأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش الأعراف 45 و قال تعالى في سورة يونس إن ربكم الله الذي خلق السموات و الأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر يونس 3 و قال تعالى في سورة الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش الرعد 2 و قال تعالى في سورة طه الرحمن على العرش استوى طه 5 و قال تعالى في سورة الفرقان الذي خلق السموات و الأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن الفرقان 95 و قال تعالى في سورة ألم تنزيل السجدة الله الذي خلق السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي و لا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض السجدة 4 5 الآية و قال تعالى في سورة الحديد هو الذي خلق السموات و الأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم و الله بما تعملون بصير الحديد 4 و في حديث أنس في فضل الجمعة و تسميته في الآخرة يوم المزيد الحديث بطوله و في آخره قال وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش و قد رواه

الشافعي في مسنده و عبد الله بن احمد في كتاب السنة و ابن خزيمة و غيرهم و قد جمع أبو بكر بن أبي داود طرقه في جزء و سيأتي إن شاء الله تعالى بطوله و ألفاظه في إثبات رؤية المؤمنون ربهم تبارك و تعالى و عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله تعالى الخلائق حاسبهم و فيميز بين أهل الجنة و أهل النار وهو تعالى في جنته على عرشه قال محمد ابن عثمان الحافظ هذا حديث صحيح و عن قتادة ابن النعمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عن خلق السموات و الأرض فذكر حديثا طويلا قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا أصبت يا محمد لو أتممت ثم استراح فغضب غضبا شديدا فأنزل الله تعالى و لقد خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام و ما مسنا من لغوب ق 83 رواه ابن منده و الحاكم و صححه و في إسناده البقال ضعفه ابن معين و عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات و الأرض قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش وفاستوى عليه رواه أبو داود

و ابن ماجه و قال الذهبي إسناده حسن ورواه الترمذي و حسنه لكن لفظه و خلق عرشه على الماء قال يزيد ابن هارون العماء أي ليس معه شيء و عن ابن عباس رضي الله عنهما و عن مرة الهمداني عن ابن مسعود و عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ثم استوى إلى السماء قال إن الله تعالى كان عرشه على الماء و لم يخلق شيئا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا ثم فتقها فجعلها سبع أرضين الحديث إلى أن قال فلما فرغ الله عز و جل من خلق ما أحب استوى على العرش رواه السدي و ابن جرير الطبري في تفسيره والبيهقي في الأسماء و الصفات و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيده فقال يا أبا هريرة إن الله تعالى خلق السموات و الأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع الحديث بطوله رواه النسائي في تفسير سورة السجدة من سننه الكبرى و فيه أخضر بن عجلان قال الذهبي و ثقه ابن معين

و قال أبو حاتم يكتب حديثه و لينه الأزدي و حديثه في السنن الأربعة و هذا الحديث غريب من أفراده و من ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى قال الله عز و جل و هو القاهر فوق عباده الأنعام 81 و قال يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون النحل 05 و لما حكم سعد ابن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلهم و تسبى ذريتهم و تغنم أموالهم قال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة و في لفظ من فوق سبع سموات و أصله في الصحيحين و هذا سياق ابن اسحق و في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم و تقول زوجكن أهاليكن و زوجني الله من فوق سبع سموات و في سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جهدت الأنفس و ضاعت العيال و نهكت الأموال و هلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله و نستشفع بالله عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أتدري ما تقول و سبح رسول الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله إن عرشه على سمواته

لهكذا و قال بأصبعه مثل القبة عليه و إنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب قال ابن بشار في حديثه إن

الله فوق عرشه و عرشه فوق سمواته و ساق الحديث و له عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال و المزن قالوا و المزن قال و العنان قالوا و العنان قال أبو داود و لم أتقن العنان جيدا قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء و الأرض قالوا لا ندري قال إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاثة و سبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله و أعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم و ركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين اسماء الى اسماء ثم الله تبارك و تعالى فوق ذلك زاد أحمد و ليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم و في سنن ابن ماجه من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة قال و ذلك قوله عز و جل سلام قولا من رب رحيم قال فينظر إليهم و ينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم و يبقى نوره و بركته عليهم في ديارهم و في

إسناده الرقاشي ضعيف و معناه ثابت في الكتاب و السنة و في حديث الشفاعة الطويل عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فأدخل على ربي تبارك و تعالى وهو على عرشه و ذكر الحديث و في بعض ألفاظ البخاري في صحيحه فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين هكذا قال في داره في المواضع الثلاثة يريد مواضع الشفاعات الثلاث التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه و عن عمير بن عبد الملك قال خطبنا علي رضي الله عنه فقال إن رسول الله حدثني عن ربه عز و جل فقال و عزتي و جلالي و ارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية و لا بيت و لا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي فتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من

رحمتي رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش و العسال في المعرفة و ضعفه الذهبي و عن جابر ابن سليم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن رجلا ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها رواه الدارمي و له شاهد في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه و في حديث عمران بن حصين

في بدء الخلق كان الله عز وجل على العرش و كان قبل كل شيء و كتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون حديث صحيح أصله في البخاري و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى ييسر له نظر الله له من فوق سبع سموات فيقول للملائكة أصرفوه عنه فإن يسرته له أدخلته النار رواه البغوي و سكت الذهبي عنه و عنه رضي الله عنه قال العرش فوق الماء و الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم قال الذهبي رواه عبد الله بن أحمد في السنة و أبو بكر ابن المنذر و أبو أحمد العسال و أبو القاسم الطبراني و أبو الشيخ و أبو القاسم اللالكائي و أبو عمرو الطلمنكي و أبو بكر البيهقي و أبو عمر ابن عبد البر في تواليفهم و إسناده صحيح و أخرج ابن أبي شيبة أن حسان بن ثابت رضي الله عنه أنشد النبي صلى الله عليه وسلم ... شهدت بإذن الله أن محمدا ... رسول الذي فوق السموات من عل ... و أن أخا الأحقاف إذ قام فيهمو ... يقول بذات الله فيهم و يعدل و أن أبا يحيى و يحيي كلاهما ... له عمل من ربه متقبل ...
و من ذلك التصريح بأنه تعالى في السماء قال الله تعالى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير الملك 6 7 و في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهيبة في أديم مقروض لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة

نفر بين عيينة بن بدر و أقرع بن حابس و زيد الخيل و الرابع إما علقمة و إما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألا تأمنوني و أنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا و مساء قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين

ناشر الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال يا رسول الله اتق الله فقال صلى الله عليه وسلم ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله قال فلما ولي الرجل قال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا لعله أن يكون يصلي فقال خالد و كم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس و لا أشق بطونهم قال ثم نظر إليه و هو مقف فقال أنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية و أظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود و عن معاوية بن الحكم في حديث طويل قال و كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد و الجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنهما و أنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكن صككتها صكة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال ائتني بها فأتيته بها فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعتقها فإنها مؤمنة أخرجه مسلم و أبو داود و النسائي و غير واحد من الأئمة في تصانيفهم و عن أبي الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء و الأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا و خطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك و شفاءا

من شفائك على هذا الوجع فيبرأ رواه أبو داود و عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله و من قطعها قطعه الله رواه الترمذي و قال هذا حديث حسن صحيح و له عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي يا حصين كم تعبد اليوم إلها قال أبي سبعة ستة في الأرض وواحدا في السماء قال فأيهم تعد لرغبيك ورهبتك قال الذى في السماء ر قال فلما أسلم حصين قال يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني فقال صلى الله عليه وسلم قل اللهم إلهمني رشدي و أعذني من شر نفسي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب و قد روي هذا الحديث عن

عمران بن حصين من غير هذا الوجه و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها رواه مسلم في صحيحه و عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا جلوسا ذات يوم بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت امرأة من بناته فقال أبو سفيان ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل الريحانة في وسط الزبل فسمعت فأبلغته رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصعد على منبره و قال ما بال أقوال تبلغني عن أقوام إن الله خلق سموات سبعا فاختار العليا فسكنها و أسكن سمواته من شاء من خلقه ثم اختار خلقه فاختار بني آدم فاختار العرب فاختار مضر فاختار قريش فاختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خيارا من خيار فمن أحب قريشا فبحبي أحبهم و من أبغض العرب فببغضي أبغضهم قال الذهبي هو حديث منكر رواه جماعة في كتب السنة و أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة و أبشري بروح و ريحان و رب غير غضبان فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله عز و جل و ذكر باقى

الحديث رواه أحمد و النسائي و ابن ماجه و ابن جرير و اللفظ له و في الباب أحاديث تأتي إن شاء الله تعالى في ذكر الموت و فتنة القبر و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسري بي مررت برائحة طيبة فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون و أولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت باسم الله تعالى فقالت ابنته أبي قالت لا و لكن ربي و رب أبيك الله فقالت أخبر بذلك أبي قالت نعم فأخبرته فدعا بها فقال من ربك هل لك رب غيري قالت ربي و ربك الله الذي في السماء فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها و بولدها فألقاهما فيها و ساق الحديث بطوله رواه الدارمي و أبو يعلى الموصلي و قال الذهبي هذا حديث حسن الاسناد و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال اللهم إنك واحد في السماء و أنا واحد في الأرض أعبدك رواه الدارمي في النقض و قال الذهبي حسن الإسناد و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبرائيل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض رواه

البخاري و عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله عز و جل فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا و خروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثلما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز و جل رواه ابن جرير و ابن خزيمة و الطبراني و ابن أبي حاتم و اللفظ له و من ذلك التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده قال الله تبارك و تعالى إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته و يسبحونه وله يسجدون الأعراف 602 و قال تبارك وتعالى وله من في السموات و الأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون الأنبياء 91 و قال تبارك و تعالى فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل و النهار و هم لا يسئمون فصلت 83 و قال تبارك و تعالى و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون آل عمران 961 و قال تبارك و تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة و نجني من فرعون وعمله التحريم 11 الآية و في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي و لمسلم عنه في حديث طويل و ما اجتمع قوم في بيت من

بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله في من عنده و فيهما عنه رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم و إن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا و إن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا و إن أتاني يمشي أتيته هرولة و في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ذكر الحديث إلى أن قال ثم خرج علينا فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله و كيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصفوف الأول و يتراصون في الصف و لهما عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم و موسى عند

ربهما عز وجل فحج آدم موسى و ذكر الحديث و سيأتي إن شاء الله بتمامه و من ذلك الرفع و الصعود و العروج إليه وهو أنواع منها رفعه عيسى عليه السلام قال الله تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه و كان الله عزيزا حكيما النساء 751 851 و قال تبارك و تعالى يا عيسى إني متوفيك و رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا آل عمران 55 و سيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الأحاديث الواردة في نزوله إلى الأرض حكما عدلا في آخر هذه الأمة بشريعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة

و منها صعود الأعمال إليه كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه فاطر 01 و في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب و لا يصعد إلي الله إلا الطيب فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ورواه مسلم أيضا و النسائي و الترمذي و ابن ماجه و ابن خزيمة في صحيحه و عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون من جلال الله عز وجل من تسبيحه و تكبيره و تحميده و تهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كحدوي النحل يذكرن بصاحبهن ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به رواه أحمد و ابن ماجه و عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله عز وجل كأنها شرارة قال الذهبي غريب و اسناده جيد و في الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا و اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب و عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينام و لا ينبغي له أن ينام يخفض القسط و يرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل

النهار و عمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجه هما انتهى إليه بصره من خلقه و في ذلك أحاديث لا تحصى في الصحيحين و غيرهما و منها صعود الأرواح إلى الله عز وجل أعني أرواح المؤمنين قال الله تبارك و تعالى إن الذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الأعراف 04 و روى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح و فيه قال إن العبد المؤمن

إذا كان في إنقطاع من الدنيا و إقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة و حنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله و رضوان قال فتخرج كما فتسيل كما تسيل القطر من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها و فيجعلوها في ذلك الكفن و في ذلك الحنوط و يخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين و أعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم و فيها أعيدهم و منها أخرجهم تارة أخرى و ذكر الحديث و سيأتي إن شاء الله بطوله و قد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك و فيه أحاديث جمة سنذكر منها ما يسره الله تعالى في بابه إن شاء الله

و منها عروج الملائكة و الروح إليه قال الله تبارك وتعالى من الله ذي المعارج تعرج الملائكة و الروح إليه المعارج 3 4 و في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار و يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم و هم يصلون و أتيناهم وهم يصلون و عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم ما يقول عبادي قال يقولون يسبحونك و يكبرونك و يحمدونك و يمجدونك قال فيقول تعالى هل رأوني قال فيقولون لا و الله ما رأوك قال فيقول و كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا لك أشد عبادة و أشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا قال يقول فما يسألوني قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو انهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا و أشد لها طلبا و أعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا و أشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم متفق عليه و هذا لفظ البخاري و عنه رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان ملك الموت يأتي الناس عيانا فأتى موسى عليه الصلاة و السلام فلطمه فذهب بعينه فعرج إلى ربه عز وجل فقال يا رب بعثتني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني و لولا كرامته عليك لشققت عليه قال

ارجع إلى عبدي فقل له فليضع يده على ثور فله بكل شعرة وارت كفه سنة يعيشها فأتاه فبلغه ما أمره فقال ثم ماذا بعد ذلك قال الموت قال الآن فشمه شمة قبض فيها روحه ورد الله على ملك الموت بصره و في لفظ فلطم عينه ففقأها فرجع فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له إن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور وفيه قال يا رب فالآن و قال رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت ثم لإريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر متفق عليه و عن ذلك معراج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى و إلى حيث شاء الله عز وجل كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة المشهورة في الصحيحين و غيرهما قال البخاري رحمه الله تعالى باب المعراج حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا أذ أتاني آت فقد قال و سمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي قال من ثغرة نحره إلى شعرته و سمعته يقول من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل و فوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة فقال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل و قد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح و النبي الصالح ثم صعد

حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا

يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدت إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون فقال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام قال مرحبا بالإبن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هده سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما

الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع إلى البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت

بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي 1 ومن ذلك التصريح بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له 2 وقد ثبت في ذلك أحاديث كثيرة عن نحو ثلاثين صحابيا وقد ثبت أيضا نزوله تعالى ليلة النصف من شعبان 3 وعشية عرفة 4 وعند فناء الخلق حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي لمن الملك اليوم لله الواحد

القهار 1 وكذا نزوله تعالى لفصل القضاء بين عباده كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمته وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط ذلك كله في آخر هذا الفصل من المتن ومن ذلك تنزل الملائكة ونزول الأمر من عنده وتنزيل الكتاب منه تبارك وتعالى قال الله عز وجل ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده النحل 2 وقال حكاية عنهم وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك مريم 46 وقال تعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه السجدة 5 الآية وقال تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الآرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن الطلاق 21 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضل بعيدا النساء 631 وقال تعالى نزل عليك الكتاب بالحق آل عمران 3 كتاب أنزلناه إليك إبراهيم 1 وهذا ذكر مبارك أنزلناه الأنبياء 05 تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين السجدة 2 تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الزمر 1 إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الزمر 2 تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر 2 تنزيل من الرحمن الرحيم فصلت 2 تنزيل من حكيم حميد فصلت 24 وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا الإسراء 601 وإنه لتنزيل رب العالمين الشعراء 291 نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين الشعراء 391 وغير ذلك من الآيات وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأخيه اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من

السماء 1 وقد تقدم في حديث الذهيبة قوله صلى الله عليه وسلم يأتيني خبر السماء صباحا ومساء 2 وفي الصحيح قال المغيرة رضي الله عنه أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا تبارك وتعالى أنه من قتل منا صار إلى الجنة 3 وفيه قالت عائشة رضي الله عنها من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه إن الله تعالى يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس 4 وفيه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال رجل يا رسول الله أي الذنب أعظم وذكر الحديث إلى أن قال فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلها آخر 5 الآيات وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة ومن ذلك رفع الأيدي إليه والأبصار كما في أحاديث القنوت 6 وأحاديث الاستسقاء 7 وحديث دعائه صلى الله عليه وسلم على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريف سلا

الجزور وهو ساجد 1 وحديث استغاثته ربه ببدر ومناشدته إياه حتى سقط رداؤه 2 وكذا في أحد والخندق وحنين واستغفاره لرفيق أبي موسى يومئذ وغير ذلك 3 فكتب السنة مملوءة بهذا النوع وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة وذلك معلوم بالفطر فكل من حزبه أمر من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل وكذلك رفع البصر ثبت في الدعاء بعد الوضوء في سنن أبي داود وهو في الصحيح بدون رفع البصر وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طرف صاحب الصور من وكل به مستعدا ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان أخرجه الحاكم وصححه 6 وأخرج البغوي عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول إليك رفعت رأسي يا

عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء قال الذهبي إسناده صالح 1 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الناس حفاة عراة مشاة قياما أربعمائة سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قد ألجمهم العرق من شدة الكرب وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة 2 وعن عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي الحديث بطوله قاله الذهبي إسناده حسن 3 وفيه أحاديث غير ما ذكرنا
ومن ذلك إشارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات وذكر الحديث 4 وللبخاري من حديث ابن عباس في خطبته صلى الله عليه وسلم يوم النحر وفيه ثم رفع رأسه فقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت 5 الحديث
ومن ذلك النصوص الواردة في ذكر العرش وصفته وإضافته غالبا إلى خالقه تبارك وتعالى وأنه تعالى فوقه قال الله تعالى الله لا إله إلا هو رب العرش

العظيم النمل 62 وقال تعالى فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم المؤمنون 611 وقال تعالى وكان عرشه على الماء هود 7 وقال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش غافر 51 وقال تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد البروج 41 51 إلى غير ذلك وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب لا إله إلا الله العليم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم 1 وفيه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة 2 وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش 3 الحديث وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما انفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمنه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض وفي رواية وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع 4 وفيه عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله تعالى في

ظله يوم لا ظل إلا ظله 1 قال الذهبي إسناده صالح وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام رواه أبو داود 2 وابن أبي حاتم ولفظه أذن لى أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات 3 وفيه جملة أحاديث غير ما ذكرنا وقد تقدم منها جملة وافية
ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى عليه السلام في أن إلهه الله عز وجل العلي الأعلى خالق كل شيء وإلهه قال آلله تعالى في سورة القصص وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين القصص 83 وقال تعالى في سورة المؤمن وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب غافر 6373 ففرعون لعنه الله تعالى كذب موسى في أن رب السموات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية فكل جهمي ناف لعلو الله عز وجل فهو فرعوني وعن فرعون أخذ دينه وكل سني يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أنه استوى على عرشه بائن من خلقه فهو موسوي محمدي متبع لرسل الله وكتبه

ومن ذلك ما قصه الله تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلى للجبل فاندك الجبل قال الله عز وجل ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا الأعراف 341 الآية قال الترمذي في جامعه في تفسير سورة الأعراف حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى قال فساخ الجبل وخر موسى صعقا هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة 1 ورواه أيضا من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن حماد نحوه 2 ومن طريق معاذ أيضا رواه أحمد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت

البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل قال قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل ما تريد إلى هذا يا أبا محمد قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال من أنت يا حميد وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقول ما تريد إليه 3 ورواه أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية من طريق هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ووضع الإبهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ الجبل قال حميد لثابت يقول هكذا فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول أنس وأنا أكتمه 4 ورواه الحاكم في

مستدركه من طرق عن حماد بن سلمة وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه 1 ورواه الخلال من طريق هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لا علة فيه 2 ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا حماد بن سلمة ومن طريق عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة ومن طريق الهيثم بن جميل قال حدثنا حماد بن سلمة ومن طريق مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حماد ومن طريق حجاج يعني ابن منهال عن حماد بن سلمة ومن طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة 3 قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله تعالى على هذه الآية قبل سياق الحديث بهذه الطرق أفليس العلم محيطا يا ذوي الألباب أن الله عز وجل لو كان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة لكان متجليا لكل شيء وكذلك جميع ما في الأرض لو كان الله تعالى متجليا لجميع أرضه سهلها ووعرها وجبالها وبراريها ومفاوزها ومدنها وقراها وعماراتها وعماراتها وخرابها وجميع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكا كما جعل الله الجبل الذي تجلى له دكا قال الله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى 4 وبالجملة فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام وجميع كتبه المنزلة وجميع أهل السموات ومؤمني أهل الأرض من الجن والإنس أتباع رسل الله وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تجتلها الشياطين عن دينها جميعها شاهدة حالا ومقالا أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تألهه وتفزع إليه وتدعوه رغبا ورهبا هو فوق كل شيء عال على جميع خلقه استوى على عرشه بائنا من مخلوقاته وهو يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم لا يخفى عليه منهم خافية ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميهم وحرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم كل منهم إذا دعا

الله تبارك وتعالى في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو إلى من يعلم سره ونجواه متوجها إليه بقلبه وقالبه يعلم أن معبوده فوقه وأنه إنما يدعي من أعلى لا من أسفل كما يقول الجهمية قبحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علوا كبيرا
ذكر أقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة العلو
روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل حتى ختم الآية 1 وللبخاري في تاريخه عنه رضي الله قال لما قبض رسول الله دخل ابو بكر رضى الله عنه عليه فأكب عليه وقبل وجبهته وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وقال من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حيا لا يموت 2 ولابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا لو ركبنت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم فقال عمر رضي الله عنه ألا أراكم ههنا إنما الأمر من ههنا فأشار بيده إلى السماء قال الذهبي إسناده كالشمس 3 وروى الزهري عن سالم أن كعبا قال لعمر ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء فقال عمر إلا من حاسب نفسه فقال كعب إلا من حاسب نفسه فكبر عمر ثم خر ساجدا 4 وعن

عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ولا رهب وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه قال ابن غنم فحدثت بهذا عثمان ومعاوية ويزيد وعبد الملك رواه أبو نعيم 1 وعن أبي يزيد المدني قال لقيت عمر امرأة يقال لها خولة بنت ثعلبة فقال عمر هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات قال الذهبي هذا إسناد صالح فيه انقطاع أبو يزيد لم يلحق عمر رضي الله عنه وفي لفظ عن عمر رضي الله عنه أنه مر بعجوز فاستوقفته فوقف يحدثها فقال رجل يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز فقال ويلك أتدري من هي هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة التي أنزل الله فيها قد سمع الله قول التي

تجادلك في زوجها وهذا الحديث رواه عثمان بن سعيد الدارمي وقال ابن عبد البر حدثنا من وجوه عن عمر رضي الله عنه فذكره 2 ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ... شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا ... وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الإله مسومينا 3

قال ابن عبد البر في الاستيعاب رويناه من وجوه صحاح وروى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه 1 وروى الأعمش عن خيثمة عنه إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة أصرفوه عنه فإنه إن يسرته له ادخلته النار أخرجه اللالكائي بإسناد قوي 2 وعنه رضي الله عنه قال إن تعالى يبرز لأهل جنته في كل جمعة وكثب من كافور أبيض فيحدث لهم من الكرامة ما لم يروا مثله ويكونون من الدنو منه كمسارعتهم إلى الجمع أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى بإسناد جيد 3 وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال البحر المسجور يجري تحت العرش 4 وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه وينزل الله تعالى في ظل من الغمام من العرش إلى الكرسي 5 وعن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر قال الذهبي هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه 6 وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قالت الملائكة يا ربنا منا الملائكة المقربون ومنا حملة العرش ومنا

الكرام الكاتبون وذكر الحديث قال الذهبي إسناده صالح 1 وعن عائشة رضي الله عنها قالت وأيم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته يعني عثمان رضي الله عنه ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله رواه الدارمي 2 وعن أسماء بنت عميس أن جعفرا رضي الله عنه جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت ما شأنك قال رأيت فتى مترفا من الحبشة شابا جسيما مر على امرأة

فطرح دقيقا كان معها فنسفته الريح فقالت أكلك إلى يوم يجلس الملك على الكرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم رواه ابن ماجة وغيره 3 وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال لما لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه قال رب أخزيتني ولعنتني وطردتني عن سمواتك وجوارك فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح في أجسادهم فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السموات والأرض خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها حسنات 4 وقد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان قال وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالى وارتفاع مكاني لا أزال أغفر ما استغفروني 5 وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع قدميه وما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه وإن السموات في خلق الرحمن عز وجل مثل قبة في

9 - صحراء رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة 1 وللدارمي عنه رضي الله عنه أنه استأذن على عائشة رضي الله عنها وهي تموت فقال كنت أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيبا وأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجدا من مساجد الله تعالى يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار 2 وذكر الطبراني في شرح السنة عن مجاهد قال قيل لابن عباس أن ناسا يكذبون بالقدر قال يكذبون بالكتاب لئن أخذت شعر أحد لا ينبتونه إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فخلق الخلق وكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه 3 ولاسحق بن راهويه عن عكرمة في قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يستطع أن يقول من فوقهم 4 علم أن الله تعالى من فوقهم وليحين بن سعيد الأموي عن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال خرجت مهاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر قصة طويلة وقال فيها فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء فأسلمت وتبعته 5 وأقوال الصحابة في هذا الباب وتفاسيرهم أكثر من أن تحضر وفيما ذكرنا كفاية

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة في صفة العلو

عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال قال الله عز وجل في التوراة أنا الله

فوق عبادي وفوق جميع خلقي وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض قال الذهبي رواته ثقات 1 وعنه رحمه الله قال إن الله تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض وجعل كثفها مثل ذلك ثم رفع العرش فاستوى عليه وذكر الأثر رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة قال الذهبي إسناده نظيف وأبو صالح لينوه وما هو بمتهم بل سيء الاتقان 2 وعن مسروق رحمه الله تعالى أنه إذا كان اذا حدث عن عائشة رضي الله عنهما قال حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة الله المبرأة من فوق سبع سموات قال الذهبي إسناده صحيح 3 ويروى عن عطاء بن يسار رحمه الله أن موسى عليه السلام قال يا رب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك قال هم الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها 4 وعن عبيد بن عمير قال ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى سماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى اذا كان الفجر صعد الرب عز وجل أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في رده على الجهمية 5 وعن شريح بن عبيد الله أنه كان يقول ارتفع إليك ثغاء التسبيح وصعد إليك وقار التقديس سبحانك ذا الجبروت بيدك الملك والملكوت والمفاتيح والمقادير إسناده صحيح 6 وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال أهبط الله تعالى آدم قال يا آدم إني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاق حول عرشي ويصلي عنده كما يصلي عند

عرشي وذكر الأثر قال الذهبي هو ثابت عن أبي قلابة 1 وعن عمرو بن ميمون قال لما تعجل موسى إلى ربه رأى في ظل العرش رجلا يغبطه فسأل الله تعالى أن يخبره باسمه فقال لا ولكني أحدثك بشيء من فعله كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة قال الذهبي إسناده قوي 2 وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال ما أخذت السموات والأرض إلا من العرش كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة 3 وعنه رحمه الله تعالى في قوله عز وجل عسى أن يبعثك ربكم قاما محمودا قال يجلسه أو يقعده على العرش 4 قال الذهبي لهذا القول طرق خمسة وأخرجه ابن جرير في تفسيره وعمل فيه المروزي مصنفا وعن نوف البكالي أن موسى عليه السلام لما سمع الكلام قال من أنت الذي يكلمني قال أنا ربك الأعلى قال الذهبي إسناده صحيح 5 وعنه قال إني أجد في التوراة لو أن السموات والأرض كن طبقا من حديد فقال رجل من الأرض لا إله إلا الله لخرقتهن حتى تنتهى إلى الله عز وجل رواه حماد بن سلمة 6 وعن أبي عيسى يحيى بن رافع رحمه الله

تعالى أن ملكا لما استوى الرب على كرسيه سجد فلا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة فيقول لم أعبدك حق عبادتك 7 وعن قتادة رحمه الله تعالى قال

قالت بنو إسرائيل يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك قال إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم قال الذهبي هذا ثابت عن قتادة 1 وعن عكرمة رحمه الله تعالى قال بينما رجل في الجنة اشتهى الزرع فيقول للملائكة ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول الرب عز وجل من فوق عرشه كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع قال الذهبي إسناده ليس بذاك 2 وصح في السنة للالكائي عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء 3 وفي الحلية بإسناد صحيح عن مالك بن دينار بأنه كان يقول خذوا فيقرأ ثم يقول اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه 4 وعن مجاهد في قوله تعالى وقربناه نجيا قال بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال رب أرني أنظر إليك هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات 5 وعن سفيان قال كنت عند ربيعة بن ابي عبد الرحمن فسأله رجل فقال الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق 6 وعن حسان بن عطية قال حملة

العرش أقدامهم ثابتة في الأرض السابعة ورؤسهم قد جاوزت السماء السابعة وقرونهم مثل طولهم عليها العرش 1 وذكر أيوب السختياني المعتزلة وقال إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء قال الذهبي هذا إسناد كالشمس وضوحا وكالإسطوانة ثبوتا عن سيد أهل البصرة وعالمهم رحمه الله تعالى 2 وقرأ محيصين بن رفيق ابن كثير بمكة وفي السماء رزقكم وما توعدون 3 وعن الضحاك في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم قال هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا أخرجه العسال وابن بطة وابن عبد البر بإسناد جيد 4 وعن سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال لو سألت أين الله لقلت في السماء 5 وعن حبيب بن أبي حبيب قال شهدت خالد بن عبد القسري وخطبهم بواسط فقال أيها الناس ضحوا تقبل الله

ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ثم نزل فذبحه

قال الذهبي والمعتزلة تقول هذا وتحرف نص التنزيل في ذلك وزعموا أن الرب منزه عن ذلك وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في التمهيد وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به 1
ذكر أقوال طبقة أخرى في صفة العلو
عن نوح الجامع قال كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر جهم إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس فقيل لها إن ههنا رجلا نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة فأتيه فأتته فقالت أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك أين إلهك الذي تعبده فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتابا إن الله عز وجل في السماء دون الأرض فقال له رجل أرأيت قول الله عز وجل وهو معكم قال هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه رواه البيهقي ثم قال لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء 2 قلت وإنما أراد بقوله هو كما تكتب إلى الرجل إلخ نفى الحلول إلا فربنا تبارك وتعالى سواء عنده الغيب والشهادة والسر والعلانية وعن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال سألت أبي حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض قال إذا أنكر أنه في السماء أو في الأرض فقال قد كفر لأن الله تعالى يقول الرحمن على العرش

5 - استوى وعرشه فوق سمواته فقلت إنه يقول أقول على العرش استوى ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر رواه شيخ الإسلام الأنصاري في الفاروق 1 وروى المقدسي عنه رحمه الله تعالى أنه قال من أنكر الله عز وجل في السماء فقد كفر 2 وعن أبي جريج رحمه الله تعالى قال كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق 3 وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة من

صفاته وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات 4 وللثعلبي عنه في قوله تعالى ثم استوى على العرش قال هو على عرشه كما وصف نفسه 5 وسئل رحمه الله تعالى عن أحاديث الصفات فقال أمرها كما جاءت 6 وعن مقاتل بن حيان في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم قال هو على عرشه وعلمه معهم رواه عبد الله بن أحمد في السنة 7 وللبيهقي عنه قال بلغنا والله أعلم في قوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه 8 وعن سفيان الثوري في قوله وهو معكم أينما كنتم قال علمه وقال في جميع أحاديث الصفات أمروها كما جاءت

وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء 1 وسأله رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت صاحب بدعة أخرجوه وفي رواية قال الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج 2 وقال سلام بن أبي مطيع ويلكم ما تنكرون هذا الأمر والله ما في الحديث شيء إلا وفي القرآن ما هو أثبت منه قول الله تعالى إن الله سميع بصير ويحذركم الله نفسه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ثم استوى على العرش والسموات مطويات بيمينه ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وكلم الله موسى تكليما يا موسى إنني أنا الله فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب 3 وصح عن ابن الماجشون أنه سئل عما جحدت به الجهمية فقال أما بعد فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعته الجهمية في صفة الرب العظيم الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدره فلم تجد العقول مساغا فرجعت خاسئة حسيرة وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق وإنما يقال كيف لما لم يكن مرة ثم كان أما من لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وساق فصلا طويلا في هذا المعنى 4 وذكر

جملة من نصوص الصفات رحمه الله وقال حماد بن زيد إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله يعني الجهمية رواه ابن أبي حاتم الرازي 1 وقال

محمد بن اسحق إمام أهل المغازي كان الله تعالى كما وصف نفسه إذ ليس الا الماء عليه العرش وعلى العرش ذو الجلال والإكرام الظاهر في علوه علي خلقه فليس شيء فوقه الباطن لإحاطته بخلقه فليس شيء دونه الدائم الذي لا يبيد وكان أول ما خلق النور والظلمة ثم السموات السبع من دخان ثم دحى الأرض ثم استوى إلى السماء فحبكهن وأكمل خلقهن في يومين ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش 2
طبقة أخرى
روى ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد قال كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله 3 وصح عن علي بن الحسن بن شقيق قال قلت لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا عز وجل قال في السماء السابعة على عرشه ولا نقول كما تقول الجهمية أنه هاهنا في الأرض 4 فقيل هذا لأحمد بن حنبل فقال هكذا هو عندنا وعنه رضي الله عنه أن رجلا قال له يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله من كثرة ما أدعو على الجهمية قال لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء رواه عبد الله بن أحمد 5 وقال نوح الجامع وسأله رجل عن الله عز وجل في السماء هو فحدث بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل الأمة أين الله قالت في السماء

قال أعتقها فإنها مؤمنة ثم قال سماها النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنة أن عرفت أن الله عز وجل في السماء رواه عبد الله بن أحمد أيضا 1 وقال عباد بن العوام كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا 2 وثبت عن أبي يوسف رحمه الله قال من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن تتبع غريب الحديث كذب 3 وقد ضرب عليا الأحول وطوف به في شأن الكلام وضرب آخر كان معه 4 وقال محمد بن الحسن اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء 5 وكتب بشر المريسي قبحه الله تعالى إلى منصور بن عمار رحمه الله تعالى يسأله عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فكتب إليه استواؤه غير محدود والجواب فيه تكلف ومسألتك عن ذلك بدعة والإيمان بجملة ذلك واجب قال الله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله 6 وقيل ليزيد بن هارون من الجهمي قال من زعم أن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في

قلوب العامة فهو جهمي رواه عبد الله بن أحمد 1 وقال سعيد بن عامر الضبعي وذكر الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصارى قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش 2 وقالوا هم ليس على العرش وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث إذا جلس الرب جل جلاله على الكرسي فأقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها 3 وقال مرة نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كذا ولا لم كذا 4 وقال عبد الرحمن بن مهدي إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسى وأن يكون على العرش أرى أن يستتابوا فإن وإلا ضربت أعناقهم 5 وقال وهب بن جرير إياكم ورأي جهم فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء وما هو إلا من وحي إبليس ما هو إلا الكفر 6 وقال الأصمعي لما قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود قال الأصمعي هي كافرة بهذه المقالة 7 وقال الخليل بن أحمد في قوله ثم استوى إلى السماء يقول ارتفع 8 وقال الفراء صعد 9 وعن

عبد الله بن أبي جعفر الرازي أنه ضرب رأس قرابة له كان يرى رأي جهم وكان يضرب بالنعل على رأسه ويقول لا حتى تقول الرحمن على العرش استوى بائن من خلقه 1

طبقة الشافعي وأحمد رضي الله عنهما

روى الحافظ المقدسي عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشاهدة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء وذكر سائر الإعتقاد 2 وقال عبد الله بن مسلمة القعنبي من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي 3 وقال عاصم بن علي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى ناظرت جهما فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربا 4 وقال عبد الله بن الزبير الحميدي نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة نقول الرحمن على العرش استوى ومن زعم غير ذلك فهو مبطل جهمي 5 وقال هشام بن عبيد الله الرازي وحبس رجل في التجهم فجيء به إليه ليمتحنه فقال له أتشهد أن الله

على عرشه بائن من خلقه فقال لا أدري ما بائن من خلقه فقال ردوه فإنه لم يتب بعد وقال محمد بن

مصعب العابد من زعم أنك لا تتكلم ولا ترى في الآخرة فهو كافر بوجهك أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سموات ليس كما تقول أعداء الله الزنادقة وقال أبو عمران الطرسوسي قلت لسنيد بن داود هو عز وجل على عرشه بائن من خلقه قال نعم وقال حماد بن نعيم في قوله وهو معكم قال معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه ألا ترى قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الآية رحمه الله تعالى من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها وقال بشر الحافي والإيمان بان الله تعالى على عرشه استوى كما شاء وأنه عالم بكل ما كان وأنه يقول ويخلق فقوله كن ليس بمخلوق ومن دعائه اللهم إنك تعلم من فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف اللهم إنك تعلم من فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى اللهم إنك تعلم من فوق عرشك أني لا أؤثر على حبك شيئا وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في أحاديث الرؤية والكرسي موضع القدمين 1 وضحك ربنا وحديث أين كان ربنا 2 فقال هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث بعضهم عن بعض وهي عندنا حق لا نشك فيها ولكن إذا قيل لنا كيف وضع قدمه وكيف يضحك قلنا لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسره وقال أحمد بن نصر وسئل عن علم الله فقال علم الله معنا وهو على عرشه وقال مكي بن إبراهيم دخلت امرأة جهم على زوجتي فقالت يا أم إبراهيم هذا زوجك الذي يحدث عن العرش من نجره قالت نجره الذي نجر أسنانك قال وكانت بادية الأسنان وقال قتيبة بن سعيد قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال جل جلاله الرحمن على العرش استوى وقال أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله وقال يحيى بن معين إذا قال لك الجهمي وكيف ينزل فقل كيف يصعد قلت الكيف في الحالين منفي

عن الله تعالى لا مجال للعقل فيه وعن علي بن المديني أنه سئل ما قول أهل الجماعة قال يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن الله عز وجل فوق السموات على عرشه استوى فسئل عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم فقال أقرأ ما قبله ألم تر أن الله يعلم وسئل ابو عبد الله أحمد بن حنبل إمام

أهل السنة الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه وقيل له ما معنى وهو معكم قال علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة وقال حرب بن إسماعيل الكرماني قلت لاسحق بن راهويه قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم كيف تقول فيه قال حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه ثم ذكر عن ابن المبارك قوله هو على عرشه بائن من خلقه ثم قال أعلى شيء في ذلك وأبينه قوله تعالى الرحمن على العرش استوى رواه الخلال في السنة وقال اسحق بن راهويه دخلت على ابن طاهر فقال ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا قلت نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام فقال ينزل ويدع عرشه فقلت يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش قال نعم قلت فلم تتكلم في هذا وروى الخلال عنه قال قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى إجماع اهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة وقال رجل لابن الأعرابي رحمه الله تعالى يا أبا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال هو على عرشه كما أخبر فقال الرجل ليس كذاك إنما معناه استولى فقال أسكت ما يدريك ما هذا العرب لا تقول الرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل استولى والله تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر ثم قال الإستيلاء بعد المغالبة قال النابغة ... إلا لمثلك او ما أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد وقال ... ذو النون المصري رحمه الله أشرق لنور وجهه السموات وأنار لوجهه الظلمات وحجب جلاله عن العيون وناجاه على عرشه ألسنة الصدور

طبقة أخرى
وقال المزني في عقيدته الحمد لله أحق ما بدى وأولى من شكر وعليه أثني الواحد الصمد ليس له صاحبة ولا ولد جل عن المثل فلا شبيه له ولا عديل السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع عال على عرشه فهو دان بعلمه من خلقه والقرآن كلام الله ومن الله ليس بمخلوق فيبيد وقدرة الله ونعته وصفاته كلمات غير مخلوقات دائمات أزليات ليس محدثات فتبيد ولا كان ربنا ناقصا فيزيد جلت صفاته عن شبه المخلوقين عال على عرشه بائن من خلقه وذكر ذلك المعتقد وقال لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على عرشه بصفاته قلت مثل أي شيء قال سميع بصير عليم قدير رواه ابن منده وسئل محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى عن حديث عبد الله بن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم العبد أن الله معه حيث كان 1 فقال يريد أن الله علمه محيط بكل ما كان والله على العرش وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى في آخر الجامع الصحيح في كتاب الرد على الجهمية

باب قوله تعالى وكان عرشه على الماء قال أبو العالية استوى على عرشه ارتفع وقال مجاهد في استوى علا على العرش وقالت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها زوجني الله من فوق سبع سموات 2 ثم إنه بوب رحمه الله تعالى على أكثر ما تنكره الجهمية من الصفات محتجا بالآيات والأحاديث وقال أبو زرعة الرازي وسئل عن تفسير الرحمن على العرش استوى فغضب وقال تفسيره كما تقرأ هو على عرشه وعلمه في كل مكان من قال غير هذا فعليه لعنة الله وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول

الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم أن الله تبارك تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف أحاط بكل شيء علما وقال محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير رواه أبو القاسم الطبري وقال يحيى بن معاذ الرازي إن الله على العرش بائن من خلقه أحاط بكل شيء علما لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه رواه صاحب الفاروق وعن محمد بن أسلم الطوسي رحمه الله تعالى قال قال لي عبد الله بن طاهر بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء فقلت وهل أرجو الخير إلا ممن هو في السماء رواه الحاكم في ترجمته وقال عبد الوهاب الوراق من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث إن الله عز وجل فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة وكتب حرب الكرماني إلى عبد الرحمن بن محمد الحنظلي إن الجهمية أعداء الله وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق وأن الله لم يكلم موسى ولا يرى في الآخرة ولا يعرف لله مكان وليس على العرش ولا كرسي وهم كفار فاحذرهم وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في كتاب النقض قد اتفقت الكلمة بين المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته يعلم ويسمع من فوق العرش لا تخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء 1 وقال أبو محمد بن قتيبة رحمه الله تعالى كيف يسوغ لأحد أن يقول أن الله سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله الرحمن على العرش ومع قوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه كيف يصعد إليه شيء هو معه وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهو معه قال لو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها عجميها وعربيها تقول إن الله في السماء ما تركت على فطرها 2 وقال أبو بكر بن عاصم الشيباني

جميع ما في كتابنا كتاب السنة الكبير من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها ويجب التسليم لها على ظاهرها وترك تكلف الكلام في كفيتها 1 فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله في جامعه لما روى حديث أبي هريرة وهو خبر منكر عند أهل الحديث لو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله فقال قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه 2 وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في كتاب السنة من سننه باب في الجهمية وساق في ذلك حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله 3 وفي رواية فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ من الشيطان 4 وذكر حديث الأوعال وحديث جبير بن مطعم وحديث أذن لي أن أحدث عن ملك 5 الحديث وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتقدات أهل السنة وما ورد فيها من الأحاديث رحمه الله تعالى كالرؤية والنزول وطي السموات والأرض وتكلم الله عز وجل والشفاعة والبعث وخلق الجنة والنار وفتنة القبر وعذابه والحوض والميزان وغير ذلك ورد على طوائف الجهمية والمرجئة والخوارج والروافض رحمه الله تعالى وقال ابن ماجة رحمه الله تعالى في سننه باب ما أنكرت الجهمية

فساق حديث الرؤية وحديث أبي رزين وحديث جابر بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور الحديث تقدم 1 وحديث الأوعال وغيرها وكذلك مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهم من أهل السنن ساقوا أحاديث الصفات وأمروها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل وقال ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى ذكروا أن الجهمية يقولون ليس بين الله وبين خلقه حجاب وأنكروا العرش وأن الله فوقه وقالوا إنه في كل مكان ففسرت العلماء وهو معكم يعني علمه ثم تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه فهو فوق العرش متخلصا من خلقه بائنا منهم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى لا يجوز لمؤمن أن يقول كيف الاستواء لمن خلق الاستواء ولنا عليه الرضا والتسليم لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنه تعالى على العرش قال وإنما سمي الزنديق زنديقا لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه

طبقة أخرى
قال زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وساق سائر الاعتقاد وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين رحمه الله في عقيدته وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر ونقل في تفسير ثم استوى على العرش في المواضع كلها أي علا وارتفع وتفسيره مشحون بأقوال السلف على الإثبات وقال حماد بن هناد البوشنجي هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه وإيضاح منهاج العلماء وصفة السنة وأهلها إن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وسلطانه وقدرته بكل مكان وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة من لم يقر بأن

الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى برائحته أهل القبلة وأهل الذمة وقال أبو العباس بن سريج قد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد وأن السؤال عن معانيها بدعة والجواب كفر وزندقة مثل قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وقوله الرحمن على العرش استوى وذكر الاعتقاد وقال ثعلب إمام العربية على العرش استوى علا وقال أبو جعفر الترمذي وسأله سائل عن حديث نزول الرب فالنزول كيف هو يبقى فوقه علو فقال النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقال الطحاوي الإمام في عقيدته والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه 1 وقال أبو الحسن الأشعري في ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وأن الله على عرشه كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى قال ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لأن الله تعالى مستو على العرش الذى هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش 2 وقال أبو محمد البربهاري رحمه الله تعالى الكلام في الرب محدثة وبدعة وضلالة فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسه ولا نقول في صفاته لم ولا كيف يعلم السر وأخفى وعلى عرشه استوى وعلمه بكل مكان
طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة
قال أبو أحمد العسال في باب تفسير قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فساق ما ورد فيه من أقوال السلف وأئمتهم وحديث ابن مسعود وقد مر

وقال أبو بكر الصبغي في قوله تعالى من في السماء أي من على العرش كما صحت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة باب ما جاء في استواء الله على عرشه بائنا من خلقه فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي وحديث الأوعال وغيرهما من أحاديث العلو وقال أبو بكر الآجري الذي يذهب أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما خلق في سبع أرضين يرفع إليه أعمال العباد 1 وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة له ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه وساق جملة أحاديث في ذلك وقال أبو بكر الإسماعيلي استوى على العرش بلا كيف فإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه وقال الأستاذ أبو منصور الأزهري الله تعالى على العرش وقال أبو الحسن بن مهدي رحمه الله في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى أعلم أن الله تعالى في السماء فوق كل شيء مستو على العرش بمعنى أنه عال عليه ومعنى الاستواء الاعتلاء وإنما أمرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه يرفعها نحو العرش الذي هو مستو عليه وقال ابن بطة رحمه الله باب الإيمان بأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه وقال الدارقطني رحمه الله تعالى ... حديث الشفاعة في أحمد ... إلى أحمد المصطفى نسنده ... وأما حديث باقعاده على العرش أيضا فلا نجحده ... امروا الحديث على وجهه ... ولا تدخلوا فيما يفسده ...
2

وقال ابن منده رحمه الله تعالى فهو تعالى موصوف غير مجهول وموجود غير مدرك ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه وهو يسمع ويرى وهو بالمنظر الأعلى وعلى العرش استوى فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه وهو بكل شيء محيط وقال محمد بن أبي زيد المغربي وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته وأنه في كل مكان بعلمه قلت وقد أطلق هذه العبارة أعني قوله بذاته أبو جعفر بن أبي شيبة والدارمي ويحيى بن عمار وأبو نصر السجزي وابن عبد البر وشيخ الإسلام الأنصاري وأبو الحسن الكرجي وأحمد بن ثابت الطرقي وعبد العزيز القحيطي وعبد القادر الجبلي وطائفة وقال ابن فورك رحمه الله استوى بمعنى علا وقال في قوله أأمنتم من في السماء أي من فوق السماء 1 وقال ابن

الباقلاني في إبانته فإن قيل فهل تقولون إنه في كل مكان قيل معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال أأمنتم من في السماء إلى آخر كلامه وقال أبو أحمد القصاب في عقيدته كان ربنا عز وجل وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجة إليه فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد لا استقرار راحة كما يستريح الخلق قلت تفسير الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة ونحن لا نصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة لا نزيد عليه ولا ننقص منه وقال الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى طريقنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام إلى أن قال وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وقال معمر بن زياد في أثناء وصيته وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا

تأويل والاستواء معقول والكيف مجهول وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون منه وذكر سائر الاعتقاد وقال أبو القاسم اللالكائي في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وأن الله على عرشه قال الله عز وجل إليه يصعد الكلم الطيب وقال أأمنتم من في السماء وقال وهو القاهر فوق عباده فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه في كل مكان وروي ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة ومن التابعين ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال يحيى بن عمار هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وذلك معنى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فهذا الذي قلناه كما قال الله تعالى وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لفظة بذاته مستغنى عنها بصريح النصوص الكافية الوافية 1 وقال القادر بالله أمير المؤمنين في معتقده المشهور وأنه خلق العرش لا لحاجة واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة وكل صفة وصف بها نفسه أو صفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز وقال أبو عمرو الطلمنكي رحمه الله تعالى أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم ونحو ذلك من القرآن أنه علمه وأن الله تعالى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه فوق سمواته وقال أبو نصر السجزي أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة

وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان وقال أبو عمرو الداني في أرجوزته التي في عقود الديانة ... كلامه وقوله قديم ... وهو فوق عرشه العظيم ...
2
- وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح حديث النزول هذا حديث صحيح لم

يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وقال أيضا أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله وقال أبو يعلى رحمه الله بعد أن ذكر حديث الجارية الكلام في هذا الخبر في فصلين أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء وقد أخبرنا تعالى بأنه في السماء فقال أأمنتم من في السماء وهو على العرش وقال أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب المعتقد له باب القول في الاستواء قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى وقال ثم استوى على العرش وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم إليه يصعد الكلم الطيب أأمنتم من في السماء وأراد من فوق السماء كما قال تعالى في جذوع النخل وقال فسيحوا في الأرض أي على الأرض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات 1
طبقة أخرى
قال أبو الفتح نصر المقدسي وأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه وقال شيخ الإسلام الأنصاري صاحب منازل السائرين 2 في التصوف قال في كتاب له باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنا من خلقه من الكتاب والسنة فساق الحجة من الآيات والأحاديث إلى أن قال وفي أخبار شتى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان وقال البغوي رحمه

الله تعالى في قوله عز وجل ثم استوى على العرش قال الكلبي ومقاتل استقر وقال أبو عبيدة صعد وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء فأما أهل السنة فإنهم يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل ثم ذكر قول مالك المتقدم وقال وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات أمروها كما جاءت بلا كيف 1 وقال أبو الحسن الكرجي في بائيته ... عقائدهم أن الإله بذاته ... وأن استواء الرب يعقل كونه ... على عرشه مع علمه بالغوائب ... ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب ...
وقال الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى في كتاب الغنية أما معرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد إلى أن قال وهو مستو على العرش محتو على الملك محيط بالأشياء اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه و لا يجوكز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وينبغي إطلاق ذلك من غير تأويل وكونه تعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف وقال أبو عبد الله القرطبي وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواؤه على عرشه حقيقة وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه الا يعلم حقيقة كيفيته 2 قلت أراد بالجهة إثبات العلو لله تعالى أما لفظ الجهة فلم يرد في الكتاب ولا السنة ولا يلزم من إثبات العلو إثباتها لأن العرش سقف جميع

المخلوقات فما فوقه لا يسمى جهة ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلو إثبات الجهة فلازم الحق حق فما استلزمه صريح الآيات والأحاديث فهو حق بلا خلاف عند أهل السنة وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية بعد سرد الآيات والأحاديث في الصفات فصل وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه علي على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله وهو معكم أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر

مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان والله سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله في السماء أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله تعالى قد وسع كرسيه السموات والأرض وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ا ه ومصنفات هذا الإمام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى في الانتصار لمعتقد أهل السنة والجماعة قد طبقت المشارق والمغارب ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم والدين من السلف والخلف لاحتجنا إلى عدة أسفار بل إلى عدة أحمال وفيما ذكرناه كفاية ونحن نشهد الله تعالى وحملة عرشه وجميع ملائكته وأنبياءه ورسله وجميع خلقه أنا نثبت لربنا عز وجل ما أثبته لنفسه في كتابه واثبته رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه

أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا ممن ذكرنا وممن لم نذكر من أن ربنا وإلهنا فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منهم خافية واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلي الوجه الذي عناه وأراده كما يليق بجلال ربنا وعظمته لا تتكلف لذلك تأويلا ولا تكييفا بل نقول آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نطلب إماما غير الكتاب والسنة ولا نتخطاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما فننطق بما نطقا به ونسكت عما سكتا عنه ونسير سيرهما حيث سارا ونقف معهما حيث وقفا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ... ومع ذا مطلع إليهمو ... بعلمه مهيمن عليهم ... وذكره للقرب والمعية ... لم ينف للعلو والفوقية ... فإنه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه ...
ومع ذا التصاف بالعلو والاستواء على العرش والمباينة منه لخلقه تبارك وتعالى فهو مطلع سبحانه وتعالى إليهمو الواو للإشباع بعلمه المحيط بجميع
المعلومات لا تخفى عليه منهم خافية كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى طه 5 7 فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمه السر وأخفى وكذلك جمع عز وجز بينهما في قوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم الحديد 3 وهو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء هكذا فسره رسول الله صلى الله عليه

وسلم في حديث أبي هريرة عند مسلم 1 وكذلك جمع تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال عز وجل هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو

معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير الحديد 4 وكذلك جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين هذين المعنيين في حديث الأوعال إذ يقول والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه 1 وغير ذلك من الآيات والأحاديث وهو إجماع المؤمنين مهيمن رقيب عليهمو بواو الإشباع وذكره تبارك وتعالى للقرب في قوله عز وجل وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان البقرة 681 وقوله تعالى انه سميع قريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيحين إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته 2 و كذلك ذكره المعية العامة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا المجادلة 7 وقوله عز وجل وهو معكم أينما كنتم الحديد 4 وكذا المعية الخاصة في قوله عز وجل إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون النحل 821 وقول واصبروا إن الله مع الصابرين الأنفال 64 وقوله لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى طه 64 وقوله في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضي الله عنه إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا التوبة 04 كل ذلك لم ينف العلو المذكور في النصوص السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه تعرج الملائكة والروح إليه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض والفوقية عطف على العلو وهو رديفه في المعنى أي ولم ينف قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده الأنعام 81 وقوله يخافون ربهم من فوقهم النحل 05 وقول النبي صلى الله عليه وسلم والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه 3 بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه عز وجل وبين علوه فإنه

هو العلي المتصف بجمع معاني العلو ذاتا وقهرا وشأنا في دنوه فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء وليس ذلك منافيا لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته و لا

صفاته و لا افعاله ومعيته العامة في قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم معناها إحاطته بهم علما وقدرة كما يدل عليه أول السياق وآخره وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل اجماعهم على ذلك واما معيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه ويقصر تعريفه دونه وكفاك قول الله عز وجل فيما رواه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم إذ يقول ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها 1 وفي بعض الرواية وقلبه الذي يعقل به ولسانه الذي ينطق به 2 وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما المراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان الى درجة الإحسان فيصير يعبد الللە على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم بقوله أحبوا الله من كل قلوبكم 3 فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره فإن نطق نطق بالله وإن سمع سمع به وإن نظر نظر به وإن بطش بطش به فهذا هو المراد بقوله عز

وجل كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريئان منه منه وهو القريب جل في علوه فهو سبحانه وتعالى مستو على عرشه عال على جميع خلقه وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه ويعلم سره ونجواه وهو أقرب إلى داعيه من عنق راحلته ويعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو أقرب إليه من حبل الوريد فإن الذي عند عنق راحلته أو عند حبل وريده لا يعلم ما خفي عليه من كلامه والله عز وجل على عرشه ويعلم السر وأخفى ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل م السماء وما يعرج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرته لا تخفى عليه منهم خافية وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر فهو على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط فهو سبحانه القريب في علوه العلي في دنوه وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ... حي وقيوم لا ينام ... وجل أن يشبهه الأنام ... لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ... ولا يكيف الحجا صفاته ...

حي لا يموت كما قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الفرقان 85 وقال تعالى هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين فهو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون 1
وقيوم فهو القيوم بنفسه القيم لغيره فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها إلا به ولا قوام لها بدون أمره كما قال تعالى ومن آياته أن تقوم

السماء والأرض بأمره وهو القائم على كل شيء والقائم بجميع أمور عباده والقائم على كل نفس بما كسبت وفي الصحيحين من دعائه صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض 1 الحديث وقد جمع تعالى بين هذين الإسمين الحي القيوم في ثلاثة مواضع من كتابه الأول آية الكرسي من سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم البقرة 552 الثاني أول سورة آل عمران ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم آل عمران 1 2 الثالث في سورة طه وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما طه 111 وروى ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعا قال إسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب في ثلاث سور سورة البقرة وآل عمران وطه 2 فلا ينام أي لا يعتريه

نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه فإن ذلك نقص في حياته وقيوميته ولهذا أردف هذين الإسمين بنفي السنة والنوم فقال الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم البقرة 552 أي لا تغلبه سنة وهو الوسن والنعاس ولا نوم ونفيه من باب أولى لأنه أقوى من السنة بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأربع كلمات فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور أو النار لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه 1 وجل عن أن يشبهه الأنام في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله لأن الصفات تابعة لموصوفها فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات ولو اهتدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى الله إليه أهل السنة والجماعة لما نفوا عن الله ما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما عطلوه عن صفات كماله ونعوت جلاله فرارا بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظم من ذلك ولزمهم أضداد ما نفوه من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وسبب ضلالهم أنهم تقدموا بين يدي الله ورسوله واتهموا الوحيين فيما نطقا به ووزنوهما بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة وقوانينهم الفاسدة التي هي ليست من الله في شيء ولا من علوم الإسلام في ظل ولا فيء وإنما هي أوضاع مختلفة أدخلها الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهار الفساد ولغرس شجرة الالحاد المثمرة تعطيل الباري عز وجل عن صفات كماله وعلوه واعتقاد الحلول والاتحاد ... جاءوا بها في قالب التنزيه ... لله كي يغووا كل سفيه ... قالوا صفات كماله منفية ... عنه مخافة موجب التشبيه

معارج القبول [جزء 1 - صفحة 210]

تعطيلهم سموه تنزيها له ... ليروجوا فاعجب لذا التمويه ... والوحى قالوا نصه لا يوجب العلم اليقين فأى دين فيه ... ما الدين الا ما عن اليونان قد ... جئنا به طوبى لمن يحويه نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ... وبقوا حيارى في ضلال التيه ...
فسموا النور الذي أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم تفصيل كل شيء وتبيانا لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء وبيان النبى من جوامع كلمه التي اختصه الله بها فسموا ذلك كله آحادا ظنية لا تفيد اليقين وسموا زخارف أذهانهم ووساوس شيطانهم قواطع عقلية لا والله ما هي إلا خيالات وهمية ووساوس شيطانية هي من الدين بريئة وعن الحق أجنبية توجب الحيرة وتعقب الحسرة كثيرة المباني قليلة المعاني كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئا لكن وجده السم النقيع والداء العضال فخاخ هلكة نصبها الأعداء لاصطياد الأغبياء وخدعة ماكر في صورة ناصح فعل عدو الله اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في دلالتهما على الشجرة التي نهاهما ربهما عنها وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور الأعراف 21 22 إلى آخر الآيات وكذلك كتب الكلام والمنطق اليوناني أدخله الأعداء علينا وسموه علم التوحيد تلبيسا وتمويها وما هو إلا سلم الإلحاد والزندقة وجحدوا صفات الباري عز وجل وسموا ذلك تنزيها ليغروا

الجهال بذلك وإنما هو محض التعطيل وسموا أولياء المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته مشبهة لينفروا الناس عنهم مكرا وخديعة فأصبح المغرور بقولهم المخدوع بمكرهم حائرا مخذولا لأنهم لما عزلوا كتاب الله عن البيان وحكموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات الديان لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التي منحه الله إياها ومتى شاء سلبه ولم ينظروا المتصف بها من هو فلذلك نفوها عن الله عز وجل لئلا يلزم من إثباتها التشبيه فشبهوا أولا وعطلوا ثانيا فلما نفوا عن الله صفات كماله لزمهم إثبات ضدها وهو النقائص فمن نفى عن الله كونه سميعا بصيرا فقد شبهه بما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئا وكذلك سائر الصفات وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم كما شاء الله تعالى

وعلى الوجه الذي أراد فجميع صفاته صفات كمال وجلال تليق بعظمة ذاته ونفيها ضد ذلك ولا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات فإن الله تعالى قد سمى نفسه سميعا بصيرا وأخبرنا انه جعل الإنسان سميعا بصيرا وسمى نفسه الرؤوف الرحيم وأخبر أن نبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم وسمى نفسه الملك فقال ملك يوم الدين ملك الناس وسمى بعض خلقه ملكا فقال وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي يوسف 45 وهو العزيز وسمى بعض عباده عزيزا وغير ذلك فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها فليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر ولا الرأفة كالرأفة ولا الرحمة كالرحمة ولا العزة كالعزة كما أنه ليس المخلوق كالخالق ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول الآخر الظاهر الباطن وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحي القيوم الغني عما سواه وكل ما سواه فقير إليه فصفات الخالق الحي القيوم قائمة به لائقة بجلاله أزلية بأزليته دائمة بديموميته لم يزل متصفا بها ولا يزال كذلك لم تسبق بضد ولم تعقب به بل له تعالى الكمال المطلق أولا وأبدا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير السورى 24 فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه
لا تبلغ الأوهام كنه ذاته أي نهاية حقيقتها كما قال تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم و لا يحيطون به علما طه 20 وقال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء البقرة 552 وإنما نعرفه تعالى بما وصف به نفسه في كتبه المنزلة على رسله بأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد الإخلاص 3 4 الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم البقرة 552 إلى آخر الآية هو الله الذى الله لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الحشر 22 الله لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى

يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الحشر 42 هو الأول والآخر

والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم الحديد 3 إلى غير ذلك من آيات الأسماء والصفات ولا يكيف الحجا أي العقل صفاته لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو فالواجب علينا أيها العبيد الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وإمرارها كما جاءت واعتقاد أنها حق كما أخبر الله عز وجل وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم التكييف والتمثيل لأن الله عز وجل أخبرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ولم يبين كيفيتها فنصدق الخبر ونؤمن به ونكل الكيفية إلى الله عز وجل فصفات ذاته تعالى من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا والمجيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق على حقيقتها علمنا اتصافه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتها ولم يحيطوا بها علما كما قالت أم سلمة رضي الله عنها وربيعة الرأي ومالك بن أنس وغيرهم رحمهم الله تعالى الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم وكذلك القول في جميع صفاته عز وجل وإنا والله لكالون حائرون في كيفية سراية الدم في أعضائنا وجريان الطعام والشراب فينا وكيف يدبر الله تعالى قوت كل عضو فيه بحسب حاجته وفي استقرار الروح التي هي بين جنبينا وكيف يتوفاها الله في منامها وتعرج إلى حيث شاء الله عز وجل ويردها إذا شاء وكيفية إقعاد الميت في القبر وعذابه ونعيمه وكيفية قيام الأموات من القبور حفاة عراة غرلا وكيفية الملائكة وعظم خلقهم فكيف العرش الذي لا يقدر قدره إلا الله عز وجل كل ذلك نجهل كيفيته ونحن مؤمنون به كما أخبرنا الله عز وجل عنه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام إيمانا بالغيب وإن لم نعلم الكيفية فكيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاته العلى ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون آمنا به كل من عند ربنا ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين

انفراده عز وجل بالإرادة والمشيئة ... باق فلا يفنى ولا يبيد ... ولا يكون غير ما يريد ... منفرد بالخلق والإراده ... وحاكم جل بما اراده ...

باق كما أنه الأول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء كما لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته فلا يفنى ولا يبيد بل هو المفني المبيد وهو المبدئ المعيد قال الله عز وجل ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون القصص 88 وقال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام الرحمن 62 72 ولا يكون في الكون غير ما يريد والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التي لا بد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن فهو سبحانه الفعال لما يريد ولا نفوذ لإرادة أحد إلا أن يريد وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئته ولو شاء عدم وقوعها لم تقع وورود ذلك في نصوص الكتاب والسنة معلوم كقوله تبارك وتعالى فعال لما يريد البروج 61 فأراد ربك أن يبلغا أشدهما الكهف 28 وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا الإسراء 61 وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي فإن الله لا يأمر بالفسق شرعا ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمر تكوين ألا ترى أن الفسق علة حق القول عليهم و حق القول عليهم علة لتدميرهم وهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له وذلك هو أمر التكوين وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر البقرة 581 إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يس 28 ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا المائدة 14 أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم المائدة 14 وقول نوح لقومه ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون هود 43 وقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح

صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء الأنعام 521 وقوله تعالى وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له الرعد 11 وقوله تعالى وأن الله يهدي من يريد قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا المائدة 71 قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة الأحزاب 71 وقوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا الفتح 11 وقوله يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة آل عمران 671 وقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما ما نشاء لمن نريد الإسراء 81 وقول صاحب يس أأتخذ من دونه آلهة إن يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون يس 32 وقال تعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته الزمر 83 وقول النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين 1 من يرد الله به خيرا يصب به 2 إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها وإذا أراد

هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأقر عينه بهلاكها 3 إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه بذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة 4 إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة 5 إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب

الرفق 1 إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم 2 والآثار النبوية في ذلك كثيرة وكذلك لفظ المشيئة في الكتاب والسنة وروده معلوم كقوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد البقرة 352 وقال تعالى كذلك الله يفعل ما يشاء آل عمران 04 وقال ولو شاء ربك ما فعلوه الأنعام 731 ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا يونس 99 ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة هود 811 ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الأنعام ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها السجدة 31 ولو شاء الله لانتصر منهم محمد 4 ولو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك الإسراء 68 فإن يشأ الله يختم على قلبك الشورى 42 إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا النساء 331 لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين الفتح 72 إنما يأتيكم به الله إن شاء هود 33 وقوله عن إمام الحنفاء ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما الأنعام 08 وقوله عن الذبيح ستجدني إن شاء الله من الصابرين الصافات 201 وقوله عن شعيب عليه السلام وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما الأعراف 98 وقوله عن يوسف ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين يوسف 99 وقوله عن موسى ستجدني إن شاء الله صابرا الكهف 96 وقوله عن قوم موسى وإنا إن شاء

الله لمهتدون البقرة 07 وقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله الكهف 42 قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا

ما شاء الله يونس 94 وقال خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك هود 701 وعن أهل النار مثل ذلك وقال ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم الإسراء 54 وقال يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء المائدة 04 وقال ولكن ينزل بقدر ما يشاء الشورى 72 وقال إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر الإسراء 03 وقال يمحو الله ما يشاء ويثبت الرعد 93 وقال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به يونس 61 وقال نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا الإنسان 82 وقال وما يذكرون إلا أن يشاء الله المدثر 65 وقال وما تشاءون إلا أن يشاء الله الإنسان 03 فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا وقال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير آل عمران 62 وقال ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم الأحزاب 42 وقال يختص برحمته من يشاء آل عمران 47 وقال ولكن الله يزكي من يشاء النور 12 وقال والله يضاعف لمن يشاء البقرة 162 وقال نصيب برحمتنا من نشاء يوسف 65 و قال نرفع درجات من نشاء يوسف 67 وقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يوسف 65 و قال ولكن الله يمن على من يشاء من عباده إبراهيم 11 وقال فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين يوسف 011 وقال الله يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء الروم 84 وقال إن ربي لطيف لما يشاء يوسف 001 وقال يؤتي الحكمة من يشاء البقرة 992 وقال ولو نشاء لطمسنا على أعينهم يس 66 ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

البقرة 02 وقال إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره الشورى 33 وقال ولو نشاء لجعلناه حطاما الواقعة 56 لو نشاء جعلناه أجاجا الواقعة 07 وقال فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء التوبة 82 وقال إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فاطر 61 إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء الأنعام 331 ولو شاء الله لأعنتكم البقرة 22 الله يجتبي إليه من يشاء الشورى 31 والله يضاعف لمن يشاء البقرة 162 وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة القصص 86 لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما الشورى 94 ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الشورى 25 هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء آل عمران 6 في أي صورة ما شاء ركبك الأنفطار 8 ولكن الله يمن على من يشاء من عباده إبراهيم 11 الله لطيف بعباده يرزق من يشاء الشورى 91 ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر القصص 28 وغير ذلك من الآيات

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحوا من هذه الآيات وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم وهو سبحانه يخبر تارة أن كل ما في الكون بمشيئته وتارة أن ما لم يشأ لم يكن وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عصى وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عباده فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة

إلا بعد إذنه وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره اه 1
والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيرا جدا منها قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الجنين فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك 2 وقوله اشفعوا تأجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء 3 إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء 4 إن الله لو شاء لم تناموا عنها ولكنه أراد ليكون لمن بعدكم 5 قولوا ما شاء الله وحده 6 قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء 7 ما من قلب إلا بين اصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه 8 وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك 9 وقوله عن الله عز وجل فذلك فضلي أوتيه من أشاء 01 وقوله مثل

الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء 1 وقوله تعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله عز وجل سحائب من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده 2 وقوله في حديث البيعة ومن أصاب في ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له 3 وفي حديث احتجاج الجنة والنار قوله تعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وللنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء 4 وقوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت وارزقني إن شئت ليعزم المسألة فإن الله تعالى لا مكره له 5 وقوله ولكن قل قدر الله وما شاء فعل 6 وقوله عن الله عز وجل

ذلك بأني جواد أفعل ما أشاء عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون 7 وقوله ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آية دون الموت 8 وفي حديث الشفاعة

فيدعني ما شاء ا لله أن يدعني 1 وفي حديث آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيسكت ما شاء الله أن يسكت 2 وفيه قوله تعالى لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير 3 وقال فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي 4 وقال لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد 5 وقال إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله ما بين أيلة إلى كذا 6 وقال في المدينة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله تعالى 7 وفي زيارة القبور وإنا إن شاء الله بكم لا حقون 8 وفي حصار الطائف إنا قافلون غدا إن شاء الله 9 وفي قدومه مكة منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة 01 وفي قصة بدر هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان إن شاء الله 21 وفي بعض أسفاره أسفاره إنكم تأتون الماء غدا إنشاء الله وقال من حلف فقال إن شاء الله فإن شاء

مضى وإن شاء رجع غير حنث 1 وقال لأغزون قريشا ثم قال في الثانية إن شاء الله 2 وقال ألا مشمر للجنة فقال الصحابة نحن المشمرون لها يا رسول الله فقال قولوا إن شاء الله قالوا إن شاء الله 3 وغير ذلك من الأحاديث الثابتة منفرد ربنا عز وجل بالخلق فما من مخلوق في السموات والأرض إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه فهو خالق كل صانع وصنعته وخالق الكافر وكفره والمؤمن وإيمانه والمتحرك وحركته والساكن وسكونه كما قال تعالى الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل الزمر 26 وقال تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو العزيز الحكيم فاطر 3 وقال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير التغابن 3 وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون الصافات 69 وقال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء الروم 04 وقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم

سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم النحل 08 18 وقال تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم الواقعة 85 47 وفي الصحيح من أحاديث الأشعريين ما أنا أحملكم ولكن الله حملكم 1 وفيه من حديث المصورين ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرا 2 وفيه من صور صورة كلف الله أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ 3 وغير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة فلله الخلق والأمر وله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير والإرادة أي ومنفرد بالأرادة فلا مراد لأحد معه ولا إرادة لأحد إلا بعد إرادته عز وجل ومشيئته كما قال

تعالى كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما تشاءون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة المدثر 45 65 وقال تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين التكوير 72 92 وقال تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما الإنسان 92 13 فللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله عز وجل لهم إذا شاء وأراد
وحاكم جل بما أراده فلا معقب لحكمه ولا راد لإرادته ولا مناقض لقضائه وقدره وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض بل هو فعال لما يريد وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إن الله يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء لا ناقص لما أبرم

ولا معارض لما حكم ولا يقال لم فعل كذا وهلا كان كذا لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون الأنبياء 32 وفي حديث أبي ذر عن الترمذي وغيره وفي آخره قال ذلك بأني جواد وأجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون 1 ... فمن يشأ وفقه بفضله ... فمنهم الشقي والسعيد ... ومن يشأ أضله بعدله ... وذا مقرب وذا طريد ...
قال الله عز وجل من يشأ الله يضلل ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الأنعام 95 وقال تعالى ... من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون الأعراف 781 وقال تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في

طغيانهم يعمهون الأعراف 681 وقال تعالى من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه الإسراء 79 وقال تعالى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا الكهف 71 وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فاطر وقال تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء الأنعام 521 وقال تعالى قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الرعد 72 وقال تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين القصص 65 وقال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء البقرة 272 وقال تعالى قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون يونس 53 وقال تعالى قل إن هدى الله هو الهدى البقرة 021 وقال تعالى قل إن الهدى هدى الله آل عمران 37 وقال تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها الشمس 6 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له 1 وقال صلى الله عليه وسلم اللهم آت نفسي تقواها زكها أنت خير من زكاها إنك أنت وليها ومولاها 2
فمنهم أي من عباده الشقي وهو من أضله بعدله و منهم السعيد وهو من وفقه وهداه بفضله فالسعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله فلله الحمد على فضله وعدله وذا مقرب بتقريب الله إياه وهو السعيد وذا طريد بإبعاد الله إياه وهو الشقي البعيد فبيده تعالى الهداية والإضلال والإشقاء

والإسعاد فهدايته العبد وإسعاده فضل ورحمة وإضلاله وإبعاده عدل منه وحكمة وهو أعلم بمواقع فضله وعدله وهو الحكيم العليم الذي يضع الأشياء مواضعها وهو أعلم بمن هو محل الهداية فيهديه ومن هو محل الإضلال فيضله وهو أحكم الحاكمين وهو عليم بالمتقين وعليم بالظالمين وعليم بالمهتدين وهو أعلم بالشاكرين وأعلم بما في صدور العالمين وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولذا نقول ... لحكمة بالغة قضاها ... يستوجب الحمد على اقتضاها ...

أي أن جميع أفعاله من هدايته من يشاء وإضلاله من يشاء وإسعاد من يشاء إشقاء من يشاء وجعله أئمة الهدى يهدون إلى الحق بأمره وأئمة الضلالة يهدون إلى النار وإلهامه كل نفس فجورها وتقواها وجعله المؤمن مؤمنا والكافر كافرا عاصيا مع قدرته التامة الشاملة وأنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء لجمعهم على الهدى ولو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعا ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتهم إلى ضال ومهتد وشقي وسعيد ومقرب وطريد وطائع وعاص ومؤمن وكافر وغير ذلك هو مقتضي حكمته وموجب ربوبيته وحكمته حكمة حق وهي صفته القائمة به كسائر الصفات وهي متضمن إسمه الحكيم وهي الغاية المحبوبة له ولأجلها خلق فسوى وقدر فهدى وأسعد وأشقى ومنع وأعطى وخلق السموات والأرض والآخرة والأولى فهو سبحانه الحكيم في خلقه وتكوينه الحكيم في قضائه وقدره الحكيم في أمره ونهيه وجميع شرعه فإن أسمائه وصفاته صفات كمال وجلال وأفعاله كلها عدل وحكمة والفعل لغير حكمه عبث والعبث من صفات النقص والله تعالى منزه بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله عن جميع النقائص فجميع ما خلقه وقضاه وقدره خير وحكمة من جهة إضافته إليه سبحانه وتعالى وكذلك جميع ما شرعه وأمر به كله حكمة وعدل وما كان من شر في قضائه وقدره فمن جهة إضافته إلى فعل العبد لأنها معصية مذمومة مكروهة للرب غير محبوبة وأما من جهة إضافته إلى الرب عز وجل فخير محض ولحكمة بالغة وعدل تام وغاية محمودة لا شر فيها البتة ولهذا قال تعالى فيما قصه عن

الجن وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا الجن 01 فبنى الفعل في إرادة الشر للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الافتتاح في صلاة الليل لبيك اللهم وسعديك والخير كله في يديك الشر ليس إليك 1 فنفى أن يضاف الشر إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان هو خالقه لأنه ليس شرا من جهة إضافته إليه عز وجل وإنما كان شرا من جهة إضافته إلى العبد وذلك لأن الشرليس إلا السيئات وعقوبتها وموجب السيئات شر النفس وجهلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه

وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا 2 وقال صلى الله عليه وسلم في سيد الاستغفار الذي علمه أمته اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت 3 وقال تعالى في حكايته استغفار الملائكة للمؤمنين وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم غافر 9 ومن وقاه الله السيئات وأعاذه منها فقد وقاه عقوبتها من باب الاستلزام فإذا علم أن موجب السيئات هو الظلم والجهل وذلك من نفس العبد وهي أمور ذاتية لها وأن السيئات هي موجب العقوبة والعقوبة من الله عدل محض وإنما تكون شرا في حق العبد لما يلحقه من ألمها وذلك بما كسبت يداه جزاء وفاقا كما قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير الشورى 03 وقال تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين الزخرف 67 وقال تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون يونس 44 فأفعال الله عز وجل كلها خير بصدورها عن علمه وحكمته وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته فإذا أراد بعبده الخير أعطاه من فضله علما

وعدلا وحكمة فيصدر منه الإحسان والطاعة والبر والخير وإذا أراد به شرا أمسكه عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها فصدر منه موجب الجهل و الظلم من كل شر وقبيح وليس منعه لذلك ظلما منه سبحانه فإنه فضله يؤتيه من يشاء وليس من منع فضله ظالما ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليق به وأيضا فإن هذا الفضل هو توفيقه وإرادته تعالى أن يلطف بعبده ويعينه ويوفقه ولا يخلي بينه وبين نفسه وهذا محض فعله وفضله وهو أعلم بمن يصلح لذلك ولهذا قال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس بأعلم بالشاكرين الأنعام 351 وقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين العنكبوت 01 11 وقال تعالى وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته الأنعام 421 وقال تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين الأنعام 611 وقال تعالى إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين النحل 73 وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى النجم 03 وقال تعالى ما يود الذين كفروا

من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم البقرة 501 وقال تعالى فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين التين 7 8 بلى ونحن على ذلك من الشاهدين وقال تعالى قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلى قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم آل عمران 37 47 وقال تعالى هو أعلم بكم إذ

أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى النجم 23 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الحديد 82 92 اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض برحمتك نستغيث اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
يستوجب يستحق الحمد على اقتضاها الضمير للحكمة فله الحمد على مقتضى حكمته في جميع خلقه وأمره فجميع ما يفعله ويأمر به هو موجب ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته وله الحمد على جميع أفعاله وله الحمد على خلقه وأمره وهو المحمود على طاعة العباد ومعاصيهم وأيمانهم وكفرهم وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار وعلى خلقه الملائكة والشياطين وعلى خلقه الرسل وأعداءهم وهو المحمود على عدله وحكمته في أعدائه كما هو المحمود على فضله ورحمته على أوليائه وكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحكمته وحمده كما قال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده الإسراء 44 وقال يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير التغابن 1 وقال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون القصص 89 وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون القصص 96 07 وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الاعتدال من الركوع ربنا لك الحمد ملء السموات

والأرض و ملء ما بينهما و ملء ما شئت من شيء بعد و في الذكر عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد وهو على كل شيء قدير و في التلبية لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك و في الدعاء المأثور اللهم لك الحمد كله و لك الملك كله و بيدك الخير كله و إليك يرجع الأمر كله أسألك الخير كله و أعوذ بك من الشر كله و في دعاء الإفتتاح من صلاة الليل اللهم لك الحمد أنت رب السموات و الأرض و من فيهن و لك الحمد أنت قيوم السموات و الأرض و من فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق و لقاؤك حق و الساعة حق و الجنة حق و النار حق و النبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق الحديث و الآيات و الأحاديث في هذا الباب كثيرة و المقصود أن الرب عز وجل لا يكون إلا محمودا كما لا يكون إلا ربا و إلها فله الحمد كله و له الملك كله لا شريك له في حمده كما لا شريك له في ملكه و إن كان بعض خلقه محمودا كالرسل و العلماء فمرجع ذلك الحمد إليه كا أن مصدره و موجبه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك و هذا كما أنه الملك لا شريك له في ملكه و يرزق بعض عباده إذا شاء ملكا وهو مالكه و ملكه و كما أنه العليم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلم بعض عباده من علمه ما شاء و قال في ذكر عبده يعقوب عليه السلام و إنه لذو علم لما علمناه يوسف 86 و كذلك ما من

محمود في السموات و لا في الأرض إلا و ذلك الحمد راجع إلى الله عز و جل في الحقيقة فحمد كل محمود داخل في حمده كما أن كل ملك داخل في ملكه و كل شيء فمنه و له و إليه فله الحمد رب السموات و الأرض رب العالمين و له الكبرياء في السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم
مسألة فإن قيل قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه و على لسان رسوله و بما علمنا من صفاته أنه يحب المحسنين و يحب المتقين و يحب الصابرين و يرضى عن الذين آمنوا و عملوا الصالحات و لا يحب الكافرين و لا يحب الظالمين و لا يرضى لعباده الكفر و لا يحب الفساد مع كون ذلك بمشيئته و إرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد فما الجواب قلنا إن الإرادة و القضاء و الأمر كل منها ينقسم إلى كوني و شرعي و لفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كقوله تعالى و ما تشاءون إلا أن يشاء الله و مثال الإرادة الكونية قوله تعالى و إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له و قوله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ومثال القضاء الكوني قوله تعالى وإذا قضي أمرا فإنما يقول له كن فيكون و مثال الأمر الكوني قوله تعالى و إذا أردنا أن

نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فهذا القسم من الإرادة و القضاء و الأمر هو مشيئته الشاملة و قدرته النافذة و ليس لأحد خروج منها و لا محيد عنها و لا ملازمة بينها و بين المحبة و الرضا بل يدخل فيها الكفر و الإيمان و السيئات و الطاعات و المحبوب المرضي له و المكروه المبغض كل ذلك بمشيئته و قدره و خلقه و تكوينه و لا سبيل إلى مخالفتها و لا يخرج عنها مثقال ذرة و مثال الإرادة الشرعية قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر و قوله تعالى يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم و قوله تعالى و الله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما و مثال القضاء الشرعي قوله تعالى و قضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا و مثال الأمر الشرعي قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و أيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون و هذه الإرادة و القضاء و الأمر الكوني القدري هو

المستلزم لمحبة الله تعالى و رضاه فلا يأمر إلا بما يحبه و يرضاه و لا ينهى إلا عما يكرهه و يأباه و لا ملازمة بين هذا القسم و ما قبله إلا في حق المؤمن المطيع و أما الكافر فينفرد في حقه الإرادة و القضاء و الأمر الكوني القدري فالله سبحانه و تعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته و جنته و يهدي لذلك من يشاء في الكون و القدر هدايته و لهذا قال تعالى و الله يدعو إلى دار السلام و يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فعمم الدعوة إلى جنته وهي دار السلام و أنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجب و خص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى يهدي الله لنوره من يشاء
مسألة فإن قيل أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين قلنا بلى و قد قدمنا لك جملة وافية من الآيات و الآحاديث في ذلك و لكن قدمنا لك أيضا أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته و أسمائه و صفاته و موجب ربوبيته و إلهيته وهو أعلم بمواقع فضله و عدله فحينئذ قول القائل لم كان من عباده الطائع و العاصي كقول من قال لم كان من أسمائه الضار النافع و المعطي المانع و الخافض الرافع و المنعم المنتقم و نحو ذلك إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثار صفاته فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراض على أسمائه و صفاته بل و على إلهيته و ربوبيته فسبحان رب العرش عما يصفون لا يسئل عما 8 يفعل و هم يسألون
مسألة و اعلم أنه قد يوسوس الشيطان لبعض الناس فيقول ما الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة الله تعالى إياها و هل يأتي المكروه بمحبوب فنقول الحمد لله إيمانا بإلهيته و ربوبيته و أسمائه و صفاته و استسلاما لأقداره و إرادته و تسليما لعدله و حكمته اعلم يا أخي وفقنا الله و إياك أن الواجب على العبد

أمر أهم من ذلك البحث وهو الإيمان بالله و أسمائه و صفاته و التسليم لأقداره و اليقين بعدله و حكمته و الفرح بفضله و رحمته و نحن لا نعلم من حكمة الله و سائر أسمائه و صفاته إلا ما علمناه و لا يحيط بكنه شيء منها و نهايته إلا الذي اتصف بها وهو الله الذي لا إله إلا هو و مما علمناه من ذلك بما علمنا الله تبارك

وتعالى أن السيئة لذاتها ليست محبوبة لله و لا مرضية كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها و لكن يترتب عليها من محابه و مرضاته ما هو أعلم به إما في حق فاعلها من التوبة و الإنابة و الإذعان و الإعتراف بقدرة الله عليه و الخوف من عقابه و رجاء مغفرته و نفي العجب المحبط للحسنات عنه و دوام الذل و الإنكسار و تمحض الافتقار و ملازمة الاستغفار و غير ذلك من الفرائض و الطاعات المحبوبة للرب عز و جل التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غاية الثناء و في الصحيحين لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه و عليها طعامه و شرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها فقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي و أنا ربك أخطأ من شدة الفرح أخرجاه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فالواجب على العبد كراهة ما يكرهه ربه و إلهه و سيده و مولاه من السيئات و عدم محبتها و النفره منها و الاجتهاد في كف النفس عنها و أطرها على محاب الله و أن لا يصدر عنها شيء يكرهه الله عز وجل فإن غلبته نفسه بجهلها و شرارتها فصدر عنه شيء من ذلك المكروه فليبادر إلى دواء ذلك و ليتداركه بمحاب الله عز وجل و مرضاته من التوبة و الإنابة و الاستغفار 2 و الأذكار و عدم الإصرار فإن الله تعالى قد أرشد إلى ذلك و أثنى على من اتصف به قال الله عز و جل سارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات و الأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء و الضراء و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين و الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب إلا الله و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة

من ربهم و جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و نعم أجر العاملين آل عمران 331 631 و غير ذلك من الآيات و في الحديث لو لم تذنبوا لأتى الله

بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم أو كما قال فإن ترتب على فعل السيئة من فاعلها هذه الأمور المحبوبة للرب عز وجل فذلك غاية مصلحة العبد و سعادته و فلاحه و إن لم يقع منه ذلك فلخبث نفسه و عدم صلاحيتها للملأ الأعلى و مجاورة المولى و الله أعلم بالمهتدين و حينئذ يترتب عليها فرائض الله عز وجل على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى الله عز وجل التي هي من وظائف الرسل عليهم السلام والأمر بالعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم فرائض الله تعالى والجهاد في سبيله الذي هو ذروة سنام الإسلام وعليه يترتب لأوليائه الفتح أو الشهادة و يكفيك في فضل ذلك قول الله عز وجل إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا في التوراة و الإنجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر و الحافظون لحدود الله و بشر المؤمنين التوبة 111 211 و لو سردنا ما في هذا الباب من الآيات و الأحاديث لطال الفصل و نحن نستغفر الله العظيم من الخوض في هذا الباب و لسنا من الراسخين في العلم و سيأتي إن شاء الله مزيد بحث في هذا في باب الإيمان بالقدر و هناك نذكر مراتبه و مذاهب من خالف فيه أهل السنة و الجماعة إن شاء الله تعالى و الله المستعان و عليه التكلان و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم
إثبات البصر و السمع لله عز وجل ... وهو الذي يرى دبيب الذر ... في الظلمات فوق صم الصخر

وسامع للجهر والإخفات ... بسمعه الواسع للأصوات
في هذين البيتين إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات و إثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات و هاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى و هما متضمن اسميه السميع البصير قال الله عز و جل إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا النساء وقال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الشورى وقال تعالى ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير الحج 16 و قال تعالى قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات و الأرض أبصر به و أسمع الكهف 62 قال ابن جرير و ذلك بمعنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه و تأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود و ما أسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء ثم روى عن قتادة في قوله تعالى أبصر به و أسمع فلا أحد أبصر من الله و لا أسمع و قال ابن زيد أبصر به و أسمع يرى أعمالهم و يسمع ذلك منهم إنه كان سميعا بصيرا و قال البغوي رحمه الله تعالى أي ما أبصر الله بكل موجود و أسمعه

لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه و بصره شيء و قال تعالى لموسى و هرون عليهما السلام إنني معكما أسمع و أرى طه 64 قال ابن عباس رضي الله عنهما أسمع دعاءكما فأجيبه و أرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما و قال تعالى لهما في موضع آخر كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون الشورى 51 وقال تعالى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم و نجواهم بلى و رسلنا لديهم يكتبون الزخرف 08 و قال تعالى و قل اعملوا فسيرى الله عملكم التوبة 501 و قال

تعالى ألم يعلم بأن الله يرى العلق 41 و قال تعالى الذي يراك حين تقوم و تقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم الشعراء 022 و قال تعالى لقدسمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير و نحن أغنياء سنكتب ما قالوا آلعمران 181 و قال تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و تشتكي إلى الله و الله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير المجادلة 1 و عن عائشة رضي الله عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و تشتكي إلى الله و الله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا و أخرجه النسائي و ابن ماجة و ابن جرير و ابن أبي حاتم و في رواية له عنها رضي الله عنها أنها قالت تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة و يخفي علي بعضه و هي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هي تقول يا رسول الله أكل مالي و أفنى شبابي و نثرت له بطني حتى إذا كبرت سني و انقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني اشكو إليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و تشتكي إلى الله و الله يسمع تحاوركما قالت و زوجها أوس بن الصامت و قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى و كان الله سميعا بصيرا و ذكر خبر عائشة هذا معلقا و روى عن أبي موسى رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال اربعوا على أنفسكم

فإنكم لا تدعون أصم و لا غائبا تدعون سميعا بصيرا قريبا ثم أتى علي و أنا أقول في نفسي لا حول و لا قوة إلا بالله فقال يا عبد الله بن قيس قل لا حول و لا

قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة و عن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم إن جبريل عليه السلام ناداني قال إن الله سمع قول قومك و ما ردوا عليك و روي في باب قوله تعالى و ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لا جلودكم و لكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فصلت 22 عن عبد الله رضي الله عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان و قرشي أو و قرشيان و ثقفي كثيرة الشحم بطونهم قليلة الفهم قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا و لا يسمع إن أخفينا و قال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى و ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لا جلودكم الآية و روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها إلى قوله تعالى سميعا بصيرا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه و التي تليها على عينه قال أبو هريرة رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها و يضع إصبعيه قال ابن يونس قال المقرىء يعني إن الله سميع بصير يعني أن لله سمعا و بصرا قال أبو داود رحمه الله تعالى و هذا رد على الجهمية اه
قلت يعني أبو داود رحمه الله أن الجهمية لا يثبتون لله تعالى اسما و لا

صفة مما سمى ووصف نفسه تعالى به و أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يثبتون أن الله هو السميع البصير و لا أنه يسمع و يرى ويبصر فرارا بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه وهو أعلم بنفسه و بغيره و شبهوه بالأصنام التي لا تسمع و لا تبصر قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام في دعوته أباه إلى الله عز و جل يا أبت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغني عنك شيئا مريم 24 و قد أثبت الجهمية قبحهم الله حجة لعباد الأصنام و جوابا لإنكار خليل الله و جميع رسله عليهم فكان للكفار أن يقولوا و معبودكم أيضا لا يسمع و لا يبصر تعالى الله عما يقول الظالمون و الجاحدون علوا كبيرا و قالت المعتزلة سميع بلا سمع بصير بلا بصر و اطردوا جميع أسمائه هكذا فأثبتوا أسماء و نفوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارة عن إثبات الألفاظ دون المعاني و قولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمية مخالف كل منهما للكتاب و السنة والعقول الصحيحة و الفطر السليمة و هدى الله تعالى بفضله أهل السنة لفهم كتابه و آمنوا بما وصف به نفسه و أقروا به كما أخبر و نفوا عنه التشبيه كما جمع تعالى بينهما في قوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
العلم الإلهي ... و علمه بما بدى و ما خفى ... أحاط علما بالجلي و الخفي ...
أي ومما أثبته الله عز وجل لنفسه و أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم أنه عليم بعلم و إن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات و الجزيئات وهو من

صفاته الذاتية و علمه أزلي بأزليته و كذلك جميع صفاته فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق و علم جميع أحوال خلقه و أرزاقهم و آجالهم و أعمالهم و شقاوتهم و سعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة و من هو منهم من أهل النار و علم عدد أنفاسهم و لحظاتهم و جميع حركاتهم و سكناتهم أين تقع و متى تقع و كيف تقع كل ذلك بعلمه و بمرأى منه و مسمع لا تخفى عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب

والشهادة و السر و الجهر و الجليل و الحقير لا يغرب عن علمه مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض و لا في الدنيا و لا في الآخرة قال الله تعالى و اعلموا إن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه و اعلموا أن الل ه غفور حليم البقرة 532 و قال تعالى و ما تفعلوا من خير يعلمه الله البقرة 512 و قال تعالى و ما تفعلوا من خير فإن الله به عليم البقرة 382 و قال تعالى و إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله آل عمران 5 وقال تعالى إن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء آل عمران وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو و يعلم ما في البر و البحر و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة في ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين الأنعام 95 و قال تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم البقرة 781 و قال تعالى و ما تكون في شأن و ما تتلو منه من قرآن و لا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين يونس 16 و قال تعالى إلا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون و ما يعلنون إنه عليم بذات الصدور هود 5 و قال تعالى و الله بكل شيء عليم النساء 671 و قال تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى و ما تغيض الأرحام و ما تزداد و كل شيء عنده بمقدار عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل و سارب بالنهار الرعد 8 01 و قال عن نبيه شعيب وسع ربنا كل شيء علما الأعراف 98 و قال تعالى عن خليله ربنا إنك تعلم ما نخفي و ما نعلن و ما يخفى على الله من شيء في الأرض و لا في السماء إبراهيم 83 و قال تعالى لا جرم أن الله يعلم ما يسرون و ما يعلنون النحل 32 و قال تعالى وربك أعلم بمن في السموات و الأرض

الإسراء 55 و قال تعالى و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السر و أخفى طه 7 و قال تعالى يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يحيطون به علما طه 011 و قال تعالى قل ربي يعلم القول في السماء و الأرض وهو السميع العليم الأنبياء 4 و قال تعالى إنه يعلم الجهر من القول و يعلم ما تكتمون الأنبياء 011 و قال تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء و الأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير الحج 07 و قال تعالى ألا إن لله ما في السموات و الأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا و الله بكل شيء عليم النور 46 و قال تعالى و إن ربك يعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون و ما من غائبة في السماء و الأرض إلا في كتاب مبين النمل 47 57 و قال تعالى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات زو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير لقمان 61 و قال تعالى ذلك عالم الغيب و الشهادة العزيز الرحيم السجدة 6 و قال تعالى إن تبدو شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما الأحزاب 45 و قال تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين سبأ 3 و قال تعالى و ما تحمل من أنثى و لا تضع إلا بعلمه و ما يعمر من معمر و لا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير فاطر 11 و قال تعالي إن الله عالم غيب السموات و الأرض إنه عليم بذات الصدور فاطر 83 و قال تعالى يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور غافر 91 و قال تعالى إنه بكل شيء محيط فصلت 45 و قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول و الله يعلم أعمالكم محمد 03 و قال تعالى قل أتعلمون الله بدينكم و الله يعلم ما في السموات و ما في الأرض و الله بكل شيء عليم الحجرات 61 و قال تعالى إن الله يعلم غيب السموات و الأرض و الله بصير

بما تعملون الحجرات 81 و قال تعالى و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد ق 61 و قال تعالى نحن أعلم بما يقولون و ما أنت عليهم بجبار ق 54 و قال تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى النجم 03 و قال تعالى هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض و إذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى النجم 23 و قال تعالى يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم و الله بما تعملون بصير الحديد 4 و قال تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات و ما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لا خمسة إلا هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبؤهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم المجادلة 7 و قال تعالى تسرون إليهم بالمودة و أنا أعلم بما أخفيتم و ما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل الممتحنة 1 و قال تعالى يعلم ما في

السموات و الأرض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون و الله عليم بذات الصدور التغابن 4 و قال تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة سبأ 3 و قال تعالى عالم الغيب و الشهادة العزيز الحكيم التغابن 81 و قال تعالى لتعلموا أن الله على كل شيء قدير و أن الله قد أحاط بكل شيء علما الطلاق 21 و قال تعالى و أسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير تبارك 31 وقال تعالى إن ربك هو أعلم من بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين القلم 7 و قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عددا الجن 62 82 و قال تعالى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل

ونصفه وثلثه و طائفة من الذين معك المزمل 02 الآية و قال تعالى إنه يعلم الجهر و ما يخفى الأعلى 7 و قال قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا النور 36 و قال تعالى إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدري نفس ماذا تكسب غدا و ما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير لقمان 43 و قال تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون آل عمران 661 و قال تعالى إليه يرد علم الساعة و ما تخرج من ثمرات من أكمامها و ما تحمل من أنثى و لا تضع إلا بعلمه فصلت 74 و قال تعالى فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أن ما أنزل بعلم الله هود 41 و قال تعالى إن الله سميع عليم إن الله عليم حكيم إن الله عليم خبير إن الله كان عليما حكيما إن الله كان عليما خبيرا إنه عليم بذات الصدور و لو ذهبنا نسوق جميع الآيات في إثبات علم الله عز وجل لطال الفصل و فيما ذكرنا كفاية
وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك و أسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر و تعلم و لا أعلم و أنت علام الغيوب اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ثم يسميه بعينه خيرا لي في عاجل أمري و آجله أو قال في ديني و معاشي و عاقبة أمري فاقدره لي و يسره لي ثم بارك لي فيه اللهم و إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني و معاشي و عاقبة أمري أو قال في عاجل أمري و آجله فاصرفني عنه و أقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به و فيهما من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار فيسألهم وهو أعلم بهم و فيهما دعاء الكرب لا إله إلا الله العليم

الحليم و فيهما من حديث الذي أوصى أن يحرق و يذري ثم قال لم فعلت قال من خشيتك و أنت أعلم و فيهما من حديث قصة موسى و الخضر إن موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله و في رواية إليه و فيه قول الخضر عليه السلام يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه و أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه إلى أن قال فركبا في السفينة قال ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى ما علمك و علمي و علم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره و في رواية إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر و فيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله و لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله و لا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله و لا تدري نفس بأي أرض تموت و لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله و فيهما من حديث أبي موسى الأشعري اللهم اغفر لي خطيئتي و جهلي و إسرافي في أمري و ما أنت أعلم به مني إلى غير ذلك من

الأحاديث و كما أخبر الله تعالى عن علمه بما كان و ما سيكون كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات و المستحيلات لو كان كيف يكون فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه و قالوا لولا أنزل عليه ملك و لو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و للبسنا عليهم ما يلبسون الأنعام 9 و قال تعالى و لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي و عربي فصلت 44 الآية و قال تعالى وأقسموا بالله جهد إيمانهم لئن جائتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله و ما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون و نقلب أفئدتهم و أبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة و نذرهم في طغيانهم يعمهون الأنعام 901 011 و قال تعالى ولو نزلناه على بعض الأعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين الشعراء 891 991 إلى غير ذلك و قال تعالى في المستحيلات لو قدر إمكانها لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون الأنبياء 22 و قال تعالى ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب و الشهادة فتعالى عما يشركون المؤمنون 19 و قال تعالى قل لو كان فيهما آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه و تعالى عما يقولون علوا كبيرا الإسراء 24 34 إلى غير ذلك و أنكرت الجهمية و

المعتزلة أن يكون لله علم أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى الموصوف فأنكروا أن يكون أنزل القرآن بعلمه و أن أنثى لا تحمل و لا تضع إلا بعلمه و جحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيء علما و حاربوا نصوص الكتاب و السنة و جميع سلف الأمة فليس معبودهم هو العليم الخبير الذي هو بكل شيء عليم و إنما يعبدون العدم المحض الذي لا حقيقة له و لا وجود فليصفوه بما شاءوا فبعدا للقوم الظالمين

وهو الغني بذاته سبحانه ... جل ثناؤه تعالى شأنه ... وكل شيء رزقه عليه ... وكلنا مفتقر إليه ...
وهو الغني بذاته فله الغنى المطلق فلا يحتاج إلى شيء سبحانه و بحمده تنزيها له و تحميدا جل ثناؤه تعالى شأنه تعظيما له و تمجيدا و كل شيء رزقه عليه لا رازق له سواه و لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا إلا ما شاء الله و كلنا معشر المخلوقات مفتقر إليه لا غنى لنا عنه طرفة عين فكما أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها فلا وجود لها إلا به فهي مفتقرة إليه في قيامها فلا قوام لها إلا به فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به فللخالق مطلق الغنى و كماله و للمخلوق مطلق الفقر إلى الله و كماله قال الله عز وجل يا أيها الناس أنتم الفقرء إلى الله و الله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد و ما ذلك على الله بعزيز فاطر 51 71 و قال تعالى ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم و لهم عذاب أليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا و تولوا و استغنى الله و الله غني حميد التغابن 5 6 و قال تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات و ما في الأرض و أن الله لهو الغني الحميد الحج 46 و قال تعالى قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات و الأرض وهو يطعم ولا يطعم الأنعام 41 و قال تعالى و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين الذريات 65 85 و قال تعالى و لله ما في السموات و ما في الأرض و لقد وصينا الذين من قبلكم و إياكم أن اتقوا الله و إن تكفروا فإن لله ما في السموات و الأرض و كان الله غنيا حميدا النساء 131 و قال تعالى ردا على اليهود لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير و نحن أغنياء سنكتب ما قالوا آل عمران 081 و قال ردا عليهم أيضا

و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء المائدة 46 و قال تعالى ردا على المنافقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا و لله خزائن السموات و الأرض و لكن المنافقين لا يفقهون المنافقون 7 و قال تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق و كان الإنسان قتورا الإسراء 001 و الآيات في هذا الباب كثيرة جدا يخبر تعالى بكمال غناه عن خلقه و أنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاع و لا ينقصه معصية من عصى و أنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم و أنه لو شاء لم يخلقهم و لو شاء لذهب بهم و جاء بغيرهم و يخبر أنهم كلهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من الأنفاس و هم يعلمون ذلك من أنفسهم و أنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم و لا قدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ولو أن أولكم وآخركم و حيكم و ميتكم و رطبكم و يابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم

أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه و في رواية الترمذي يقول الله عز و جل يا عبادي كلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدكم و كلكم فقير إلامن أغنيت فسلوني أرزقكم و كلكم مذنب إلا من عافيت فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له و لا أبالي و لو أن أولكم وآخركم و حيكم و ميتكم و رطبكم و يابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم

اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام و عذابي كلام إما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون و في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يد الله ملأى لا تغضيها نفقة سحاء الليل و النهار أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات و الأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وروى أبو داود بإسناد جيد من حديث عائشة رضي الله عنها في الاستسقاء و فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت الغني و نحن الفقراء أنزل علينا الغيث و اجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغا إلى حين و في بعض

الإسرائيليات يقول الله عز وجل أيؤمل غيري للشدائد و الشدائد بيدي وأنا الحي القيوم و يرجى غيري و يطرق بابه بالبكرات و بيدي مفاتيح الخزائن و بابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي أملني لنائبة فقطعت به أو من ذا الذي رجاني لعظم فقطعت به أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له أا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني أبخيل أنا فيبخلني عبدي أليس الدنيا و الآخرة و الكرم و الفضل كله لي فما يمنع المؤملين أن يؤملوني لو جمعت أهل السموات و الأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع و بلغت كل واحد منهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف ينقص ملك أنا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي و يا بؤسا لمن عصاني و توثب على محارمي انتهى و جاء في بعض ألفاظ حديث النزول من يقرض غير عديم و لا ظلوم والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا لو أردنا استقصاءها لطال الفصل و فيما ذكرنا كفاية فسبحان من وسع خلقه بغناه و افتقر كل شيء إليه وهو الغني عما سواه ومن شكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن الله غني حميد لقمان 21 كلام الله عز و جل ... كلم موسى عبده تكليما ... ولم يزل بخلقه عليما ... أي و مما أثبته ربنا عز وجل لنفسه و أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم تكليمه عبده و رسوله موسى بن عمران بدون واسطة رسول بينه و بينه بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء و على ما أراد قال الله عز وجل في سورة البقرة تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات البقرة 352 و قال في سورة النساء وكلم الله موسى تكليما النساء 461 فأكده بالمصدر مبالغة في البيان و التوضيح و قال تعالى في سورة الأعراف و لما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني

ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا و خر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك و أنا أول المؤمنين قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي و بكلامي فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين و كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة و تفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوابأحسنها سأريكم دار الفاسقين الأعراف 341 541 و قال تعالى في سورة مريم و اذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا و كان رسولا نبيا و ناديناه من جانب الطور الأيمن و قربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا مريم 15 35 و قال تعالى في سورة طه وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني و أقم الصلاة لذكرى إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها و اتبع هواه فتردى و ما تلك بيمينك يا موسى إلى قوله ألقها يا موسى إلى قوله قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى طه 9 12 إلى آخر الآيات و قال في سورة الشعراء و إذ نادى ربك موسى أن أئت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون الشعراء 01 11 الآيات و قال تعالى في سورة النمل إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها و سبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم و ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم و أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون و قومه النمل 7 21 الآيات و قال تعالى في سورة القصص فلما قضى موسى الأجل و سار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست

نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين و أن ألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا و لم يعقب يا موسى أقبل و لا تخف إنك من الآمنين و أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من

غير سوء و اضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون و ملإه إنهم كانوا قوما فاسقين القصص 92 23 الآيات و القرآن ممتلىء بذلك و في الصحيحين من حديث احتجاج آدم و موسى عليهما السلام عند ربهما و فيه قول آدم لموسى أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته و بكلامه الحديث و فيهما من حديث الشفاعة قول إبراهيم عليه السلام و لكن عليكم بموسى فإنه كليم الله و في رواية و لكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة و كلمه تكليما و في رواية و لكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة و كلمه و قربه نجيا فقد أخبرنا الله عز و جل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه و اختصه بإسماعه إياه بدون واسطة و أنه ناداه و ناجاه و كلمه تكليما و أخبرنا تعالى بما كلمه به و بالموضع الذي كلمه فيه و بالميقات الذي كلمه فيه و أخبر عنه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بذلك في أصح الروايات فأي كلام أفصح من كلام الله تعالى و كلام رسوله صلى الله عليه وسلم و أي بيان أوضح من بيان الله ورسوله و بأي برهان يقنع من لم يقنع بذلك فبأي حديث بعد الله و آياته يؤمنون الجاثية 6 و في هذا أعلى دلالة و أبينها و أوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل و أنه يتكلم إذا شاء بما يشاء و كيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء و على ما أراد و قد ثبت بالكتاب و السنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ

يقول و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين الأعراف 22 و أن الملائكة تسمع كلام الله بالوحي كما قال تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير سبأ 32 و في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير الحديث وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك و تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء و يوضع له القبول في الأرض و ثبت بالكتاب و السنة كلامه مع الرسل و الملائكة و غيرهم يوم القيامة كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب المائدة 901 و قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون النحل 38 و قال تعالى و يوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي و لم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا

فهم لا ينطقون النحل 58 و قال تعالى و يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون القصص 26 و قال تعالى و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين القصص 56 و أنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال

تعالى سلام قولا من رب رحيم و أنه يقول لأهل النار اخسأوا فيها و لا تكلمون المؤمنون 801 و القرآن ممتلىء بذلك
و في الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه و بينه ترجمان الحديث و فيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك و سعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار و فيه تعليقا عن جابر عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان و فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و فيه عنه رضي الله عنه قال يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا أنا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة و فيه من حديث الشفاعة يقول الله عز

وجل من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فأخرجوه الحديث و فيه من حديث آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول الله تعالى إذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا و عشرة أمثالها و فيه من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى لتتبع كل أمة ما كانت تعبد و قوله عز وجل للمؤمنين أنا ربكم و فيه في - باب كلام الرب عز و جل مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا و سعديك و الخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون و ما لنا لا نرضى يا رب و قد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب و أي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا و فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال الله تعالى أنا مع عبدي حيثما ذكرني و تحركت بي شفتاه و فيهما

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول الله عز وجل إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها الحديث و فيهما من حديثه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال ألا ترضين أن أصل من وصلك و أقطع من قطعك الحديث و فيه من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه و إذا كره لقائي كرهت لقاءه و فيه من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي و فيه من حديثه أيضا في قصة المذنب المستغفر الحديث و فيه فقال ربه أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ به غفرت لعبدي و ذكر الحديث و فيه من

حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال مطر النبي صلى الله عليه وسلم فقال قال الله عز وجل أصبح من عبادي كافر بي و مؤمن بي و فيه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في ذكر طي الله تعالى السموات و الأرض و فيه ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا الملك الحديث و فيه من حديث عبد الله عن عمر رضي الله عنهما أن رجلا سأله كيف سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى قال يدنو أحدكم من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقول تعالى أعملت كذا و كذا فيقول نعم و يقول أعملت كذا و كذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا و أنا أغفرها لك اليوم و في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا و ما فيها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت أهون من هذا و أنت في صلب آدم ألا تشرك أحسبه قال ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك و عن أبي هريرة و أبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له ألم أجعل لك سمعا و بصرا و مالا وولدا و سخرت لك الأنعام و الحرث و تركتك ترأس و تربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا فيقول لا فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني رواه مسلم و الترمذي و قال هذا حديث صحيح غريب و معنى قوله اليوم أنساك كما نسيتني اليوم أتركك في العذاب ا ه

و في الصحيحن عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قالت و لكن

و الله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي و حيا يتلى و لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى و لكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فأنزل الله تعالى إن الذين جاءوا بالأفك العشر الآيات و لو ذهبنا ننقل الأحاديث في قال الله و يقول ويتكلم و ينادي و نحو ذلك لطال الفصل و فيما ذكرنا كفاية
و هذه الآيات و الأحاديث مما ذكرنا و مما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلما بمشيئته و إرادته يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه و أن كلامه قول حقيقة كما أخبر و على ما يليق بعظمته كما قال تعالى و الله يقول الحق و قال سلام قولا من رب رحيم و قال إنه لقول فصل و ما هو بالهزل و القرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك و سيأتي إن شاء الله تعالى بحثه قريبا و كلامه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته و الصفة تابعة لموصوفها فصفات الباري تبارك و تعالى قائمة به أزليه باقية ببقائه لم يزل متصفا بها و لا يزال كذلك لم تجدد له صفة لم يكن متصفا بها و لا تنفد صفة كان متصفا بها بل هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم ... كلامه جل عن الإحصاء ... والحصر والنفاد والنفاء ... لو صار أقلاما جميع الشجر ... والبحر تلقى فيه سبعة أبحر ... والخلق تكتبه بكل آن ... فنت وليس القول منه فان ... قال
قال الله تبارك و تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا الكهف 901 و قال تعالى و لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم لقمان 72 قال ابن كثير رحمه الله تعالى يقول الله تعالى مخبرا عن عظمته و كبريائه و جلاله و أسمائه الحسنى و صفاته العلى

و كلماته التامة التي لا يحيط بها أحد و لا إطلاع لبشر على كنهها و إحصائها كما قال سيد البشر و خاتم الرسل لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال تعالى و لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أي ولو أن جميع جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما و جعل البحر مدادا و أمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله تعالى الدالة على عظمته و صفاته و جلاله لتكسرت الأقلام و نفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مددا و إنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة و لم يرد الحصر و لا أن ثم سبعة

أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي لا تصدق و لا تكذب بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مدادا فليس المراد بقوله بمثله آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جرا لأنه لا حصر لآيات الله و كلماته قال الحسن البصري لو جعل شجر الأرض أقلاما و جعل البحر مدادا و قال الله تعالى إن من أمري كذا و من أمري كذا لنفد ماء البحر و تكسرت الأقلام و قال قتادة قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام أي لو كان شجر الأرض أقلاما و مع البحر سبعة أبحر ما كانت لتنفد عجائب ربي و حكمته و خلقه و علمه و قال الربيع بن أنس رحمه الله إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها و قد أنزل الله ذلك و لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآية يقول لو كان البحر مدادا لكلمات الله و الأشجار كلها أقلاما لانكسرت الأقلام و فني ماء البحر و بقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحدا لا يستطيع أن يقدره قدره و لا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول قال و قد روى أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى حدثني محمد بن

أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد أرأيت قولك و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا إيانا تريد أم قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاكما قالوا ألست تتلو فيما جاءنا أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم و أنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآية و هكذا روي عن عكرمة و عطاء بن يسار و هذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية و المشهور أنها مكية و الله أعلم و قوله إن الله عزيز حكيم أي عزيز قد عز كل شيء و قهره و غلبه فلا مانع لما أراد و لا مخالف لأمره و لا معقب لحكمه حكيم في خلقه و أمره و أقواله و أفعاله و شرعه و جميع شؤونه انتهى و عن جويرية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى و هي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله و بحمده عدد خلقه و رضا نفسه و زنة عرشه و مداد كلماته رواه مسلم و الأربعة و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال أما لو قلت حين أمسيت

أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن جبار و لا متكبر و الأحاديث في الباب كثيرة و المقصود أن كلمات الله باقية لا تنفد أبدا تامة لا تنقص أبدا و ذلك لأن كلامه صفته و ليس من صفاته شيء ينفد و لذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلاما و البحار و أضعافها مدادا يكتب بها كلماته لنفدت كلها و كلماته لا تنفد و ذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة و المخلوقات من لازمها النفاد و الفناء و كلمات الله صفته و ليس من صفاته شيء يفنى بل هو الباقي بأسمائه و صفاته أزلا و أبدا كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم و إليه ترجعون القصص 88
كلام الله الذي في كتابه عين كلامه ليس بمخلوق ... والقول في كتابه المفصل ... بأنه كلامه المنزل ... على الرسول المصطفى خير الورى ... ليس بمخلوق ولا بمفترى ...
والقول الذي نعتقد و ندين الله به في شأن كتابه المفصل بسكون اللام للروي وهو القرآن و صفة الله تعالى بذلك فقال كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير هود 1 و قال تعالى كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا فصلت 3 و قال تعالى أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي نزل إليكم الكتاب مفصلا الأنعام 411 و غير ذلك من الآيات بأنه كلامه حقيقة حروفه و معانيه ليس كلامه الحروف دون المعاني و لا المعاني دون الحروف قال الله

تعالى و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله التوبة 6 و قال تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل الفتح 51 و عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه يعني القرآن رواه أبو داود و الحاكم و صححه و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك و تعالى من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه رواه الترمذي و قال حديث حسن غريب و روى ابن خزيمة عن نيار بن مكرم

الأسلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه قال لما نزلت آلم غلبت الروم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون إلى آخر الآيتين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول بسم الله الرحمن الرحيم آلم غلبت الروم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الروم 1 2 فقال رؤساء مشركي مكة يا ابن أبي قحافة هذا مما أتى به صاحبك قال لا و الله لكنه كلام الله و قوله و ذكر الحديث و كان ابن مسعود رضي الله عنه يقبل المصحف و يقول كلام ربي كلام ربي و عن عمر رضي الله عنه قال إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه و قال خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه و قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه القرآن كلام الله فمن رد منه شيئا فإنما يرد على الله و عنه رضي الله عنه قال إن أحسن الكلام كلام الله و يروى ذلك عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم و هو صحيح في الصحيح و قال

عثمان بن عفان رضي الله عنه ما أحب أن يأتي علي يوم وليلة ولا أنظر في كلام الله 1 يعني القراءة في المصحف وقال ابن مسعود رضي الله عنه من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن فإن أحب القرآن فهو يحب الله فإنما القرآن كلام الله 2 فهذا النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى آلم آلمص آلر آلمر كهيعص طه طس طسم حم عسق وليس كلام الله المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني بل حروفه ومعانيه عين كلام الله
المنزل من عند الله عز وجل على الرسول المصطفى خير الورى محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون البقرة 631 وقال تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا آل عمران 7 وقال تعالى إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله النساء 501 وقال تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد

أمروا أن يكفروا به النساء 06 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل

ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا النساء 631 وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله البقرة 582 وقال تعالى قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين البقرة 79 وقال تعالى يا أيها الذين أوتو الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها النساء 74 الآية وقال تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله آل عمران 991 الآية وقال تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك النساء 261 وقال تعالى لكن الل يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا النساء وقال تعالى يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا النساء 471 وقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به البقرة 132 وقال تعالى وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه المائدة 84 وقال تعالى قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل المائدة 95 وقال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس المائدة 76 وقال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها الأنعام 29 وقال تعالى أفغير دين الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا فالذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين الأنعام 411 وقال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه الأنعام 551 وقال تعالى آلمص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين إتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا

ما تذكرون الأعراف 1 2 وقال تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله البقرة 32 وقال تعالى وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم التوبة 68 وقال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم

إيمانا التوبة 721 وقال تعالى وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا التوبة وقال تعالى فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله هود 41 وقال تعالى آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد إبراهيم 1 وقال تعالى آلر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون يوسف 2 وقال تعالى آلمر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك هو الحق الرعد 1 وقال تعالى وكذلك أنزلناه حكما عربيا الرعد 73 وقال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الحجر 9 وقال تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون النحل 2 وقال تعالى وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء النحل 98 وقال تعالى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه النحل 46 وقال تعالى وأنزلنا عليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم النحل 44 وقال تعالى وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين النحل 01 21 وقال تعالى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا الإسراء 501 وقال تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما الكهف 1 وقال تعالى لقد أنزلنا إليكم

كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون الأنبياء 01 وقال تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون الأنبياء 05 وقال تعالى وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد الحج 61 وقال تعالى وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه الوعيد طه 311 وقال تعالى ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهدى وموعظة للمتقين النور 43 وقال تعالى لقد أنزلنا إليكم آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم النور 64 وقال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الفرقان 1 وقال تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما الفرقان 6 وقال تعالى وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين الشعراء 291 الآيات وقال تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم النمل 6 وقال تعالى طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون القصص 1 3 وقال تعالى وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لقمان 12 وقال تعالى ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون أفتراه بل هو الحق من ربك السجدة 1 وقال تعالى واتبع ما يوحى إليك من ربك الأحزاب 2 وقال تعالى ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو

الحق سبأ 6 وقال تعالى تنزيل العزيز الرحيم يس 5 وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الجاثية 2 إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق النساء 501 وقال تعالى إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق الزمر 14 وقال تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم الزمر 55 وقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر 1 2 وقال تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يؤمنون فصلت 1 2 وقال تعالى إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه

لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فصلت 14 24 وقال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه الأنعام 551 وقال تعالى كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولوا الألباب ص 92 وقال تعالى حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة الدخان 1 3 وقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الزمر 1 2 وقال تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين الواقعة 57 08 وقال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط الحديد 52 وقال تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات الحديد 9 وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا التغابن 8 وقال تعالى وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين القلم 15 25 وقال تعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الحاقة 83 34 وقوله تعالى في هذه الآية إنه لقول رسول كريم يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم وفي سورة التكوير يعني به جبريل ومعنى الإضافة في كلا الآيتين إنما هو التبليغ لأن من حق الرسول أن يبلغ عن المرسل لا أن القرآن كلام الرسول الملكي ولا البشري كما بين تعالى ذلك بقوله تنزيل من رب العالمين وقال تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر القدر 1 وقال تعالى الرحمن علم القرآن الرحمن 1 2 وقال تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن يوسف 3 وقال تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا الشورى 25 والآيات في هذا الباب كثيرة جدا بل القرآن كله فاتحته إلى خاتمته يشهد بأنه كلام الله وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه وإيجازه وإعجازه يرشد إلى إنه كلام الخالق عز وجل وصفته

وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله وقد أقر بذلك كل عاقل حتى المشركون كما قال أكفر قريش الوليد بن المغيرة لما قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فرجع إلى قومه فقال أبو جهل قل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له قال وماذا أقول فيه فوالله ما منكم رجل أعرفه بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإن ليعلو ولا يعلى وإنه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال قف حتى أفكر فيه فلما فكر قال إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت فذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا المدثر 11 21 الآيات رواه البيهقي وغيره 1 ويروى عن عتبة حين قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حم السجدة نحو ذلك 2 وكذا أبو جهل قبحهم الله فتبين بهذا أن قولهم فيه سحر شعر كهانة وغير ذلك من مفترياتهم إنما قالوه عنادا ومكابرة وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخل تحت طوق أحد من البشر

ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذي أنزله بعلمه وشهد به ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك ونشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله عز وجل وتنزيله وأنه تكلم به قولا وأنزله على رسوله وحيا ولا نقول إنه حكاية عن كلام الله عز وجل أو عبارة بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه نزل به من عنده الروح الأمين على محمد خاتم المرسلين

وكل منهما مبلغ عن الله عز وجل والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا قال الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس المائدة 76 وقال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين التغابن 21 وقال تعالى فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين النور 45 وقال تعالى فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ الشورى 84 وقال تعالى قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته الجن 32 والآيات في هذا كثيرة جدا يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه مؤد لما أرسله به وهذا يعرفه كل أحد يعقل لفظة رسول فإن الرسول لا بد له من مرسل برسالاته فالمرسل الله عز وجل والرسالة هي القرآن والمرسل محمد صلى الله عليه وسلم المبلغ رسالة ربه وقال أنس بعث النبي صلى الله عليه وسلم خاله حراما إلى قومه وقال

أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يحدثهم 1 وقال المغيرة رضي الله عنه أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة 2 وعن عائشة رضي الله عنها قالت من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه إن الله تعالى يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته 3 وفي خطبته في موقف الحج الأكبر قال صلى الله عليه وسلم وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت وفيها إشارته بيده إلى السماء قائلا اللهم

هل بلغت اللهم اشهد قالها مرارا 1 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك متفق عليه 2 وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويقول إني رسول الله وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي 3 وغير ذلك من الأحاديث يخبر صلى الله عليه وسلم أنه مخبر عن الله ومبلغ رسالته وأن ما أمر به ونهى عنه وأخبر به هو تبليغ لأمر الله ونهيه وخبره وإنه لم يقل شيئا من عند نفسه فيقول هو من عند الله ومن اعتقد ذلك فهو كافر من حزب أبي جهل والوليد بن المغيرة وملإهم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم الحاقة 44 25

ليس بمخلوق كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحادية والجهمية والمعتزلة وغيرهم تعالى الله عز وجل عن أن يكون شيئا من صفاته مخلوقا قال الله عز وجل وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا الشورى 25 وقال تعالى ألا له الخلق والأمر الأعراف 45 وقال تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يس 38 فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر وأن القرآن من أمره لا من خلقه وقال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون النحل 04 فكن من كلامه الذي هو صفته ليس بمخلوق والشيء المراد المقول له كن مخلوق وقال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون آل عمران 9 فعيسى وآدم مخلوقان بكن و كن قول الله صفة من صفاته وليس الشيء المخلوق هو كن ولكنه كان بقول الله له كن
وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن وذلك لأنه لا يخلو قوله من إحدى ثلاث إما أن يقول أنه خلقه في ذاته أو في غيره أو منفصلا مستقلا وكل الثلاث كفر صريح لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاته محلا للمخلوقات وإن قال إنه خلقه في غيره فهو كلام ذلك الغير فيكون القرآن على هذا كلام كل تال له وهذا قول الوليد بن المغيرة فيما حكى الله عنه حيث قال تعالى إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر المدثر 81 92 الآيات وإن قال إنه خلقه منفصلا مستقلا فهذا جحود لوجوده مطلقا إذ لا يعقل ولا يتصور كلام يقوم بذاته بدون متكلم كما لا يعقل سمع بدون سميع ولا بصر بدون بصير ولا علم بدون عالم ولا إرادة بدون مريد ولا حياة بدون حي إلى غير ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا فهذه الثلاث لا خروج لزنديق منها ولا جواب له عنها فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وقطع دابر القوم

الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
أصل القول بخلق القرآن
وأول ما اشتهر القول بخلق القرآن في آخر عصر التابعين لما ظهر جهم بن صفوان 1 شقيق إبليس لعنهما الله وكان ملحدا عنيدا وزنديقا زائغا مبتغيا غير سبيل المؤمنين لم يثبت أن في السماء ربا ولا يصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه وينتهي قوله إلى جحود الخالق عز وجل ترك الصلاة أربعين يوما يزعم يرتاد دينا ولما ناظره بعض السينة ! في معبوده قال قبحه الله هو هذا الهواء في كل مكان وافتتح مرة سورة طه فلما أتى على هذه الآية الرحمن على العرش استوى طه 5 قال لو وجدت السبيل إلى حكها لحككتها ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال ما كان أظرف محمدا حين قالها ثم افتتح سورة

القصص فلما أتى على ذكر موسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحف ثم قال أي شيء هذا ذكره ههنا فلم يتم ذكره وذكره ههنا فلم يتم ذكره وقد روى عنه غير هذا من الكفريات وهو أذل وأحقر من أن نشتغل بترجمته وقد يسر الله تعالى ذبحه على يد سالم بن أحوز بأصبهان وقيل بمرو وهو يومئذ نائبها رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيرا
وقد تلقى هذا القول عن الجعد بن درهم 2 لكنه لم يشتهر في أيام الجعد كما اشتهر عن الجهم فإن الجعد لما أظهر القول بخلق القرآن تطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ولم يكن له كثير أتباع غيره ثم يسر الله تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبد الله القسري الأمير قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة وذلك لأن خالدا خطب الناس فقال في خطبته تلك أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح

بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقوله الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه في أصل المنبر روى ذلك البخاري في كتابه خلق أفعال العباد 1 ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرهما وهو مشهور في كتب التواريخ وذلك سنة أربع وعشرين ومائة وقد أخذ الجعد بدعته هذه عن بيان بن سمعان وأخذها بيان عن طالون ابن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى في ذلك سورة المعوذتين 2 ثم تقلد هذا المذهب المخذول عن الجهم بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي المتكلم 3 شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون وجدد القول بخلق القرآن ويقال إن أباه كان يهوديا صباغا بالكوفة وروى عنه أقاول شنيعة في الدين من التجهم وغيره مات سنة ثماني عشرة ومائتين ثم تقلد عن بشر ذلك المذهب الملعون قاضي المحنة أحمد بن أبي دواد 4 وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن وعلى أن الله لا يرى في الآخرة وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك وقد ابتلاه الله تعالى بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى سنة أربعين ومائتين ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيله فليقرأ كتب التواريخ ير العجب

ذكر ما قاله أئمة السنة في مسألة القرآن وحكم الجهمية

قال إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله وقال إذا قال الرجل العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه وقال رحمه الله تعالى من قال أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله قال الله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم آل عمران 16 وقال تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير البقرة 021 وقال تعالى ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين البقرة 541 وقال تعالى ألا له الخلق والأمر وقال تعالى ومن يكفر به من الأحزاب هود 71 قال أحمد قال سعيد بن جبير والأحزاب الملل كلها فالنار موعده وقال تعالى ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب الرعد 63 وقال تعالى وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق الرعد 73 وقال رحمه الله تعالى من قال ذاك القول لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها فإن صلى خلفه أعاد الصلاة يعني من قال القرآن مخلوق وقال رحمه الله تعالى إذا كان القاضي جهميا فلا تشهد عنده وقال إبراهيم بن طهمان الجهمية كفار والقدرية كفار وقال سلمان التيمي رحمه الله تعالى ليس قوما أشد بغضا للإسلام من الجهمية والقدرية فأما الجهمية فقد بارزوا الله وأما القدرية فإنهم قالوا في الله وقال سلام بن أبي مطيع الجهمية كفار لا يصلى خلفهم وقال خارجة الجهمية كفار بلغوا نساءهم أنهن طوالق وأنهن لا يحللن لأزواجهن لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم ثم تلا طه ما أنزلنا القرآن عليك لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى إلى قوله الرحمن على

العرش استوى وقال مالك رحمه الله من قال القرآن مخلوق يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وقال سفيان الثوري رحمه الله من زعم أن قول الله يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم وقال أيضا من قال إن قل هو الله أحد الله الصمد مخلوق فهو كافر وقال أبو يوسف القاضي صنفان ما على وجه الأرض شر منهما الجهمية والمقاتلية
قلت وأظنه يعني بالمقاتلية اتباع مقاتل بن سليمان البلخي فإنه رماه الإمام أبو حنيفة بالتشبيه فإنه قال أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه وتابع أبا حنيفة على ذلك جماعة من أئمة الجرح والتعديل من أقرانه كأبي يوسف وغيره فمن بعدهم حتى قال ابن حبان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي

يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوق وكذبه وكيع وغيره والله أعلم بحاله قال وكيع مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة ا ه
وقال عبد الله بن المبارك الجهمية كفار وقال ليس تعبد الجهمية شيئا وقال من قال القرآن المخلوق فهو زنديق وقال إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصاري ولا نستجيز ان نحكي كلام الجهمية وقال سفيان بن عيينة القرآن كلام الله من قال مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر وقال من قال القرآن مخلوق يحتاج أن يصلب على ذياب يعني جبل وقال عبد الله بن إدريس رحمه الله وقد سئل ما تقول في الجهمية يصلي خلفهم فقال أمسلمون هؤلاء أمسلمون هؤلاء لا ولا كرامة لا يصلى خلفهم وقال له رجل يا أبا محمد إن قبلنا ناسا يقولون القرآن مخلوق فقال من اليهود قال لا قال فمن النصارى قال لا قال فمن المجوس قال لا قال فمن قال من الموحدين قال كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة هؤلاء زنادقة وقرأ ابن إدريس بسم الله الرحمن الرحيم فقال الله مخلوق والرحمن مخلوق والرحيم مخلوق هؤلاء زنادقة وسئل عن قوم يقولون القرآن مخلوق فاستشنع ذلك وقال سبحان الله شيء منه مخلوق وقال وكيع فإني أستتيبه فإن تاب

وإلا قتلته وقال من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث ومن زعم انه محدث فقد كفر وقيل له إن فلانا يقول إن القرآن محدث فقال سبحان الله هذا الكفر قال السويدي وسألت وكيعا عن الصلاة خلف الجهمية فقال لا تصل خلفم وقال من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وقال زهير بن حرب اختصمت أنا ومثنى فقال مثنى القرآن مخلوق وقلت أنا كلام الله فقال وكيع وأنا أسمع هذا كفر وقال من قال القرآن مخلوق هذا كفر فقال مثنى يا أبا سفيان قال الله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الشعراء 5 فأيش هذا فقال وكيع من قال القرآن مخلوق هذا كفر وقال من قال القرآن مخلوق فهو كافر وقال رحمه الله القرآن كلام الله أنزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم كل صاحب هوى يعرف الله ويعرف من يعبد إلا الجهمية لا يدرون من يعبدون بشر المريسي وأصحابه وقيل لوكيع في ذبائح الجهمية قال لا توكل هم مرتدون وقال من قال إن كلامه ليس منه فقد كفر وقال من قال إن منه شيئا مخلوقا فقد كفر
وقال فطر بن حماد سألت معتمر بن سليمان فقلت يا أبا محمد إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه فقال ينبغي أن تضرب عنقه قال فطر وسألت حماد بن زيد فقلت يا أبا إسماعيل إمام لنا يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه فقال صل خلف مسلم أحب الي وسألت يزيد بن زريع فقلت يا ابا معاوية إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه قال لا ولا كرامة وقال عبد الرحمن بن مهدي من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وقال

مرة لا أرى أن أستتيب الجهمية وقال رحمه الله لو كان لي من الأمر شيء لقمت على الجسر فلا يمر بي أحد من الجهمية إلا سألته عن القرآن فإن قال مخلوق ضربت رأسه ورميت به في الماء وقال أبو بكر بن الأسود لو أن رجلا جهميا مات وأنا وارثه ما استحللت أن آخذ من ميراثه وقال أبو يوسف القاضي جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط يقول في القرآن يعني مخلوق وقال يزيد بن هارون وذكر الجهمية فقال هم والله زنادقة عليهم لعنة الله وقال رحمه الله والله الذي لا

إله إلا هو عالم الغيب والشهادة من قال القرآن مخلوق فهو زنديق وسئل عن الصلاة خلفهم قال لا وقال معاذ بن معاذ من قال القرآن مخلوق فهو كافر وقال شبابة بن سوار اجتمع رأي ورأي أبي النضر هاشم بن القاسم وجماعة من الفقهاء على أن المريسي كافر جاحد نرى أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وكان أبو توبة الحلبي ونعيم بن حماد وإبراهيم بن مهدي يكفرون الجهمية وقال بشر بن الحارث لا تجالسوهم ولا تكلموهم وان مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم كيف يرجعون وانتم تفعلون بهم هذا قال يعني الجهمية وقال ابن أبي مريم من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر وقال أبو الأسود النضر بن عبد الجبار القرآن كلام الله من زعم أنه مخلوق فهو كافر هذا كلام الزنادقة وقال عباد بن العوام كلمت بشر المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء وقال عمرو بن الربيع بن طارق القرآن كلام الله من زعم أنه مخلوق فهو كافر وقال هارون أمير المؤمنين بلغني أن بشرا المريسي يزعم أن القرآن مخلوق لله علي أن أظفرني الله به إلا قتلته قتلة ما قتلتها أحدا قط وقال هارون بن معروف من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنما وقال يحيى بن معين رحمه الله من قال القرآن مخلوق فهو كافر وقال رجل لهشيم إن فلانا يقول القرآن مخلوق فقال اذهب إليه فاقرأ عليه أول الحديد وآخر الحشر فإن زعم أنهما مخلوقان فاضرب عنقه وقال أبو هاشم الغساني مثله وقال أبو عبيد من قال القرآن مخلوق فقد افترى على الله وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى وقال إسحاق بن البهلول لأنس بن عياض أبي ضمرة أصلي خلف الجهمية قال لا ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين آل عمران 58 وسئل عيسى بن يونس رحمه الله عمن يقول القرآن مخلوق فقال كافر أو كفر فقيل له تكفرهم بهذه الكلمة قال إن هذا من أيسر أو أحسن ما يظهرون وكان يحيى بن معين رحمه الله يعيد صلاة الجمعة مذ أظهر عبد الله بن هارون المأمون ما أظهر يعني القول بخلق القرآن

وقال الحسين بن إبراهيم بن أشكاب وعاصم بن علي بن عاصم وهارون

الفروي وعبد الوهاب الوراق وسفيان بن وكيع القرآن كلام الله وليس بمخلوق وسئل جعفر بن محمد رحمه الله عن القرآن فقال ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله وروى عن أبيه علي بن الحسين أنه قال في القرآن ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله وقال الزهري سألت علي بن الحسين عن القرآن فقال كتاب الله وكلامه وعن إبراهيم بن سعد وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي ووهب بن جرير وأبي النضر هاشم بن القاسم وسليمان بن حرب قالوا القرآن كلام الله ليس بمخلوق وقال سفيان بن عيينة لا نحسن غير هذا القرآن كلام الله فأجره حتى يسمع كلام الله يريدون أن يبدلوا كلام الله وقال الإمام مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا القرآن كلام الله وهو منه وليس من الله شيء مخلوق وقال حماد بن زيد رحمه الله القرآن كلام الله أنزله جبريل من عند رب العالمين وقال أبو بكر بن عياش من زعم أن القرآن مخلوق فقد افترى على الله وقال وكيع القرآن من الله منه خرج وإليه يعود وقال يحيى بن سعيد كيف يصنعون بقل هو الله أحد كيف يصنعون بهذه الآية إني أنا الله يكون مخلوقا وقال وهب بن جرير ومحمد بن يزيد الواسطي وابن أبي إدريس وأبو بكر بن أبي شيبة وأخوه عثمان بن أبي شيبة وأبو عمر الشيباني ويحيى بن أيوب وأبو الوليد وحجاج الأنماطي ويحيى بن معين وأبو خيثمة وإسحاق بن أبي إسرائيل وأبو معمر القرآن كلام الله ليس بمخلوق وقال أبو عمرو الشيباني لإسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة وقال القرآن مخلوق فقال الشيباني خلقه قبل أن يتكلم به أو بعد ما تكلم به قال فسكت وقال حسن بن موسى الأشيب أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين فقال حسن مخلوق هذا وقال محمد بن سليمان لوين القرآن كلام الله غير مخلوق ما رأيت أحدا يقول القرآن مخلوق أعوذ بالله ا ه من كتاب السنة 1

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في وصيته القرآن كلام الله غير مخلوق وقال عفان بن مسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يريدون أن يبدلوا كلام الله الله لا إله إلا هو الحي القيوم قل هو الله أحد أمخلوق هذا أدركت شعبة وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون القرآن كلام الله ليس مخلوقا وقال يحيى بن يحيى من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آية مخلوقة فهو كافر وقال هشام بن عبيد الله القرآن كلام الله غير مخلوق فقال له رجل أليس الله تعالى يقول ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فقال محدث إلينا وليس عند الله

بمحدث وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رحمه الله ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فكيف يكون شيء خرج من الرب عز وجل مخلوقا وقال أبو جعفر النفيلي من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر فقيل له يا أبا جعفر الكفر كفران كفر نعمة وكفر بالرب عز وجل قال لا بل كفر بالرب عز وجل ما تقول فيمن يقول الله أحد الله الصمد مخلوق أليس كافرا هو وقال عبدالله بن محمد العيشي يستحيل في صفة الحكيم أن يخلق كلاما يدعي الربوبية يعني قوله تعالى إنني أنا الله وقوله أنا ربك
قلت والمعتزلة يقولون إن كلام الله لموسى خلقه في الشجرة فعلى هذا تكون الشجرة هي القائلة إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني قبحهم الله في الدنيا والآخرة
وقال محمد بن يحيى الذهلي الايمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع صفاته وحيث تصرف وأما كلام البخاري رحمه الله تعالى ومتانته في هذه المسألة فأشهر من أن يحتاج إلى تعريف وله في ذلك كتاب خلق أفعال العباد وقد بوب في صحيحه على جملة وافية تدل على غزارة علمه وجلالة شأنه وقال أبو حاتم وأبو زرعة أدركنا العلماء في جميع الأمصار فكان من مذاهبم أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره من الله تعالى وأن الله تعالى على

عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف أحاط بكل شيء علما ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقال محمد بن أسلم الطوسي القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلى وحيثما كتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل ا ه من العلو للذهبي 1
وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى عليه السلام وتكلم الله بالوحي وصفة نزول الوحي وتكليم الله عباده يوم القيامة وتقرير البحث في ذلك ثم قال باب ذكر البيان في كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم و من سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الفرق بين كلام الله عز و جل الذي به يكون خلقه و بين خلقه الذي يكون بكلامه و قوله و الدليل على نبذ قوله الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله تعالى مخلوق جل ربنا و عز عن ذلك قال الله سبحانه و تعالى ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين الأعراف 45 ففرق الله تعالى بين الخلق و الأمر الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف و أعلمنا الله جل و علا في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه و قوله إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون النحل 04 فأعلمنا جل و علا أنه يكون كل مكون من خلقه بقوله كن فيكون و قوله كن هو كلامه الذي به يكون الخلق و كلامه عز و جل الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكونا بكلامه

فافهم و لا تغلط و لا تغالط و من عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أن يكون الشيء بقوله كن أن القول الذي هو كن غير المكون بكن المقول له كن و عقل عن الله أن قوله كن لو كان خلقا ما زعمت الجهمية المفترية على الله أنه إنما يخلق الخلق و يكونه بخلق لو كان قوله كن خلقا فيقال لهم يا جهلة فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقا بم يكونه أليس قود مقالتكم التي تزعمون أن قوله كن إنما يخلقه بقول قبله وهو عندكم خلقه و ذلك القول

يخلقه بقول قبله وهو خلق حتى يصير إلى ما لا غاية له ولا عدد و لا أول و في هذا إبطال تكوين الخلق و إنشاء البرية و إحداث ما لم يكن قبل بحدث الله الشيء و نشئه و هذا قول لا يتوهمه ذو لب لو تفكر فيه و وفق لإدراك الصواب و الرشاد قال الله سبحانه و تعالى والشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره الأعراف 45 فهل يتوهم مسلم أن الله تعالى سخر الشمس و القمر و النجوم مسخرات بخلقه أليس مفهوما عند من يعقل عن الله خطابه أن الأمر الذي سخر به غير المسخر بالأمر و أن القول غير المقول له فتفهموا يا ذوي الحجا عن الله خطابه و عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بيانه لا تصدوا عن سواء السبيل فتضلوا كما ضلت الجهمية عليهم لعائن الله فاسمعوا الآن الدليل الواضح العبين غير المشكل من سنة النبي صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل موصولا إليه على الفرق بين خلق الله و بين كلام الله تعالى ثم ساق الأحاديث في ذكر كلمات الله تعالى إلى حديث أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثم قال أفليس العلم محيطا يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه هل سمعت عالما يجيز أن يقول أعوذ بالكعبة من شر خلق الله أو يجيز ان يقول أعوذ بالصفا و المروة أو أعوذ بعرفات أو منى من شر ما خلق الله هذا لا يقوله و لا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه ثم ساق بحثا طويلا فليراجع منه و قال أبو معاوية بن خازم الضرير رحمه الله الكلام فيه بدعة و ضلالة ما تكلم فيه النبي صلى الله عليه وسلم و لا الصحابة رضي الله عنهم و لا التابعون و لا الصالحون رحمهم الله تعالى يعني قول القرآن مخلوق و ذكر عند أبي نعيم هو الفضل بن دكين من يقول القرآن مخلوق فقال و الله و الله ما سمعت بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهم و كلام أئمة السنة في هذا الباب يطول ذكره و لو أردنا

استيعابه لطال الفصل و قد تكرر نقل الإجماع منهم على إثبات ما أثبت الله عز و جل لنفسه و أثبته رسوله صلى الله عليه وسلم و الصحابة فمن بعدهم و نفى التكييف عنها لا سيما في مسألة العلو و في هذه المسألة مسألة القرآن و تكليم الله تعالى موسى لأنها أول ما جحده الزنادقة قبحهم الله تعالى و في ذكر من سمينا كفاية و من لم نسم منهم أضعاف ذلك و لم يختلف منهم إثنان في أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق من الله بدأ و إليه يعود و تقلدوا كفر من قال بخلق القرآن و منعوا الصلاة خلفه و أفتوا بضرب عنقه و بتحريم ميراثه على المسلمين و حرموا ذبيحته و جزموا أنها ذبيحة مرتد لا تحل للمسلمين فانظر أيها المنصف أقوالهم ثم اعرضها على نصوص الكتاب و السنة هل تجدهم حادوا عنها قيد شبر أو قدموا عليها قول أحد من الناس كائنا من كان حاشا و كلا و معاذ الله بل بها اقتدوا و منها تضلعوا و بنورها استضاءوا و إياها اتبعوا فهداهم الله بذلك لما اختلفت فيه من الحق بإذنه و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ... هذا مقال المؤمنين جميعهم ... وعصابة التوحيد أعلام الهدى ... الكاشفين عوار كل مشبه ... والقامعين لكل من قد ألحدا ... زن قولهم بالوحي وانظر هل ترى ... ميلا لهم عما إليه أرشدا ... حاشاهم عن ان يميلوا خطوة ... عما اليه الله غياهم هدى ... بل أثبتوا لله ما قد أثبتت ... آي الكتاب وكل نص أسندا ... ومن النفاة تبرأوا وكذاك من ... قول الممثل إذ تغالى واعتدى ... جعلوا إمامهم الكتاب وسنة المختار يا طوبى لمن بهما اهتدى ... ولذاك أعلى الله جل منارهم ... والملحدون بناءهم قد هددا وأتم نورهم الإله وغيرهم ... في ظلمة إذ لم يكن بهم اقتدى ... يا رب ألحقنا بهم واجعل لنا ... نورا نميز به الضلال من الهدى ...
و قضى السلف الصالح رحمهم الله تعالى على الطائفة الواقفة و هم القائلون لا نقول القرآن مخلوق و لا غير مخلوق بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي و من لم يحسن الكلام منهم بل علم أنه كان جاهلا جهلا

بسيطا فهو تقام عليه الحجة بالبيان و البرهان فإن تاب و آمن أنه كلام الله تعالى و إلا فهو شر من الجهمية وسيأتي إن شاء الله الكلام على اللفظية قريبا و سنذكر إن شاء الله تعالى في آخر الفصل سائر الفرق المخالفين للسنة في القرآن و غيره من الصفات لأنا أحببنا تجريد مذهب أهل السنة على حدته لقصد التيسير و بالله التوفيق
و لا بمفترى أي و ليس القرآن بمفترى كما قاله كفار قريش و غيرهم من أعداء الله تعالى حيث قالوا فيه إن هذا إلا سحر يؤثر المدثر 42 و قالوا إن هذا إلا إفك افتراه الفرقان 4 وقالوا أساطير الأولين اكتتبها الفرقان 5 و يقولون إنما يعلمه بشر النحل 301 و قالوا شعر و قالوا كهانة و قالوا إن هذا إلا اختلاق ص

7 و قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا الأنفال 13 و غير ذلك من مفترياتهم و إفكهم و كل ذلك إنما قالوه عنادا و مكابرة وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا النمل 41 و قد كشف الله تعالى شبههم و أدحض حججهم و بهتهم و قطعهم و فضحهم على رءوس الأشهاد و بين عجزهم و كشف عوارهم في جميع ما انتحلوا فقال تعالى لمن قال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر قال الله تعالى سأصليه سقر و ما أدراك ما سقر لا تبقي و لا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر إلى آخر الآيات و قال تعالى و قال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه و أعانه عليه قوم آخرون فرد الله ذلك عليهم بقوله فقد جاءوا ظلما و زورا و قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلا فرد الله ذلك عليهم بقوله تعالى قل أنزله الله الذي يعلم السر في السموات و الأرض إنه كان غفورا رحيما و قال تعالى و إذا بدلنا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر فرد الله ذلك عليهم بقوله عز و جل بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا و هدى و بشرى للمؤمنين و لقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر قال المفسرون إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي كان بين ظهرهم غلام لبعض بطون قريش قيل اسمه

بلعام وقيل يعيش وقيل عائش وقيل جبر وقيل يسار وقيل غير ذلك 1 وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء فرد الله عز وجل عليهم ذلك الافتراء بقوله تعالى لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين النحل 301 أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل وقال في رد قولهم شعر وكهانة وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين يس 9607 وقال تعالى فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون الطور 9233 الآيات وقال تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين الحاقة 14 84 إلى آخر الآيات وقال تعالى لمن قال إن هذا إلا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا ص 7 8 فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله عز وجل بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ص 8 9 إلى آخر الآيات ورد عليهم تعالى في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بقوله عز وجل قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا

القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا الإسراء 88 وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك كله وبان كذبهم قال الله عز وجل أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله

إن كانوا صادقين الطور 33 وقال تعالى وتقدس أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون هود 31 41 وقال تعالى وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين البقرة 32 42 فعجزوا عن ذلك كله ولم يطمعوا في شيء منه مع أنهم فحول اللغة وفرسان الفصاحة وأهل البلاغة وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه وهجزه ورجزه مع شدة معاندتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به وحرصهم على معارضته بكل ممكن ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم مالا يطيقون كلام ذي الملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء والعزة والجلال والكمال رب الأرض والسماء ورب الآخرة والأولى من له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى الذي لا سمي له ولا كفو له وليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة والأحكام الواقعة ونبأ الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتهديد وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان علموا أنه ليس كلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين وعلموا أنه الحق وإنما رموه بالافك والبهتان بقولهم كاهن شاعر مجنون وغير ذلك إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل قبحهم الله وغيرهم ولو كان تقوله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضته ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عرب فصحاء مثله عارفون بوجوه البلاغة كلها لا يجهلون منها شيئا ولما عدلوا الى المكابرة والتبجح بالقول دون الفعل الذي هو أمقت شيء عند العقلاء ولكنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين هدى وبشرى للمسلمين وتبيانا لكل شيء وتفصيل كل شيء وذكرى للمؤمنين

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فصلت 24 فلا يأتي مبطل بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول ويكفيك في ذلك قوله عز وجل ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الفرقان 33 ... يحفظ بالقلب وباللسان ... يتلى كما يسمع بالآذان ... كذا بالأبصار اليه ينظر ... وبالأيادي خطه يسطر ... وكل ذي مخلوقة حقيقه ... دون كلام باريء الخليقه ... جلت صفات ربنا الرحمن ... عن وصفها بالخلق والحدثان ... فالصوت والألحان صوت القاري ... لكنما المتلو قول الباري ... ما قاله لا يقبل التبديلا ... كلا ولا أصدق منه قيلا ... يحفظ بالبناء للمفعول أي القرآن بالقلب كما قال تبارك وتعالى نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين الشعراء 391 وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون العنكبوت 94 وقال سنقرئك فلا تنسى الأعلى 6 وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب قال الترمذي هذا حديث صحيح 1 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم يعني ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك يا فلان فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة قال نعم قال إذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرافهم والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن واقرأوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه وفقرأه وقام به

كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك قال الترمذي هذا حديث حسن 1 وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه المتفق عليه في قصة الواهبة نفسها وفيه قال ما معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها فقال تقرأهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن 2 ولأبي داود قال سورة البقرة والتي تليها قال قم فعلمها عشرين آية 3 وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقالها ذهبت فكذلك صاحب القرآن 4 ولهما عن عائشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا 5 والأحاديث في هذا كثيرة جدا

وباللسان يتلى قال الله تبارك وتعالى اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته الكهف 73 وقال تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث الاسراء 601 وقال تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الإسراء 54 وقال تعالى إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم فاطر 92 إلى آخر الآية وقال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه القيامة 61 91 وقال تعالى ورتل القرآن ترتيلا المزمل 4 وقال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا الإسراء 011 وغير ذلك من الآيات وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له إلى آخر الحديث رواه البخاري 1 وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته ورواه ابن ماجه 2 وله عن المهاجر بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل

والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون 1 والأحاديث في هذا كثيرة جدا سيأتي ما تيسر منها في ذكر الصوت
كما يسمع بالآذان قال الله تبارك وتعالى وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله التوبة 6 وقال تبارك وتعالى وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق المائدة 38 وقال تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون الأعراف 402 وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم الأحقاف 92 03 الآيات وقال تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا إلى قوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به الجن 1 21 الآيات وقال تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الزمر 81 وغير ذلك من الآيات وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إقرأ علي

القرآن قلت أقرأ عليك وعليك أنزل قال إني أحب أن أسمعه من غيري الحديث متفق عليه 2 وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة فقال أما والله لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا رواه

مسلم 1 ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت ابطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال أين كنت قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إلي فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا إسناده جيد 2 والآحاديث في هذا كثيرة
كذا بالأبصار إليه متعلقان ب ينظر أي إلى القرآن في المصحف وهو من أفضل العبادات وأجلها وروى أبو عبيد بإسناد فيه ضعف عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرأه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة 3 وقال ابن مسعود رضي الله عنه أديموا النظر في المصحف 4 وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا دخل نشر المصحف فقرأ فيه 5 وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا

المصحف فقرأوا وفسر لهم 1 وقال ابن عمر رضي الله عنهما إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ 2 وذهب كثير من السلف أن قراءة القرآن في المصحف أفضل من على ظهر قلب لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وكرهوا أن يمضي على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه وبالأيادي خطه يسطر كما قال تعالى إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون الواقعة 77 97 وقال تعالى رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة البينة 2 وقال تعالى كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة عبس 11 41 وقد كتبه الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بأمره وفي خلافة أبي بكر وعثمان وإلى الآن يكتبه المسلمون وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين 3 وقال علي بن أبي طالب نحو ذلك وقال ابو بكر رضي الله عنه معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحد خلافه ولو لم يكن الذي في المصحف كلام الله لم

يحرم مسه على أحد ولم يكن من شأنه أن لا يمسه إلا المطهرون بل ولا كان يحرم توسده ولذا أجاز الزنادقة ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتاب الله وهذا من أسفل دركات الكفر قبحهم الله
وكل ذي المذكورات من القلب وحافظته وذاكرته واللسان وحركته والآذان وأسماعها والأبصار ونظرها والأيادي وكتابتها وأدوات الكتابة من أوراق وأقلام ومداد كلها مخلوقة حقيقة ليس في ذلك توقف دون القرآن الذي هو كلام الله تعالى بارئ الخليقة قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن خمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق حفظ بقلب وتلاوة بلسان وسمع بأذن ونظرة ببصر وخط بيد فالقلب مخلوق والمحفوظ غير

مخلوق والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق انتهى فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلي كلام الله تعالى غير مخلوق ... جلت صفات ربنا الرحمن ... عن وصفها بالخلق والحدثان ...
فليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق تعالى الله عن ذلك وتعالى عن أن تكون ذاته محلا للمخلوقات بل هو الأول بأسمائه وصفاته قبل كل شيء والآخر بأسمائه وصفاته بعد كل شيء لم يسبق شيء من صفاته بالعدم ولم يعقب بالفناء تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا فالصوت من جهوري وخفي والألحان من حسن وغيره صوت القاري لكنما المتلو المؤدي بذلك الصوت هو قول الباري جل وعلا
وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن 1 ولابن ماجه بإسناد جيد عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته 2 وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا رواه البغوي ولأبي داود نحوه 3 وله عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

ليس منا من لم يتغن بالقرآن 1 وله وللنسائي وابن ماجه بإسناد جيد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم 2 وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه 3 الحديث ولابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله 4 ولأبي عبيد عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم 5 وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل

داود 1 ففي جميع هذه الأحاديث التصريح بإضافة الصوت والألحان والتغني إلى العبد لأنه عمله والقرآن المؤدى بذلك الصوت هو كلام الله حقيقة وكذلك المهارة بالقرآن والتتعتع فيه هو فعل العبد وسعيه لما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران 2 وهذا الفرق واضح ولله الحمد وعليه أهل السنة والحديث كأحمد بن حنبل وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما رحمهم الله تعالى ولو كان الصوت هو نفس المتلو المؤدى به كما يقوله أهل الاتحاد لكان كل من سمع القرآن من أي تال وبأي صوت كليم الرحمن فلا مزية لموسى عليه السلام على غيره اللهم لك الحمد ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

مسألة اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة أئمة الحديث أن اللفظية جهمية واللفظية هم من قال لفظي بالقرآن مخلوق قال أئمة السنة رحمهم الله تعالى ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع يعنون غير بدعية الجهمية وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين أحدهما الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلا للعبد ولا مقدورا له والثاني التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية وهذا ظاهر عند كل عاقل فإنك إذا سمعت رجلا يقرأ قل هو الله أحد تقول هذا لفظ سورة

الإخلاص وتقول هذا لفظ فلان بسورة الإخلاص إذ اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد وبين الملفوظ به الذي هو كلام الله عز

وجل 1 وهذا بخلاف ما ذكر السلف بقولهم الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري فإن الصوت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلو المؤدى بالصوت البتة ولا يصلح أن تقول هذا صوت قل هو الله أحد ولا يقول ذلك عاقل وإنما تقول هذا صوت فلان يقرأ قل هو الله أحد ونحو ذلك نعم إذا سمع كلام الله عز وجل منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاة والسلام وسماع جبريل عليه السلام وسماع أهل الجنة كلامه منه عز وجل فحينئذ التلاوة والمتلو صفة الباري عز وجل ليس منها شيء مخلوق تعالى الله علوا كبيرا
ما قاله لا يقبل التبديلا قال الله تعالى ما يبدل القول لدي ق 92 وقال تعالى واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته الكهف 72 وقال تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم الأنعام 511 وقال تعالىلا تبديل لكلمات الله يونس 46
كلا أي لا يكون ذلك ولا أصدق منه أي من الله تعالى قيلا أي قولا وهو تمييز محول عن اسم لا والتقدير لا قيل أصدق من قيله قال الله تبارك وتعالى الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا النساء 78 وقال تعالى في الآية الأخرى ومن أصدق من الله قيلا النساء 211 أي من أصدق من الله تعالى في حديثه وخبره ووعده ووعيده والجواب لا أحد وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم 2 الحديث ... وقد روى الثقات عن خير الملا ... بأنه عز وجل وعلا ... في ثلث الليل الأخير ينزل ... يقول هل من تائب قيقبل

هل من مسيء طالب للمغفرة ... يجد كريما قابلا للمعذرة ... يمن بالخيرات والفضائل ... ويستر العيب ويعطي السائل ...
أي ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء صفة النزول للرب عز وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن فضلاء الصحابة كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وأبي سعيد وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وعمرو بن عبسة ورفاعة الجهني وعثمان بن أبي

العاص الثقفي وأبي الدرداء وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي الخطاب وعمر بن عامر السلمي وغيرهم رضي الله عنهم
فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو شرك 1 رواه جماعة عن ابن وهب وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لأخرت العشاء الأخيرة إلى ثلث الليل فإنه إذا مضى ثلث الليل هبط الله عز وجل إلى سماء الدنيا لم يزل بها حتى يطلع الفجر فيقول ألا سائل يعطى ألا داع فيجاب ألا مذنب يستغفر فيغفر له ألا سقيم يستشفى فيشفى 2 رواه الطبراني في السنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له أخرجاه في الصحيحين 3 وفي رواية عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما

أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى السماء الدنيا فنادى هل من مذنب يتوب هل من مستغفر هل من سائل 1 وفي مسند أحمد رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك من ذا الذي يستغفرني فأغفر له 2 وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد من أكثر من ثلاثين طريقا عن أبي هريرة رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم 3 وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسي فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه فيقول من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم من ذا الذي يستغفرني فأغفر له من ذا الذي يتوب فأتوب عليه فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه 4 رواه ابن منده قال وله أصل مرسل وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له حديث صحيح رواه النسائي وأبو الوليد الطيالسي 5 وعن جابر رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لثلث الليل فيقول ألا عبد من عبيدي يدعوني فأستجيب له أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له ألا مقتر عليه رزقه ألا مظلوم يستنصرني فأنصره ألا عان يدعوني فأفك عنه فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجر ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه رواه الدار قطني 1 وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا ثم بسط يده فقال من يسألني فأعطيه حتى يطلع الفجر حديث حسن رواه أحمد في مسنده ورجاله أئمة 2 ورواه أبو معاوية بلفظ إن الله تعالى يفتح أبواب السماء ثم يهبط إلى السماء الدنيا ثم يبسط يده فيقول ألا عبد يسألني فأعطيه حتى يطلع الفجر وعن رفاعة الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل نزل الله إلى سماء الدنيا فقال لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يستغفرني فأغفر له من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه حتى ينفجر الفجر حديث صحيح رواه أحمد في مسنده 3 وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له وأن داود خرج ذات ليلة فقال لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إلا أن يكون ساحرا أو عشارا رواه الإمام أحمد بنحوه 4 وعن أبي

الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم ير أحد ولم يخطر على قلب بشر ثم يهبط في آخر ساعة من الليل يقولا مستغفر فأغفر له ألا سائل فأعطيه ألا داع فأستجيب له رواه عثمان بن سعيد الدارمي 1 وروى موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول ألا عبد يدعوني فأستجيب له ألا ظالم لنفسه يدعوني فأقبله فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على كرسيه 2 وعن أبي الخطاب رضي الله عنه أنه قال وقد سئل عن الوتر أحب أوتر نصف الليل فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول هل من مذنب هل من مستغفر هل من داع حتى إذا طلع الفجر ارتفع رواه محمد بن سعد في طبقاته 3 وعن

عمرو بن عامر السلمي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلث الليل أو قال نصف

الليل ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول هل من عان فأفكه هل من سائل فأعطيه هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له رواه ابن منده 1
وعن عبيد بن السباق أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا من آخر الليل فينادي مناد في السماء العليا ألا نزل الخالق العليم فيخرج أهل السماء وينادي فيهم مناد بذلك فلا يمر بأهل السماء إلا وهم سجود رواه أبو داود 2
وروى أبو اليمان ويحيى بن كثير وعبد الصمد بن النعمان ويزيد بن هارون وهذا سياق حديثه أخبرنا حريز بن عثمان حدثنا سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله جعلني الله فداك شيء تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرك ما ساعة أقرب من ساعة وما ساعة تبقى فيها يعني الصلاة فقال يا عمرو بن عبسة لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك إن الرب تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر إلا ما كان من الشرك والبغي والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس فإنها تطلع على قرن الشيطان وهي صلاة الكفار فأقصر عن الصلاة حتى ترتفع الشمس فإذا استعلت الشمس فالصلاة مشهودة حتى يعتدل النهار فإذا اعتدل النهار فأخر الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم فإذا فاء الفيء فالصلاة مشهودة حتى تدلى للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصر عن الصلاة حتى تجب الشمس 3 وهو في مسلم مطولا قلت وهذا في معنى قوله تبارك وتعالى أقم الصلاة

لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا الإسراء 77 87 وفي كتاب السنة للخلال عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الأوسط فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ويترك أهل الحقد لحقدهم 1 وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر من الساعة الأولى لم يره أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما شاء ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بني آدم غير ثلاثة النبيين

والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول قيومي بعزتي ثم يطلع إلى عباده فيقول هل من مستغفر أغفر له هل من داع أجيبه حتى تكون صلاة الفجر وكذلكم يقول وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا فيشهده الله وملائكة الليل والنهار رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد 2 وقد تقدم قريبا بغير هذا اللفظ وله عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل الله تعالى ليلة النصف فيغفر للمؤمنين الحديث 3 رواه ابن زنجويه وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان ليلة النصف من شعبان هبط الله تعالى إلى سماء الدنيا فيغفر لأهل الأرض إلا كافر أو مشاحن 4 رواه محمد بن الفضل البخاري وعن أبي موسى الأشعري رضي الله

عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن 1 قلت ولا منافاة بين أحاديث تخصيص النزول بليلة النصف من شعبان وبين الأحاديث القاضية أنه كل ليلة فإن النزول في ليلة النصف من شعبان مطلق والنزول في كل ليلة مقيد بالنصف في لفظ وبالثلث في آخر 2 على أنه ليس في تخصيص النزول بنصف شعبان نفي له فيما عداها والأحاديث التي فيها النزول كل ليلة أكثر وأشهر وأصح بلا شك ولا مرية وقد ثبت النزول أيضا في عشية عرفة كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان عرفة فإن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول أنظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا أشهدكم أني قد غفرت لهم 3 ورواه الخلال في السنة من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عنه يرفعه أفضل أيام الدنيا أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا مثلهن في سبيل الله قال إلا من عفر وجهه في التراب إن عشية عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة أنظروا إلى عبادي هؤلاء شعثا غبرا جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي فلا يرى يوما أكثر عتيقا ولا عتيقة 4 وروى خلاد بن يحيى حدثنا عبد الوهاب عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجلان أحدهما أنصاري والآخر ثقفي فذكر الحديث وفيه إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادي جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم 5 رواه طلحة بن مصرف عن مجاهد به وقد

روى النزول في رمضان وليس هو نافيا له في غيره فروى علي بن معبد عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن طارق عن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول إن الله تبارك وتعالى ينزل في شهر رمضان إذا ذهب الثلث الاول من الليل هبط الى السماء الدنيا ثم قال هل من سائل يعطي هل من مستغفر يغفر له هل من تائب يتاب عليه 1 وروى عبيد الله بن موسى قال ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إبراهيم 72 قال ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمر السنة فيمحو ما يشاء غير الشقاوة والسعادة والموت والحياة 2 وإسناده حسن وهذا الموقوف له حكم المرفوع عند المحدثين لأنه لا يقال من قبل الرأي وقد ثبت النزول لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنة كما ستأتي الأحاديث إن شاء الله تعالى في ذلك

ونحن نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جل وعلا من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه صلى الله عليه وسلم بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته عز وجل غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول فنسير بسير النصوص حيث سارت ونقف معها حيث وقفت لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصر عنها وقد تكلفت جماعة من مثبتي

المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمه وفي خلو العرش منه وعدمه نفيا وإثباتا وذلك تكلف منهم ودخول فيما لا يعنيهم وهو ضرب من التكييف لم يأت في لفظ النصوص ولم يسأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول فنحن نؤمن بذلك نصدق به كما آمنوا وصدقوا فإن قال لنا متعنت أو متنطع يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله قلنا له أنت لا تلزمنا نحن فيما تدعيه وإنما تلزم قائل ذلك وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان ذلك لازما لما قاله حقيقة وجب الإيمان به إذ لازم الحق حق وإن لم يك ذلك لازما له فأنت معترض على النبي صلى الله عليه وسلم كاذب عليه متقدم بين يديه وروى البيهقي عن الحاكم عن محمد بن صالح بن هانئ سمع أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول جمعني وهذا المبتدع يعني إبراهيم بن أبي صالح مجلس الأمير

عبدالله بن طاهر فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها فقال بن أبي صالح كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء 1 وقال إسحق رحمه الله تعالى دخلت على ابن طاهر فقال ما هذه الأحاديث يروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا قلت نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام فقال ينزع ويدع عرشه فقلت يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش قال نعم فقلت لم تتكلم في هذا 2 وقال إسحق أيضا قال لي ابن طاهر يا أبا يعقوب هذا الذي تروونه ينزل ربنا كل ليلة كيف ينزل قلت أعز الله الأمير لا كيف إنما ينزل بلا كيف 3 وقال أحمد بن سعيد الرباطي حضرت مجلس ابن طاهر وحضر إسحق فسئل عن حديث النزول أصحيح هو قال نعم فقال له بعض القواد كيف ينزل فقال أثبته فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبته فوق فقال إسحاق قال الله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا الفجر 22 فقال ابن طاهر هذا يا أبا

يعقوب يوم القيامة فقال ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ا ه 1 من كتاب العلو
وهذا الذي قاله إسحاق رحمه الله تعالى هو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة كما قدمنا عنهم في جميع نصوص الصفات وأن مذهبهم إمرارها كما جاءت والإيمان بها بلا كيف ... وأنه يجيء يوم الفصل ... كما يشاء للقضاء العدل ...
قال الله تبارك وتعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور البقرة 09 وقال تبارك وتعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك الأنعام 851 وقال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الفرقان 52 وقال تعالى كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا الفجر 12 22 وقال تعالى وأشرقت الأرض بنور ربها الزمر 96
وفي حديث الصور المشهور الذي ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدا واحدا من آدم فمن بعده فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإذا جاءوا إليه قال أنا لها أنا لها فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعدما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة وينزل حملة العرش والكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام ولهم زجل من تسبيحهم يقولون سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة

والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبوح قدوس سبحان ربنا الأعلى سبحان ذي السلطة والعظمة سبحانه سبحانه أبدا أبدا 1 وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي رواه ابن منده وقال الذهبي إسناده حسن 2 وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد رواه مسلم 3 وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يهبط الرب تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمه ثم يخرج عنق من النار فيظل الخلائق كلهم فيقول أمرت بكل جبار عنيد ومن زعم أنه عزيز كريم ومن دعا مع الله إلها آخر رواه أبو أحمد العسال في كتاب السنة 4 وفي الصحيحين من حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم يعني ابن سعد الراوي عن ابن شهاب فيأتيهم الله

تعالى فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم 1 وذكر الحديث بطوله ولهما نحوه من حديث أبي سعيد وفيه حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا 2 وذكر الحديث والأحاديث في هذا كثيرة قال الذهبي رحمه الله تعالى أحاديث نزول الباري متواترة قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أسأل عنه يوم القيامة

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ... وإنه يرى بلا إنكار ... في جنة الفردوس بالأبصار ... كل يراه رؤية العيان ... كما أتى في محكم القرآن ... وفي حديث سيد الأنام ... من غير ما شك ولا إيهام ... رؤية حق ليس يمترونها ... كالشمس صحوا لا سحاب دونها ... وخص بالرؤية أولياؤه ... فضيلة وحجبوا أعداؤه ...
قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة القيامة 32 42 وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة يونس 62

وقال تعالى لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ق 53 وقال تعالى في شأن الكفار كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون المطففين 51 فإذا حجب أولياؤه فأي فضيلة لهم على أعدائه وقال تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم يس 55 85 وقال تعالى إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون المطففين 32 وهذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفا ولا تأويلا ولا يردها إلا مكابر قد ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
وقد تواترت الأحاديث بمعنى ما تضمنته هذه الآيات رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلائهم كأبي بكر الصديق وأبي هريرة وأبي سعيد وجرير بن عبد الله وصهيب وابن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي موسى وأنس وبريدة بن الحصيب وأبي رزين وجابر بن عبدالله وأبي أمامة وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة وعبدالله بن عمر وعمار بن رويبة وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وكعب بن عجرة وأبي الدرداء وفضالة بن عبيد وعدي بن أرطأة وأبي موسى الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم وهذا أوان سردها فألق سمعك وأحضر قلبك وتأملها تأمل طالب للحق لا نافر عنه وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وإياك وسوء الظن بكلام الله وكلام رسوله فذلك الهلكة وما ضل من ضل وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة والله المستعان عليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغر بكل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر

رضي الله عنه ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط قال فسأله فقال نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك عز وجل قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين آل عمران 33 قال فينطلقون إلى نوح صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فإن الله اتخذه خليلا فينطلقون إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل كلمه تكليما فيقول موسى صلى الله عليه وسلم ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فيقول عيسى ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل صلى الله عليه وسلم فيخر ساجدا قدر جمعة فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال فيرفع رأسه فإذا نظر الى وجه ربه عز وجل خر ساجدا قدر جمعة أخرى فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيذهب ليضع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط فيقول أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر حتى أنه يرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ثم يقال ادعوا الصديقين فيشفعون ثم يقال ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبي ومعه العصابة والنبي ومعه الخمسة والستة والنبي وليس معه أحد ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال فإذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا قال فيدخلون الجنة قال ثم يقول الله عز وجل أنظروا في أهل النار هل تلقون من عمل خيرا قط

قال فيجدون في النار رجلا فيقولون له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع فيقول الله عز وجل اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي ثم يخرجون من النار رجلا فيقولون له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير

أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح فوالله لا يقدر علي رب العالمين أبدا فقال الله عز وجل له لم فعل ذلك قال من مخافتك قال فيقول الله عز وجل أنظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك قال صلى الله عليه وسلم وذلك الذي ضحكت منه الضحى رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى 1
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي

أول من يخير ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازي فإذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم بأثر السجود وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار ان تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحدقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله تعالى أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب فيدعو الله حتى يقول له فهل

عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فيرى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال أدخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول له تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه قال

عطاء بن يزيد وأبو سعيد مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة قال إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة وذلك آخر أهل الجنة دخولا الجنة 1 ولهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيز ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى إذا يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فما تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ولا نشك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد

لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة وخطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا قط وكان أبو سعيد رضي الله عنه يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما النساء 04 فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين

أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم

عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا 1 وفيهما عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا 2 وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئا أزيدكم يقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة 3 وللطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا أليس ذلك عدلا من ربكم قالوا بلى قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير ويبقى

محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس قال فيقولون إن لنا إلها ما رأيناه بعد فيقول هل تعرفونه إن رأيتموه فيقولون إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه قال فيقول ما هي فيقولون يكشف عن ساق فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجدا ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطي نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة فإذا أضاء قدم قدمه ومشى وإذا طفيء قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من

يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطى نورا على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد تجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد أن رأيتها قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار فيقول يا رب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمع حسيسها قال فيدخل الجنة قال فيرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه اليه حلم ليدخله فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول

أي رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله عز وجل فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره قال لا وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول يا رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله فلعلك إن أعطتيكه تسأل غيره قال لا وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزله ثم يسكت فيقول الله عز وجل مالك لا تسأل فيقول رب قد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك فيقول الله عز وجل ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه فيقول أتستهزئ بي وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله قال فرأيت عبد الله بن مسعودرضي الله عنه إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارا كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مرارا كلما بلغ هذا المكان من الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه قال فيقول الرب عز وجل لا ولكني على ذلك قادر سل فيقول ألحقني بالناس فيقول الحق بالناس قال فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجدا فيقال له ارفع رأسك مالك فيقول رأيت ربي أو تراءى لي ربي فيقال إنما هو منزل من منازلك قال ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود فيقال له مه فيقول رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي الى جوهرة على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف

أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك فيقول لها والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفا فتقول له والله والله وأنت لقد ازددت في عيني

سبعين ضعفا فيقال له أشرف قال فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره قال فقال عمر رضي الله عنه ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم قال كعب يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عز وجل جعل دارا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون واها لهذه الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه فقال ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها فقال كعب والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو 1 قال ابن القيم رحمه الله تعالى هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني رحمهم الله تعالى وروى يعقوب بن سفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون قال ثم يقول الله تبارك وتعالى اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك وتعالى ولدينا مزيد 2 وفي الصحيحين

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن 1 ولأحمد عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله عز وجل

الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا لله عز وجل أن يصدع بين خلقه مثل لك قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم فنقول نحن المسلمون فيقول ما تنتظرون فنقول ننتظر ربنا عز وجل فيقول وهل تعرفونه إن رأيتموه فنقول نعم إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول أبشروا يا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديا أو نصرانيا مكانه 2 وفي رواية يتجلى لنا ربنا عز وجل ضاحكا يوم القيامة وللدارقطني عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه عز وجل 3 رواه الإمام أحمد وابن وهب وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتى إليه رجل فشكى إليه الفاقة ثم أتى آخر فشكى إليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله عز وجل قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طي الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز

قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقول ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عدي بن حاتم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم 1 وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي لفظ فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا عز وجل حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله عز وجل قال فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن

ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن على ربي فيأذن لي فإذا أنا رأيته فأقع له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني الله ما شاء أن

يدعني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن 1 أي وجب عليه الخلود وفي رواية لابن خزيمة يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا فذكر الحديث إلى أن قال فينطلقون إلى محمد صلى الله عليه وسلم فأقول أنا لها فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخر ساجدا 2 وذكر الحديث وفي رواية فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت له ساجدا 3 وفي رواية فآتي ربي وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجدا 4 وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدا 5 وفي حديث أبي هريرة آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا 6
وللدارقطني عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الله عز وجل 7 وله وعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل عليه السلام وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء فقلت ما هذه التي في

يدك يا جبريل قال هذه الجمعة قلت وما الجمعة قال لكم فيها خير كثير قلت وما يكون لنا فيها قال يكون عيدا لكم ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعا لكم قلت وما لنا فيها قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له قسم إلا ذخر له في آخرته ما هو

أعظم منه قلت ما هذه النكتة التي فيها قال هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد قلت وما ذاك يا جبريل قال إن ربك اتخذ في الجنة واديا فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين ورأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراءوياقوتة حمراء غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده ورواه محمد بن إسحاق 2 وعمرو بن أبي قيس وفيه فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم

حف الكراسي بمنابر من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب قال ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي سلوني فيسألونه الرضا قال رضاي أنزلكم داري وأنالكم كرامتي سلوني فيسألونه الرضا قال فيشهدهم بالرضا ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم 1 وذكر الحديث
ورواه علي بن حرب 2 والحسن بن عرفة 3 وفي روايته ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ورواه الدارقطني أيضا من طريق آخر عن أنس رضي الله عنه قال بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء قلت يا جبريل ما هذا قال هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قال قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء قال هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد قال قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد قال إن الله اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه أعلى ذلك الوادي وقد حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب

السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي فإذا اطمأنوا فيه جلوسا بعث الله عز وجل عليهم ريحا يقال لها المثيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضوانا وهو

خازن الجنة فيقول يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء سلوني ما شئتم فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم فيقولون ربنا وأي خير لم تفعله بنا ألست أعنتنا على سكرات الموت وآنست منا الوحشة في ظلمات القبور وآمنت وحشتنا عند النفخة في الصور ألست أقلت عثراتنا وسترت علينا القبيح من فعلنا وثبت على جسر جهنم أقدامنا ألست الذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك وتجليت لنا بنورك فأي خير لم تفعله بنا فنعوذ بالله عز وجل فيناديهم بصوته أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي فسلوني فيقولون نسألك رضاك فيقول تعالى برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم وسترت عليكم القبيح من أموركم وأدنيت مني جواركم وأسمعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم بنوري فهذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يقول عز وجل سلوني فيقولون رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة قال أنس رضي الله عنه فقلت بأبي وأمي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم قال كقدر الجمعة إلى الجمعة قال ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته قال أنس رضي الله عنه سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيني وبينه أحد 1 ورواه أيضا من طريق آخر 2

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر بن خزيمة وابن بطة في الإبانة وغيرهم وقد جمع ابن أبي داود طرقه 1 ولإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن بريدة بن الخصيب رضي الله عنه قال قال رسول الله ما منكم من أحد إلا

سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان 2 وللإمام أحمد وأبي داود عن أبي رزين رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر قلنا نعم قال الله أكبر وأعظم 3 وللإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه وقد سئل عن الورود فقال نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون فيقولون ننتظر ربنا عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل

ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها ورواه مسلم في صحيحه 1 وفي رواية نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين ولعبد الرزاق عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة 2 وللدارقطني عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا ولأبي قرة عنه رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم فذكر الحديث وفيه فيقول أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه فيقولون نعم فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتجلى تبارك وتعالى فيخرون له سجدا 4 وفي سنن ابن ماجه عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال تعالى السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره 5 وللبيهقي عنه رضي

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في مجلس فهم إذ سطع لهم نور علي باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف فقال تعالى يا أهل الجنة سلوني قالوا نسألك الرضا عنا قال تعالى رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي هذا أوانها فسلوني قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جواري الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فتثير فيثار عليهم ريحا يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة فتقول الملائكة يا ربنا قد جاء القوم فيقول مرحبا بالصادقين ومرحبا بالطائعين قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا ثم يقول أرجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى نزلا من غفور رحيم فصلت 13 رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية 1 وللدارقطني عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة 2 ولابن وهب والدارقطني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته فكان فيما قال لنا يومئذ إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذره أمته وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يمينا وعاث

شمالا يا عباد الله اثبتوا وإنه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدي ثم ينشني فيقول أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة الكهف وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن بردا وسلاما كما كانت بردا وسلاما على إبراهيم وإن أيامه أربعون يوما يوما كسنة ويوما كشهر ويوما كجمعة ويوما كالأيام وآخر أيامه كالسراب يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر فقالوا كيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام قال تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال 1 وللإمام أحمد وأبي داود عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت وأنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبا لا تغفره اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة

ذا الجلال والإكرام فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لا لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي إنك أنت التواب الرحيم 1 وللإمام أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن أبي مجلز قال صلى بنا عمار رضي الله عنه صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود قالوا بلى قال أما إني دعوت فيها بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء ولا مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد 2 وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر يا جابر ألا أبشرك قال بلى بشرك الله بخير قال شعرت أن الله أحيا أباك قال فأقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت أعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى إليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال تعالى إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع وهو في المسند من حديث جابر 3 وللترمذي عنه

رضي الله عنه قال لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك قال بلى قال ما كلم الله عز وجل أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا فقال يا عبدي تمن علي أعطك قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قلت وإسناده صحيح 1 وللترمذي والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين 2 وفي رواية ابن عرفة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة 3 وفي رواية سعيد بن هشيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى ورواه الدارقطني 1 وله عنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله فذكر الحديث إلى أن قال حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود يا داود قم فمجدني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل 2 وروى عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن عز وجل فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن عز وجل 3 وقال الترمذي رحمه الله حدثنا محمد بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أخبرنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أخبرنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة أتسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من

لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دنيء على كثبان المسك

والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا وقال كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله تعالى محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا عز وجل قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه قلت ابن أبي العشرين كاتب الأوزاعي قال أحمد وأبو حاتم ثقة وقال النسائي ليس بذاك القوى وقال البخاري ربما يخالف في حديثه وفي التقريب صدوق ربما أخطأ وأما بقية رجاله فلا يسأل عنهم ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم 1 ولابن بطة عن عمار بن رويبة رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فإن

استطعتم على أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا 1 وفي روايه عنه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا 2 ولأبي معاوية عن سلمان الفارسي رضي الله

عنه قال يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك قم فاشفع لنا إلى ربك فيقول نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا فيقول محمد صلى الله عليه وسلم قال فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيستأذن في السجود فيأذن له 3 الحديث ولابن بطة والبزار عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قال قلت يا جبريل ما هذه قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قال قلت وما هذه اللمعة في وسطها قال هذه الجمعة قال قلت وما الجمعة قال يوم من أيام ربك عظيم و سأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيرا إلا أعطاهما إياه وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم ناد مناد يا أهل الجنة أخرجوا إلى دار

المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله تعالى في كثبان من المسك قال فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت قال فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى ريحا تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى
قال ثم يوحي الله سبحانه وتعالى إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري فسلوني فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كملة واحدة ربنا رضينا عنك فارض عنا قال فيرجع الله تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فهذا يوم المزيد فسلوني قال فيجتمعون على كلمة واحدة رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر إليه قال فيكشف الله تبارك وتعالى الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره قال ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم قال فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن ويزاد وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها قال

فيقولون ذلك بأن الله تجلى لنا فنظرنا له إلى ما خفينا به عليكن قال فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون 1 ولابن مهدي عنه رضي الله عنه في قوله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

قال النظر إلى وجه الله عز وجل 1 قال الحاكم رحمه الله تعالى وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع ولابن خزيمة عن أبي نضرة قال خطبنا ابن عباس رضي الله عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فأقول أنا محمد فآتي ربي وهو على كرسيه أو على سريره فيتجلى لي ربي فأخر له ساجدا 2 ولأبي بكر بن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة برون ربهم تبارك وتعالى في كل جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوا 3 وللصنعاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا فإن منهم لملائكة قياما صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة و تجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك 4 وللدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن فضالة يعني ابن عبيد رضي الله عنه كان يقول اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق

إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة 1 وللإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعلقوا إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا 2 وقال الصاغاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدي بن أرطأة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكى ثم قال كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت

وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ولقد سمعت فلانا نسي عباد اسمه ما بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح الله تعالى قال وملائكة سجود منذ خلق السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبدك 3 فثبت بهذه الأحاديث المتواترة الصحيحة الصريحة أن الله عز وجل يرى في الآخرة كما يشاء وأن الشهداء بعد موتهم يرونه وأن الملائكة يرونه وأن النبي صلى الله عليه وسلم يراه عند استئذانه في الشفاعة وأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم برهم وفاجرهم يرونه في عرصات القيامة وهي للفاجر والمنافق ابتلاء وامتحان ونوع من العقوبة وأما رؤية الفرح والسرور والتلذذ بالنظر إلى وجه الله عز وجل فهي

خاصة لأوليائه المؤمنين الذين يؤذن لهم في السجود ويعطون النور التام على الصراط فيتبعونه ثم يتجلى لهم في الجنة فيرونه كما يشاء وهي الزيادة في يوم المزيد كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها وقد جاءت أحاديث صحيحة في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل منها حديث أبي موسى وحديث أنس وحديث حذيفة وحديث صهيب وقد تقدم ذكرها قريبا وللدارقطني عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الله عز وجل 1 ولابن جرير عنه رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال صلى الله عليه وسلم الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل 2 ولابن جرير عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل وجلاله ورواه ابن حميد عنه بلفظ الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى 3 وللحسن بن عرفة عن أنس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا والحسنى هي الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجه الله عز وجل 4 وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل عن أبي بكر رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وأبي موسى وعن عبادة بن الصامت

وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وعن التابعين عن سعيد بن المسيب عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن السباط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق ومقاتل وغيرهم رحمهم الله من السلف والخلف ولولا خشية الإطالة لنقلنا أقوالهم بأسانيدها 1 وفيما ذكرنا من المرفوع كفاية وبالله التوفيق
ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب
قال أبو بكر رضي الله عنه وقرأ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقالوا ما الزيادة يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى 2 وقال علي رضي الله عنه من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته 3 وقال حذيفة رضي الله عنه الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى 4 وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والله ما منكم من إنسان إلا أن

ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ما غرك بي يا ابن آدم ثلاث مرات ماذا أجبت المرسلين ثلاث مرات ماذا عملت فيما علمت 1 وقال رضي الله عنه الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل 2 وقيل لابن عباس رضي الله عنهما كل من دخل الجنة يرى ربه عز وجل قال نعم 3 وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المتقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن تعالى لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قال أبو عفيف وهو الراوي عنه من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة 4 وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت 5 وقال ابن عمر رضي الله عنهما إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله جل جلاله في كل يوم مرتين 6 وكان فضالة بن عبيد رضي الله عنه يقول اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وقد تقدم هذا الدعاء عنه 7 وتقدم مرفوعا من حديث زيد بن ثابت وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم وقال أبو موسى رضي الله عنه للذين

أحسنوا الحسنى قال الجنة و الزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل 1 وكان رضي الله عنه يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال ما صرف أبصاركم عني قالوا الهلال قال فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله تعالى جهرة 2 وقال أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل ولدينا مزيد ق 53 يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة 3 وعن جابر رضي الله عنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جادتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار جل وعلا فإذا تجلى لهم خروا له سجدا فيقول يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم رضاء لا سخط بعده 4
ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى في ذلك
قال سعيد بن المسيب والحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وكعب رحمهم الله تعالى الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه فإن بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته نجا أولياؤه من سخطه وبها وافقوا أنبياءه وبها نضرت

وجوههم ونظروا إلى خالقهم وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة وقال الحسن رحمه الله تعالى لو علم العابدون في الدين أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا وقال الأعمش وسعيد بن جبير رحمهما الله إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية وقال كعب رحمه الله تعالى ما نظر الله عز وجل إلى الجنة قط إلا قال طيبي لأهلك فزادت ضعفا على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تبارك وتعالى شيئا إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفا ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك وقال هشام بن حسان إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة وقال طاوس أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا فيقول الله عز وجل لهم إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم تبارك وتعالى فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك

وتعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة يونس 62 بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى وقال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الكهف 011 قال عبدالله من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحدا وقال نعيم بن حماد سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحدا عنه إلا عذبه ثم قرأ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم

لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون المطففين 51 قال بالرؤية وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت يا أبا عبد الله إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث إن الله ينزل إلى السماء الدنيا و إن أهل الجنة يرون ربهم فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوا وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوما فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى يعني بشر المريسي قبحه الله
ذكر أقول الأئمة الأربعة وطبقاتهم ومشايخهم رحمهم الله تعالى
قال مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالى الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم وسئل رحمه الله عن قوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة القيامة 32 أتنظر إلى الله وجل قال نعم قال أشهب فقلت إن أقواما يقولون تنظر ما عنده قال بل تنظر إليه نظرا وقد قال موسى رب أرني أنظر إليك قال لن تراني الأعراف 341 وقال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر الطبراني وغيره أنه قيل لمالك إنهم يزعمون أن الله لا يرى فقال مالك السيف السيف وقال أبو صالح كاتب الليث أملي علي عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر القمر 52 فورب السماء والأرض

ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما يزعمون أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله تعالى أولياءه وقال الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤيا فقالوا تمر بلا كيف وقال سفيان بن عيينة من لم يقل إن القرآن كلام الله وأن الله يرى في الجنة فهو جهمي ذكره الطبري وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال لا يصلي خلف الجهمي والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة وذكر ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه الله عز وجل فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه وذكر أيضا عن ابن المبارك أن رجلا من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن خدارا بآن جهان جون بيند ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة فقال بالعين وقال وكيع بن الجراح رحمه الله يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله تعالى قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة الايمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤية وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وقد ذكره عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات الى أن صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفسر منها شيئا ولكن نمضيها كما جاءت وقال عبد الوهاب الوراق سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال أحلف عليها أنها حق وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله عز وجل كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقال الشافعي رحمه الله تعالى لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول

قال نعم وبه أدين الله عز وجل ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل رواه الحاكم عن الربيع عنه وروى الطبراني وغيره عن المزني قال سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول في قوله عز وجل كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم تبارك وتعالى ويوم القيامة وقال محمد بن عبد الله بن الحكم سئل الشافعي رحمه الله تعالى عن الرؤية فقال يقول الله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل رواه أبو زرعة

الرازي ولابن بطة عنه رحمه الله تعالى قال كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم وقال إسحاق بن منصور قلت لأحمد أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة أليس تقول بهذه الأحاديث قال أحمد صحيح وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية فقال من لم يقل بالرؤية فهو جهمي وقال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال إن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبا شديدا ثم قال من قال أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وقال كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال أبو داود سمعت أحمد رحمه الله تعالى وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال من قال إن الله لا يرى فهو كافر وقال أيضا سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف أن الله لا يرى في الآخرة فقال لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ثم قال أخزي الله هذا وقال أبو بكر المروزي قيل لأبي عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر إن استقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة 1 فغضب أبو عبد الله غضبا شديدا

حتى تبين في وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال أخزي الله هذا هذا لا ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمي كافر خالف ما قاله الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وقال كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أخزى الله هذا الخبيث قال أبو عبد الله ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة البقرة 012 وجاء ربك والملك صفا صفا فمن قال إن الله لا يرى فقد كفر وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء سمعت أبا عبد الله يقول من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي والجهمي كافر وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبي عبد الله أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم قال نعم ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا وقال حنبل بن إسحاق سمعت أبا عبد الله يقول القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي فقد كفر ورد على الله وعلى الرسول ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا فقد كفر ورد على الله قوله قال أبو عبد الله فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونمرها كما جاءت وقال الأثرم سمعت انا عبدالله رحمه الله يقول فأما من يقول إن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي قال ابو عبدالله

وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول الرؤية من كذب بها فهو زنديق وقال حنبل يقول الرؤية من كذب بها فهو زنديق وقال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئا أحاديث الرؤية وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين وقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى قال الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا الشورى 25 وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى

الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبدالله وغيره تنظرون إلى ربكم أحاديث صحاح وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل قال أبو عبد الله نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب قال وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل قال حنبل قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية قال هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أقررنا به قال أبو عبد الله إذا لم نقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الحشر 7 وقال عبد الله بن طاهر أمير خراسان لإسحاق بن راهويه يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن فقال رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يكونوا في هذا عدولا وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال شفاك الله كما شفيتني أو كما قال ذكره الحاكم وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين وقال نعيم بن حماد للمزني ما تقول في القرآن فقال أقول إنه كلام الله فقال غير مخلوق فقال غير مخلوق قال وتقول أن الله يرى يوم القيامة قال نعم فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال يا أبا عبد الله شهرتني على رءوس الناس فقال إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام الأحزاب 44 أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون

إلا معاينة ونظرا بالأبصار قلت واللقاء ثابت بنص القرآن هذه الآية وغيرها وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة بئر معونة إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا 1 وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهم من أحب لقاء الله أحب لقاءه 2 وحديث أنس إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم 3 وحديث أبي ذر رضي الله عنه لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة 4 وحديث أبي موسى من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة 5 وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد فهذا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة وهذه

أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهدى كلها مجتمعة على أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى في الجنة ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم وذلك غاية النعيم وأعلى الكرامات وأفضل فضيلة ولذا يذهلون بالنظر إليه عن كل ما هم فيه من النعيم فنحن نؤمن بذلك كله ونشهد الله تعالى وملائكته وأنبياءه ورسله والمؤمنين على ذلك ونضرع إلى الله تعالى وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه تعالى في جنة عدن وأن لا يحجبنا عنه فنكون من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون نعوذ بالله من ذلك ومن جحد الرؤية فهو كاذب على الله تعالى مكذب بالصدق إذ جاءه راد لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مخالف لجماعة المؤمنين كافر بلقاء الله عز وجل متبع غير سبيل المؤمنين وسيوليه الله ما تولى ويصليه جهنم إن مات مصرا على جحوده أليس في جهنم مثوى للكافرين وقد وعد الله عز وجل أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة فقال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون وتقدم تفسير ابن المبارك قوله تكذبون بالرؤية وقد ورد حديث في وعيد منكري اللقاء وهو متناول منكر الرؤية بلا شك ولا مرية روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة قالوا لا قال فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون

في رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والأبل وأذرك ترأس وترفع فيقول بلى فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع فيقول بلى أي رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول إني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا إذا ثم يقال الآن

نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه 1 ومن تراجم أئمة السنة على هذا الحديث باب وعيد منكري الرؤية 2 والدلالة منه واضحة منطوقا ومفهوما ولله الحمد ولا خلاف في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في دار الآخرة وكذا لا خلاف بينهم في أنه لا يراه أحد قبل الموت وإنما وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج كما سيأتي إن شاء الله بحث ذلك في موضعه وبالله التوفيق وجوب الإيمان بالصفات الواردة في القرآن وصحيح السنة وإقرارها كما أتت ... وكل ما له من الصفات ... أثبتها في محكم الآيات ... أو صح في ما قاله الرسول ... فحقه التسليم والقبول ...
وكل ما ثبت له أي لله عز وجل من الصفات الثابتة التي أثبتها هو سبحانه وتعالى لنفسه وأخبرنا باتصافه بها في محكم الآيات من كتابه العزيز مما ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكر كقوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله البقرة 511 وقوله كل شيء هالك إلا وجهه القصص 88 وقوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام الرحمن 61 71 وقوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الروم 93 وقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى الليل 91 وقوله تعالى إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا الإنسان 9

وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الكهف 12 وقوله تبارك وتعالى واصطنعتك لنفسي طه 14 وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه آل عمران 82 وقوله عن عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب المائدة 611 وكقوله تعالى ولتصنع على عيني طه 9 وقوله تعالى فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا الطور 84 وقوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا القمر 31 وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ص 57 وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان المائدة 46 وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه الزمر 76 وقوله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء الاعراف 54 وكقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه المائدة 45 وقوله تعالى والله يحب المتقين إن الله يحب المحسنين إن الله يحب الصابرين إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الصف 4 وقوله والله لا يحب الظالمين والله لا يحب الفساد البقرة 502 والله لا يحب كل مختال كفور لقمان 81 وكقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الفتح 81 رضي الله عنهم ورضوا عنه البينة 8 وقوله إن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين التوبة 69 ولا يرضى لعباده الكفر الزمر 7 وكقوله تعالى سخط الله عليهم المائدة 08 وكقوله كره الله انبعاثهم التوبة 64 وقوله في اليهود غضب الله عليهم الممتحنة 31 وفي قاتل النفس المحرمة فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه النساء 39 وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى طه 18 وكقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء الأعراف 651 وكقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة

وعلما غافر 7 وكقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة الأنعام 45 وقوله وهو الغفور الرحيم وقوله فبما رحمة من الله لنت لهم آل عمران 951 وكقوله وهو القوي العزيز وقوله عن إبليس فبعزتك لأغوينهم أجمعين ص 28 وقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين الصافات 081 وكقوله الله نور السموات والأرض النور 53 الآية وكقوله إن الله عزيز ذو انتقام المائدة 59 وقوله تعالى إنا من المجرمين منتقمون السجدة 22 وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم آل عمران 4 وقوله تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون الحشر 32 وقوله تعالى ملك الناس وقوله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير

حساب آل عمران 62 72 وقوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الأنعام 91 وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء الحديد 4 وقوله تعالى وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا مريم 45 56 وقوله تعالى نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم الحجر 94 05 وقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير غافر 2 وقوله والله يقبض ويبسط البقرة 452 وقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الأنعام 011 وقوله وهو شديد المحال الرعد 31 وغير ذلك من آيات الأسماء والصفات صفات ذاته تعالى وأفعاله عز وجل

أو صح في ما قاله الرسول من الأحاديث النبوية الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل يقول الله تعالى أنا مع عبدي حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم 1 متفق عليه من حديث أبي هريرة وقوله صلى الله عليه وسلم سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه رواه مسلم والأربعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما 2 وقوله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 3 وعن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الأنعام 65 قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك قال أو من تحت أرجلكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك قال أو يلبسكم شيعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أيسر رواه البخاري وغيره 4 وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبي حتى ترضى ولا

حول ولا قوة إلا بك رواه محمد بن إسحاق في سيرته 1 وقوله صلى الله عليه وسلم وأسألك لذة النظر إلى وجهك 2 الحديث تقدم في الرؤية وقوله صلى الله عليه وسلم مثل المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجه الله مثل القائم المصلي

حتى يرجع المجاهد متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 3 وقوله صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما 4 وقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص إنك لن تخلف بعدي فتعمل عملا تريد وجه الله تعالى إلا ازددت به رفعة ودرجة رواه البخاري وغيره من حديثه 5 وقوله صلى الله عليه وسلم وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده رواه ابن خزيمة والبيهقي من حديث الحارث الأشعري 6 وقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الدجال ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور الحديث متفق عليه من حديث أنس وابن عمر وغيرهما 7 وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة يقول الناس لآدم أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده الحديث متفق عليه عن أنس رضي الله عنهما 8 وقوله صلى الله عليه وسلم يد الله ملأى لا تغضيها نفقة سحاء الليل

والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع متفق عليه 1 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما واللفظ للبخاري 2 وتصديقه صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له يا محمد إن الله تعالى يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه 3 وقوله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي متفق عليه من حديث أبي هريرة 4 وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يفتح أبواب السماء في ثلث الليل الباقي فيبسط يديه فيقول ألا عبد يسألني فأعطيه الحديث 5 تقدمت ألفاظه في إثبات النزول وقوله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل متفق عليه من حديث أبي هريرة 6 وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث احتجاج آدم وموسى فقال آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة 7 وقوله صلى الله عليه وسلم إن يد الله هي العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل أسفل من ذلك رواه ابن خزيمة من حديث حكيم بن حزام 8 وأصله في الصحيح وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة خلق آدم فقال الله تبارك

وتعالى ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم يبسطها فإذا فيها آدم وذريته الحديث أخرجه ابن خزيمة والبيهقي من حديث أبي هريرة 1 وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة سؤال موسى عليه السلام ربه عز وجل عن منازل أهل الجنة قال يا رب فأخبرني بأعلاهم منزلة قال هذا أردت فسوف أخبرك قال غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها الحديث رواه البيهقي وابن خزيمة من حديث المغيرة بن شعبة 2 وقوله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه 3 وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه 4 وقوله صلى الله عليه وسلم ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه 5 وقوله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه الحديث في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه 6 وقوله صلى الله عليه وسلم وما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم رواه البخاري عن أبي

موسى رضي الله عنه 1 وقوله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره 2 الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل رواه أحمد والبخاري من حديث ابن مسعود 3 وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه من حديث أبي هريرة 4 وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله 5 وقوله صلى الله عليه وسلم من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله رواه أبو داود بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما وفي رواية من خاصم في باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع 7 وقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها 8 وقوله صلى الله عليه وسلم وإذا أبغض

عبدا دعا جبرائيل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض رواه مسلم 1 وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه 2 وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة أصحاب بئر معونة بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا وهو في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه 3 وهو من التنزيل المنسوخ تلاوة وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة سبي هوازن الله أرحم بعباده من هذه بولدها أخرجاه من حديث عمر رضي الله عنه 4 وقوله صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا ونزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 5
ولمسلم معناه من حديث سلمان رضي الله عنه وفيه كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فإذا كان يوم القيامة كملها بهذه الرحمة 6 وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والأنس يموتون أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما 7 وقوله صلى الله عليه وسلم عن أيوب عليه السلام وعزتك لا غني بي عن بركتك أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه 1 وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن أخرجاه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما 2 وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لمسلم والأربعة عن عائشة 3 وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد هود 201 أخرجاه من حديث أبي موسى رضي الله عنه 4 وقوله صلى الله عليه وسلم فإن الله لم يك لينسى شيئا وما كان ربك نسيا رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه 5 وقوله صلى الله عليه وسلم في حلفه لا ومقلب القلوب أخرجاه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما 6 وقوله صلى الله عليه وسلم ما من قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن فإذا أشاء

أن يقيمه أقامه وإن أشاء أن يزيغه أزاغه رواه أحمد والشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها 7 وفي صدره يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الجنة والنار لا يزال يلقى فيها يعني النار وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قد قد بعزتك وكرمك وفي

رواية قط قط بالطاء أخرجاه من حديث أنس 1 وقوله صلى الله عليه وسلم لا شخص أغير من الله علقها البخاري بلفظ الترجمة ووصلها الدارمي في مسنده 2 وقوله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة في الترجمة السابقة 3 والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا يحتاج استقصاؤها إلى بسط طويل وفيما ذكرنا كفاية وما أشبه فسبيله سبيله فحقه التسليم له والقبول الفاء واقعة في جواب كل ما فنقول في ذلك ما ذكره الله تعالى عن الراسخين في العلم حيث قال والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولو الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب آل عمران 7 8 ولا نضرب كتاب الله بعضه ببعض فنتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما يفعله الذين في قلوبهم زيغ أعاذنا الله وعصمنا من ذلك بمنه وكرمه وفضله إنه سميع مجيب ... نمرها صريحة كما أتت ... مع اعتقادنا لما له اقتضت ... من غير تحريف ولا تعطيل ... وغير تكييف ولا تمثيل ... بل قولنا قول أئمة الهدى ... طوبى لمن بهديهم قد اهتدى ...
أي جميع الآيات والصفات وأحاديثها نمرها صريحة أي على

ظواهرها كما أتت عن الله تعالى و عن رسوله صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل متصلا إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحوا ليس دونها سحاب مع اعتقادنا إيمانا و تسليما لما له اقتضت من أسماء ربنا تبارك و تعالى و صفات كماله و نعوت جلاله كما يليق بعظمته و على الوجه الذي ذكره و أراده من غير تحريف لألفاظها كمن قال في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما النساء 461 أن التكليم من موسى و أن لفظ الجلاله منصوب على المفعولية

فرارا من إثبات الكلام كما فعله بعض الجهمية و المعتزلة و قد عرض ذلك على أبي بكر بن عياش فقال أبو بكر ما قرأ هذا إلا كافر قرأت على الأعمش و قرأ الأعمش على يحيى بن وثاب و قرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي و قرأ أبو عبد الرحمن السلمي علي بن أبي طالب و قرأ علي بن أبي طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم و كلم الله موسى تكليما يعني برفع لفظ الجلالة على الفاعلية و هو مجمع عليه بين القراء روى ذلك بن مردويه عن عبد الجبار بن عبد الله عن ابن عياش رحمه الله تعالى و روى ابن كثير أن بعض المعتزلة قرأ على بعض المشايخ و كلم الله موسى تكليما فقال له يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الأعراف 341 يعني أن هذا لا يقبل التحريف و لا التأويل كما قال جهم بن صفوان لعنه الله في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى طه 5 حيث قال لو وجدت سبيلا إلى حكها لحككتها و لأبدلتها استولى و له في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه حيث قال تعالى لهم و ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطة البقرة 85 فدخلوا يزحفون على أستاهم و قالوا حنطة فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجدا و بدلوا قولا غير الذي قيل لهم فكان

جزاؤهم ما ذكره الله تعالى حيث يقول فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون البقرة 95 و جعلهم الله عبرة لمن بعدهم فمن فعل كمن فعلوا فسبيله سبيلهم كما مضت سنة الله بذلك أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر القمر 34 و من غير تحريف لمعانيها كما فعله الزنادقة أيضا كتأويلهم نفسه تعالى بالغير و أن إضافتها إليه كإضافة بيت الله و ناقة الله فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى و يحذركم الله نفسه آل عمران 82 أي غيره و قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة الأنعام 45 أي على غيره و يكون قوله تعالى عن عيسى تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك المائدة 611 أي و لا أعلم ما في غيرك و يكون قوله تعالى لموسى و اصطنعتك لنفسي طه 14 أراد واصطنعتك لغيري و هذا لا يقوله عاقل بل و لا يتوهمه و لا يقوله إلا كافر و كتأويلهم وجهه تعالى بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم فانظر لتناقضهم البين و هذا يكفي حكايته عن رده أما من أثبت النفس و أول الوجه بذلك فيقال له إن الله تعالى قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام الرحمن 72 فذكر الوجه مرفرعا على الفاعلية و لفظ رب مجرور بالإضافة و ذكر ذو مرفوعا بالتبعية نعتا لوجه فلو كان الوجه هو الذات لكانت القراءة و يبقى وجه ربك ذي الجلال و الإكرام بالياء لا بالواو كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال و الإكرام الرحمن 87 فخفضه لما كان صفة للرب فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعا تبين أن الوجه صفة للذات ليس هو الذات و لما رأى آخرون منهم فساد تأويلهم بالذات أو

الغير لجأوا إلى طاغوت المجاز فعدلوا إلى تأويله به أولى و أنه كما يقال وجه الكلام و وجه الدار و وجه الثوب و نحو ذلك فتكلفوا الكذب على الله تعالى و على رسوله صلى الله عليه وسلم كل التكلف ثم نكسوا على رءوسهم فوقعوا فيما فروا منه فيقال لهم أليس الثوب و الدار و الكلام مخلوقات كلها و قد شبهتم وجه الله تعالى بذلك فأين الفكاك و الخلاص و لات حين مناص و ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فصلت 32 و كما أولوا اليد بالنعمة و استشهدوا بقول العرب لك

يد عندي أي نعمة فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى بل يداه مبسوطتان المائدة 46 يعني نعمتاه فلم يثبتوا لله إلا نعمتين و الله تعالى يقول ألم تروا أن الله سخر لكم ما السموات و ما في الأرض و أسبغ عليكم نعمة ظاهرة و باطنة لقمان 02 و يكون قوله تعالى لما خلقت بيدي ص 57 أراد بنعمتي فأي فضيلة لآدم على غيره على هذا التأويل و هل من أحد لم يخلقه الله بنعمته و يكون قوله تعالى و الأرض جميعا قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه الزمر 76 أراد مطويات بنعمته فهل يقول هذا عاقل و قال آخرون منهم بقوته استشهادا بقوله تعالى و السماء بنيناها بأيد الذاريات 741 أي بقوة فيقال لهم أليس كل مخلوق خلقه الله بقوة فعلى هذا ما معنى قوله عز و جل ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي و أي فضل لآدم على إبليس إذ كل منهما خلقه الله بقوته و معنى قوله تعالى للملائكة لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان أفلم يخلق الملائكة بقوته و أي فضل لآدم عليهم إن لم يكن خلقه الله بيده التي هي صفته نبئوني بعلم إن كنتم صادقين و كما تألوا الاستواء بالاستيلاء و استشهدوا ببيت مجهول مروي على خلاف وجهه وهو ما ينسب إلى الأخطل النصراني ... قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف و دم مهراق ... فعدلوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج ليس على دين الإسلام و لا على لغة العرب فطفق أهل الأهواء يفسرون به كلام الله عز وجل و يحملونه عليه مع إنكار عامة أهل اللغة لذلك و أن الاستواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه البتة و قد سئل ابن الأعرابي و هو إمام أهل اللغة في زمانه فقال العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل استولى و الله سبحانه لا مغالب له ا ه و قد فسر السلف الاستواء بعده معان بحسب أداته المقترنة به و بحسب تجريده عن الأداء و لم يذكر أحد منهم أنه يأتي بمعنى الاستيلاء حتى

انتحل ذلك أهل الأهواء و البدع لا باشتقاق صغير ولا كبير بل باستنباط مختلق وافق الهوى المتبع و قد بسط القول في رد ذلك ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه الصواعق و بين بطلانه من نيف و أربعين وجها فليراجع و كما أولوا أحاديث النزول إلى سماء الدنيا بأنه ينزل أمره فيقال لهم أليس أمر الله تعالى نازلا في كل و قت و حين فماذا يخص السحر بذلك و قال آخرون ينزل ملك بأمره فنسب النزول إليه تعالى مجازا فيقال لهم فهل يجوز على الله تعالى أن يرسل من يدعو ربوبيته و هل يمكن للملك أن يقول لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فهل قصرت عبارة النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقول ينزل ملك بأمر الله فيقول إن الله تعالى يقول لكم كذا أو أمرني أن أقول لكم كذا حتى جاء بلفظ مجمل يوهم بزعمكم ربوبية الملك لقد ظننتم بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم ظن السوء و كنتم قوما بورا و كما أولوا المجيء لفصل القضاء بالمجاز فقالوا يجيء أمره و استدلوا بقوله تعالى هل ينظرون إلا تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك النحل 33 فقالوا في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله البقرة 012 فقالوا هو من مجاز الحذف و التقدير يأتي أمر الله فيقال لهم أليس قد اتضح ذلك غاية الاتضاح أن مجيء ربنا عز وجل غير مجيء أمره وملائكته وأنه يجيء حقيقة ومجيء أمره حقيقة و مجيء ملائكته حقيقة و قد فصل تعالى ذلك و قسمه و نوعه تنويعا يمتنع معه الحمل على المجاز فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه و مجيء الملائكة و كذا في آية الفجر و ذكر في النحل مجيء ملائكته و مجيء أمره و ذكر في آية الأنعام إتيانه و إتيان ملائكته و إتيان بعض آياته التي هي من أمره ثم يقال ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة أليس أمره آتيا في كل وقت متنزلا بين السماء و الأرض بتدبير أمور خلقه في كل نفس و لحظة يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن الرحمن 92 و تأولوا النظر إلى الله عز و جل في الدار الآخرة بالانتظار قالوا إنه كقوله انظرونا نقتبس من

نوركم الحديث 31 فيقال لهم أليس إذا كان بمعنى الانتظار تعدى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله أنظرونا ألم يضف الله تعالى النظر إلى الوجوه التي فيها الإبصار و يعده بإلى التي تفيد المعاينة بالبصر عند جميع أهل اللغة قل أأنتم أعلم أم الله أولم يفسره النبي صلى الله عليه وسلم بالرؤية الجلية عيانا بالأبصار في أكثر من خمسين حديثا صحيحا حتى شبه تلك الرؤية الرؤية برؤيتنا الشمس صحوا ليس دونها سحاب تشبيها للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئي ولم يزل الصحابة مؤمنين بذلك و يحدثون به من بعدهم من التابعين و ينقله التابعون إلى من بعدهم و هلم جرا فنحن أخذنا ديننا عن حملة الشريعة عن

الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم فأنتم عمن أخذتم و من شبهاتهم في نفي الرؤية استدلالهم بقوله عز و جل لا تدركه الأبصار الأنعام 311 و هذه الآية فيها عن الصحابة تفسيران أولهما لا يرى في الدنيا و هو مروي عن عائشة رضي الله عنها و بذلك نفت أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج ثانيهما تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لا تدركه أي لا تحيط به فالنفي للإحاطة لا للرؤية و هذا عام في الدنيا و الآخرة و لم ينقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيح و لا ضعيف أنه أراد بذلك نفي الرؤية في الآخرة فهذا تفسير الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب هل بينهم من أحد فسر الآية بما افتريتموه و من إفكهم ادعاؤهم معنى التأبيد في النفي لن تراني الأعراف 341 حتى كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مختلقا لفظه لن تراني في الدنيا و لا في الآخرة و هو موضوع مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أئمة الحديث و السنة و لم يقل أحد من أئمة اللغة العربية إن نفي لن للتأبيد مطلقا إلا الزمخشري من المتأخرين قال ذلك ترويجا لمذهبه في الاعتزال و جحود صفات الخالق جل و علا و قد رده عليه أئمة التفسير كابن كثير و غيره و رده ابن مالك في الكافية حيث قال

ومن يرى النفي بلن مؤبدا ... فقوله اردد و سواه فاعضدا ...
و القائل لموسى لن تراني هو المتجلي للجبل حتى اندك و هو الذي وعد المؤمنين الحسنى و الزيادة و هو الذي قال وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فاتضح بذلك أن قوله لموسى صلى الله عليه وسلم لن تراني إنما أراد عدم استطاعته رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القوى البشرية فيها عن ذلك كما قرر تعالى ذلك بقوله جل جلاله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا و خر موسى صعقا الأعراف 341 الآية فإذا لم يثبت الجبل لتجلي الله تعالى فكيف يثبت موسى لذلك وهو بشر خلق من ضعف و أما في الآخرة فخلق الله تعالى في أوليائه قوة مستعدة للنظر إلى وجهه عز وجل و بهذا تجتمع نصوص الكتاب و السنة و تأتلف كما هو مذهب أهل السنة و الجماعة و أما من اتبع هواه بغير هدى من الله و نصب الخصام أو الجدال و المعارضة بين نصوص الكتاب و السنة و اتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله و ضرب كتاب الله بعضه ببعض و آمن ببعض و كفر ببعض و شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و اتبع غير سبيل المؤمنين و أضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أعاذنا الله و جميع المؤمنين من ذلك و لا يتأتي لأحد من أهل التأويل مراده و لا يستقيم له تأويله إلا بدفع النصوص بعضها ببعض لا محالة و لا بد فإن كتاب الله تعالى يصدق بعضه بعضا لا يكذبه كما هو مصدق لما بين يديه من الكتاب و مهيمن عليه و كذلك سنة النبي صلى

الله عليه وسلم تبين الكتاب وتوضحه وتفسره وتدل عليه وترشد إليه ولا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه إلا من اتخذ إلهه هواه و أدلى بشبهاته لغرض شهواته بل الذين كفروا في تكذيب و الله من ورائهم محيط البروج 91 02 و هذا دأبهم في جميع نصوص الأسماء و الصفات و إنما ذكرنا هذه الجملة مثالا و تنبيها على ما وراء ذلك فمن عوفي فليحمد الله فالحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
و لاتعطيل أي للنصوص بنفي ما اقتضته من صفات كمال الله تعالى

و نعوت جلاله فإن نفي ذلك من لازمه نفي الذات ووصفه بالعدم المحض إذ ما لا يوصف بصفة هو العدم تعالى الله عما يقول الظالمون و الجاحدون علوا كبيرا و لهذا قال السلف الصالح رحمهم الله تعالى في الجهمية إنهم يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد وذلك لجحودهم صفات كماله و نعوت جلاله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم و ذلك يتضمن التكذيب بالكتاب و السنة و الافتراء على الله كذبا فمن أظلم ممن كذب على الله و كذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين و الذي جاء بالصدق و صدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم كذلك جزاء المحسنين ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا و يجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون الزمر 23 53
و غير تكييف تفسير لكنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا أو ينزل إلى السماء بصفة كذا أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا و نحو ذلك من الغلو في الدين و الافتراء على الله عز و جل و اعتقاد ما لم يأذن به الله و لا يليق بجلاله و عظمته ولم ينطق به كتاب و لا سنة و لو كان ذلك مطلوبا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم و لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه و العباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى و لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء البقرة 452 و قال تعالى يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يحيطون به علما البقرة 552 فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى و ليقف معه كهذه الصفات الثابتة في الكتاب و السنة و ليمسك عما جهله و ليكل معناه إلى عالمه ككيفيتها و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا الحشر 7
و لا تمثيل أي و من غير تشبيه لشيء من صفات الله بصفات خلقه فكما أنا نثبت له ذاتا لا تشبه الذوات فكذلك نثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء و الصفات و نعتقد تنزهه و تقدسه عن مماثلة المخلوقات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الشورى 11 و إذا كان القول على الله بلا علم في أحكام

الشريعة هو أقبح المحرمات كما قال تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الإثم و البغي بغير الحق و أن تشركروا بالله ما لم ينزل به سلطانا و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون الأعراف 33 فكيف بالقول على الله بلا علم في إلهيته و ربوبيته و أسمائه و صفاته من تشبيه خلقه به أو تشبيهه لخلقه في اتخاذ الأنداد معه و صرف العبادة لهم و إن اعتقاد تصرفهم في شيء من ملكوته تشبيه للمخلوق بالخالق كما أن تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيه للخالق بالمخلوق و كلا التشبيهين كفر بالله عز و جل أقبح الكفر و قد نزه الله تعالى نفسه عن ذلك كله في كتابه كما قال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفوا أحد و قال تعالى رب السموات و الأرض و ما بينهما فاعبده و اصطبر لعبادته هل تعلم له سميا مريم 56 و قال تعالى فاطر السموات و الأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا و من الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير و قال تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء و لله المثل الأعلى و هو العزيز الحكيم النحل 06 و قال تعالى فلا تضربوا الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون النحل 47 و غير ذلك من الآيات بل جميع القرآن من أوله إلى خاتمته في هذا المعنى بل لم يرسل الله تعالى رسله و لم ينزل كتبه إلا بذلك و الله يقول الحق وهو يهدي السبيل الأحزاب 4

بل قولنا الذي نقوله و نعتقده و ندين الله به هو قول أئمة الهدى من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة كأبي حنيفة و مالك و الأوزاعي و الثوري و ابن عيينة و الليث بن سعد و حماد بن زيد وحماد بن سلمة و الشافعي و أحمد و إسحاق بن راهويه و أصحاب الأمهات الست و غيرهم من أئمة المسلمين قديما و حديثا الذين قضوا بالحق و به كانوا يعدلون وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف و بلا تشبيه و لا تعطيل و الظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفى عن

الله عز وجل فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه و ليس كمثله شيء وهو السميع البصير بل الأمر كما قال الأئمة تفسيرها قراءتها و قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى من شبه الله بخلقه فقد كفر و من جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر و ليس فيما وصف الله به نفسه و لا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه مما وردت به الآيات الصريحة ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم مما ورد في الأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته ونفى عن الله النقائض فقد سلك سبيل الهدى و قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى آمنا بالله و بما جاء عن الله على

مراد الله و آمنا برسول الله و بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال أيضا رحمه الله لله تعالى أسماء و صفات جاء بها كتابه و أخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها لأن القرآن نزل بها و صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها فيما روى عنه العدول فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية و الفكر و لا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها و تثبت هذه الصفات و ينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير و قال الإمام أحمد رحمه الله ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء وصفاته غير محدودةولا معلومة إلا بما وصف به نفسه قال فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ونصف بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت وما وصف به نفسهمن كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه فهذا كله يدل على أن الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة والتحديد في هذا كله بدعة والتسليم فيه بغير صفة ولاحد إلا ما وصف به نفسه سميع بصير لم يزل متكلما عالما غفورا عالم الغيب و الشهادة علام الغيوب فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع و لا ترد و هو

علىالعرش بلا حد كما قال تعالى ثم استوى على العرش كيف شاء المشيئة إليه و الاستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميع بصير بلا حد و لا تقدير لا نتعدى القرآن و الحديث تعالى الله عما يقول الجهمية و المشبهة قلت له و المشبه ما يقول قال من قال بصر كبصري و يد كيدي و قدم كقدمي فقد شبه الله تعالى بخلقه انتهى و كلام أئمة السنة في هذا الباب يطول و قد تقدم كثير منه في الاستواء و الكلام و النزول و الرؤية و غير ذلك
طوبى لمن بهديهم قد اهتدى إذ هم خير القرون و أعلم الأمة بشريعة الإسلام و أولاهم باتباع الكتاب و السنة و اقتفاء آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم و بهم حفظ الله الدين على من بعدهم فرحمهم الله و رضي عنهم و أرضاهم و ألحقنا بهم سالمين غير مفتونين إنه سميع الدعاء ... وسم ذا النوع من التوحيد ... توحيد إثبات بلا تردد ... قد أفصح الوحي المبين عنه ... فالتمس الهدى المنير منه ...
و سم ذا النوع و الإشارة بذا إلى ما تقدم من قوله إثبات ذات الرب إلى هنا و ما يدخل في ذلك من معاني الربوبية و الأسماء و الصفات من نوعي التوحيد المشار إليهما بقول وهو نوعان توحيد إثبات لاشتماله على إثبات ما أثبته الله

لنفسه في كتابه و أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم و من قبله من الأنبياء و المرسلين من معاني ربوبيته و مقتضى أسمائه و صفاته و نفي ما يناقض ذلك كما نفاه عن نفسه تبارك و تعالى فنؤمن بالله تعالى و بما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من صفات كماله و نعوت جلاله بلا تكييف و لا تمثيل و ننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله و عظمته فإنه أعلم بنفسه و بغيره و أصدق قيلا و أبين دليلا من غيره و قد عكس الزنادقة الأمر فنفوا عنه ما أثبته تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى و الصفات العلى و أثبتوا له ما نزه نفسه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه و صفاته و كذبوا بالكتاب و بما أرسل الله به رسله و بدلوا قولا غير الذي قيل لهم فبعدا لقوم لا يؤمنون

فائدة
قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحدا سبقهم بها قالوا هذه الصفات تمر كما جاءت و لا تؤول مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد فتفرع من هذا أن الظاهر يعنى به أمران أحدهما أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال السلف الصالح الاستواء معلوم وكما قال سفيان و غيره قراءتها تفسيرها يعني أنها بينة واضحة في اللغة لا يبتغى بها مضايق التأويل و التحريف و هذا هو مبدأ السلف مع اتفاقهم أيضا أنها لا تشبه صفات البشر بوجه إذ الباري لا مثل له لا في ذاته و لا في صفاته الثاني أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر فهذا غير مراد فإن الله تعالى فرد صمد ليس له نظير و إن تعددت صفاته فإنها حق و لكن ما لها مثل و لا نظير فمن ذا الذي عاينه و نعته لنا و من ذا الذي يستطيع أن ينعت لنا كيف سمع موسى كلامه و الله إنا لعاجزون كالون حائرون باهتون في حد الروح التي فينا و كيف تعرج كل ليلة إلى بارئها و كيف يرسلها و كيف تستقل بعد الموت و كيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله و كيف حياة النبيين الآن و كيف شاهد النبي أخاه موسى يصلي في قبره قائما ثم رآه في السماء السادسة و حاوره و أشار إليه بمراجعة رب العالمين و طلب التخفيف منه على أمته و كيف ناظر موسى أباه آدم و حجه آدم بالقدر السابق و بأن اللوم بعد التوبة و قبولها لا فائدة فيه و كذلك نعجز عن وصف هيئتنا في الجنة ووصف الحور العين فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة و ذواتهم و كيفيتها و أن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة مع رونقهم و حسنهم و صفاء جوهرهم النوراني فالله أعلى و أعظم و له المثل

الأعلى و الكمال المطلق و لا مثل له أصلا آمنا بالله و أشهد بأنا مسلمون آل عمران 25 انتهى كلامه بحروفه
قلت قوله من ذا الذي عاينه فنعته هذا لا معنى له فإن المؤمنين يرونه تعالى في الجنة عيانا بأبصارهم و لا يستطيع أحد منهم نعته تعالى لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و لا يحيطون به علما و كان حقه أن يقول من ذا الذي أحاط به علما فنعته و قوله الثاني أن ظاهرها الذي يتشكل في الخيال الخ قد قدمنا أن هذا التصور الفاسد هو الذي يعمل جهلة النفاة على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلا ما يقوم بالمخلوق و لم يتدبروا من هو الموصوف فأساءوا الظن بالوحي ثم قاسوا و شبهوا بعد أن فكروا و قدروا ثم نفوا و عطلوا فسحقا لأصحاب السعير
قد أفصح الوحي المبين من الكتاب و السنة و كذلك الصحف الأولى عنه غاية الإفصاح و شرحه الله تبارك و تعالى أكثر من شرح بقية الأحكام لعظم شأن متعلقه فالتمس اطلب الهدى المنير أي من الوحي المبين لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا منه و من خرج عن الوحي مثقال ذرة ضل و غوى و لا بد فإنا لا نعلم من علم الله سبحانه إلا ما علمنا هو فنصدق بما أخبر به عن نفسه و أخبرت به رسله عنه كما ننقاد و نسلم و نمتثل لما أمر و نجتنب ما نهى عنه و زجر بل إن تأويل الأمر و النهي أخف جرما من تأويل معاني الربوبية و الأسماء و الصفات و التكذيب بالبعث و النشور و الوعد و الوعيد دون التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء الحسنى و الصفات العلى و أخبرت عنه به رسله من ذلك مع أن جرم كل منهما عظيم أعاذنا الله و جميع المسلمين من الزيغ و الضلال آمنا بالله و أشهد بأنا مسلمون لا تتبع أقوال كل ما ورد ... غاو مضل ما رق معاند ... فليس بعد رد ذا التبيان ... مثقال ذرة من الإيمان ...
لا تتبع أيها العبد أقوال كل مارد على بدعته و زندقته و اتباع هواه غاو زائغ في دينه مفتون في عقيدته مضل لغيره مارق من الإسلام معاند

لنصوص الكتاب و السنة و ما دلت عليه مكذب بالكتاب و بما أرسل إليه به رسله فليس لله يبقى بعد رد ذا التبيان الذي جاء في الكتاب و السنة من الآيات المحكمة الصريحة و الأحاديث الثابتة الصحيحة مثقال ذرة من الإيمان في قلب من رد ذلك لأن الله تعالى هو الحق و قوله الحق و ماذا بعد الحق إلا الضلال يونس 23 و قال تعالى و ما نرسل المرسلين إلا مبشرين و منذرين و يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق و اتخذوا آياتي و ما أنذروا هزوا الأنعام 84 و قال تعالى ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد غافر 4 و قال تعالى إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا فصلت 04 و قال تعالى و يوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى

إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي و لم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون النمل 38 58 و هذه الآيات يدخل فيها كل مكذب بأي شيء من الكتاب فكيف إذا كذب بصفات منزل الكتاب بل جحد أن يكون الله تعالى تكلم بالكتاب ألا لعنة الله على الظالمين
فصل الملاحدة خمس طوائف في توحيد المعرفة و الإثبات
والملاحدة في توحيد المعرفة و الإثبات فرق كثيرة و أشياع متفرقة و لكن رؤوسهم خمس طوائف
الأولى سلبية محضا يثبتون إثباتا هو عين النفي و يصفون الباري تعالى بصفات العدم المحض الذي ليس هو بشيء البتة و ليس له عندهم حقيقة غير أنهم يقولون هو موجود لا داخل العالم و لا خارجا عنه و لا مباينا له و لا محايثا و ليس على العرش و لا غيره و لا يثبتون له ذاتا و لا إسما و لا صفة و لا فعلا بل ذلك عندهم هو عين الشرك و هذا هو الذي صرح به غلاة الجهمية و قد كان قدماؤهم يتحاشون عنه و يتسترون منه و كان السلف من أئمة الحديث يتفرسون

فيهم ذلك و أنهم يبطنونه و لا يبوحون به و قد قدمنا عن جماعة من السلف قولهم في الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد و يقول بعضهم إنهم يزعمون أن إلهك الذي بالسماء ليس بشيء و لكنه لم يصرح بذلك و يظهره إلا ابن سينا صاحب الإشارات تلميذ الفارابي وهو منسوب إلى أرسطو اليوناني وهو يرجع إلى مذهب الدهرية الطبائعية في المعنى وهو الذي نصره الملحد الكبير نصير الشرك الطواسي و أشباهه قبحهم الله تعالى
الطائفة الثانية الحلولية الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته و ينزهونه عن استوائه على عرشه و علوه على خلقه و لم يصونوه عن أقبح الأماكن و أقذرها و هؤلاء هم قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة الحديث كأحمد بن حنبل و غيره و لهذا قال جهم بن صفوان لما ناظره السمنية في ربه و حار في ذلك ففكر و قدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر فقال هو هذا الهواء الذي هو في كل مكان و كذلك كان يقول كثير من أتباعه و لم يكن و لا هم يريدون ذلك و إنما كانوا يتوسلون به إلى السلب المحض و التعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام رحمهم الله كلما أفصحوا به من نفي أسماء الباري و صفاته و كلامه و رؤيته في الدنيا و الآخرة و أفعاله و حكمته و غير ذلك كما تقدم حكايته عنهم قريبا و رد شبهاتهم الداحضة
الطائفة الثالثة الاتحادية و هم القائلون إن الوجود بأسره هو الحق و أن الكثرة وهم بل جميع الأضداد المتقابلة و الأشياء المتعارضة الكل شيء واحد هو معبودهم في زعمهم و هم طائفة ابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية و فصوص الحكم و غيرهما مما حرف فيه الكلم عن مواضعه و تلاعب فيه بمعاني الآيات و أتى بكفر لا يشبه كفر اليهود الذين قالوا عزير ابن الله و لا النصارى

الذين قالوا المسيح ابن الله و قالوا هو الله و قالوا ثالث ثلاثة فإن النصارى و أشباههم خصوا الحلول و الاتحاد بشخص معين و هؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه و تقابل أضداده مما لا يسوغ التلفظ بحكايته هو المعبود

فلم يكفر هذا الكفر أحد الناس و كان هذا المذهب الذي انتحله ابن عربي و نظمه ابن الفارض في تائيته نظم السلوك و أصل هذا المذهب الملعون انتحله ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية ولد سنة أربع عشرة و ستمائة و اشتغل بعلم الأوائل و الفلسفة فتولد له الإلحاد من ذلك و صنف فيه و كان يعرف السيمياء و يلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء و الأغنياء و يعلم أنه حال من أحوال القوم و له من المصنفات كتاب البدو و كتاب الهو و قد أقام بمكة و استحوذ على عقل صاحبها أبي أبي نمى و جاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجي فيه الوحي أن ينزل عليه كما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة و أنها فيض يفيض على العقل إذا صفا فما حصل له إلا الخزي في الدنيا و الآخرة إن كان مات على ذلك و كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار و أنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت فالله يحكم فيه و في أمثاله و قد نقلت عنه عظائم من الأقوال و الأفعال توفي يوم ثمانية و عشرين من شوال سنة تسع و ستين و ستمائة

الطائفة الرابعة نفاة القدر و هم فرقتان

فرقة نفت تقدير الخير و الشر بالكلية و جعلت العباد هم الخالقين لأفعالهم خيرها و شرها و لازم هذا القول أنهم هم الخالقون لأنفسهم لأن في قولهم نفي تصرف الله في عباده و إخراج أفعالهم عن خلقه و تقديره فيكون تكونهم من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليق هم بأنفسهم تطوروا و بطبيعتهم تخلقوا و هذا راجع إلى مذهب الطبائعية الدهرية الذين لم يثبتوا خالقا أصلا كما قدمنا مناظرة أبي حنيفة لبعضهم فأسلموا على يديه

و فرقة نفت تقدير الشر دون الخير فجعلوا الخير من الله و جعلوا الشر من العبد ثم منهم من ينفي تقدير الشر من أعمال العباد دون تقديره في المصائب

و منهم من غلا فنفى تقدير الشر من المصائب و المعايب و على كل حال فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقا بل جعلوا العباد معه خالقين كلهم و نفوا أن يكون الله هو المتفرد بالتصرف في ملكوته و هذا راجع إلى مذهب المجوس الثنوية الذين أثبتوا خالقين خلقا للخير وخالقا للشر قبحهم الله تعالى
الطائفة الخامسة الجبرية الذين يعتقدون أن العبد مجبور على أفعاله قسرا و لا فعل له أصلا بل إثبات الفعل للعبد هو عين الشرك عندهم بل هو كالهاوي من أعلى إلى أسفل و كالسعفة تحركها الريح لم يعمل باختياره طاعة و لا معصية و لم يكلفه الله وسعه بل حمله ما لا طاقة له به و لم يخلق فيه اختيارا لأفعاله و لا قدرة له عليها بل الطاعة و العصيان من الأقوال و الأعمال هي عندهم عين فعل الله عز وجل فرفعوا اللوم عن كل كافر و فاسق و عاص و أنه يعذبهم على نفس فعله لا على أعمالهم القبيحة ثم اعتقدوا أن المعاصي التي نهى الله عنها في كتبه و على ألسنة رسله إذا عملوها صارت طاعات لأنهم يقولون أطعنا مشيئة الله الكونية فينا بل لم يثبتوا الإرادة الشرعية البتة ومن يثبتها منهم يقول في الطاعات أطعنا الأرادة الشرعية و في المعاصي التي سماها الله معاصي أطعنا الإرادة الكونية و أما هم فلم يثبتوا معصية أصلا بل أفعالهم جميعها حسنها و قبيحها كلها عندهم طاعات على أصلهم هذا الفاسد و في ذلك رد منهم على الله تعالى أمره و نهيه ووعده ووعيده و فرضه على عباده جهاد الكفار و إقامة الحدود بل في إرساله الرسل و إنزاله الكتب فيجب عندهم تعطيل الشرائع بالكلية و الاحتجاج على نفيها بالقدر الكوني و محاربتها به و إثبات الحجة على الله لكل كافر و فاسق و عاص و هذا كفر لم يسبقهم إليه غير إمامهم إبليس اللعين إذ يحتج على الله تعالى بحجتهم هذه فقال فبما أغويتني و العجب أن هذا المذهب المخذول موروث عن جهم بن صفوان مع تناقضه في إثبات أفعال الله عز و جل فإنه لا يثبت لله تعالى فعلا يقوم بذاته أصلا بل أفعاله خارجة عنه قائمة بغيره من المخلوقات ثم ينقض ذلك بجعله أفعال العباد أفعال الله و هذا تناقض بين

لكل عاقل فإن الفعل إنما يضاف إلى من قام به و القول إلى من قاله و كذا السمع و البصر و القدرة و غيرها محال أن تضاف إلى غير من قامت به و محال أن يسمى فاعلا بدون فعل يقوم به و لو ذهبنا نعد تشعب الفرق من هذه الطوائف و لوازم كل قول مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد و قد أفرد ذلك بالتصنيف غير واحد من الأئمة و قد قدمنا البعض من ذلك و ذكرنا أمثلة من تحريفهم النصوص و سيأتي الكلام على الدهرية في الإيمان بالبعث و على نفاة القدر و الغلاة فيه في باب القدر و الكلام على الخوارج و المرجئة و المعتزلة و أشباههم في باب الإيمان و الدين و الكلام على الروافض و النواصب في باب ذكر الصحابة و هذه الطوائف التي خالفت في توحيد المعرفة و الإثبات مرجعها

إلى ثلاث فالحلولية و الإتحادية و السلبية و من في معناهم مرجعهم إلى الطبائعية الدهرية و القدرية النفاة بجميع فرقهم مرجعهم إلى المجوس الثنوية و الجبرية الغلاة مرجعهم إلى النزعة الجهمية الإبليسية و قد قدمنا قول المؤمنين أتباع الرسل مبسوطا بما فيه كفاية

فصل

و المخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج و ابن القيم في الصواعق و هذا نصه قال رحمه الله تعالى فصل اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى فذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه و نثره و حقه و باطله سحره و كفره و السب و الشتم و الهجر و الفحش و أضداده كله عين كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم ... و كل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره و نظامه ...

و هذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود فصفاته هي صفات الله و كلامه هو كلام الله و أصل هذا المذهب

إنكار مسألة المباينة و العلو فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة أحدهما أنه معدوم لا وجود له إذ لو كان موجودا لكان إما داخل العالم و إما خارجا عنه و هذا معلوم بالضرورة فإنه إذا كان قائما بنفسه فأما أن يكون مباينا للعالم أو محايثا له إما داخلا فيه و إما خارجا عنه الأمر الثاني أن يكون هو عين هذا العالم فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ أنه لا داخل العالم و لا خارجه و لا مباينا له و لا حالا فيه إذ هو عينه و الشيء لا يباين نفسه و لا يحايثها فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده و الحكم عليه بأنه معدوم ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه لا داخل العالم و لا خارجه و لا متصل به و لا منفصل عنه و لا مباين له و لا محايث و لا فوقه و لا عن يمينه و لا عن يساره و لا خلفه و لا أمامه فرارا إلى ما لا يسيغه عقل و لا تقبله فطرة و لا تأتي به شريعة و لا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما أحدهما أن يكون ساريا فيه حالا فيه فهو في كل مكان بذاته وهو قول جميع الجهمية الأقدمين الوجه الثاني أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج فيكون وجوده سبحانه وجودا عقليا إذ لو كان موجودا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره و لو كان غيره لكان إما بائنا عنه أو حالا فيه و كلاهما باطل فثبت أنه عين هذا العالم فله حينئذ كل اسم حسن و قبيح و كل صفة كمال و نقص و كل كلام حق و باطل نعوذ بالله من ذلك

المذهب الثاني مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو و هم الذين يحكي ابن سينا و الفارابي و الطوسي قولهم إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال

على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها فأوجب لها ذلك الفيض تصورات و تصديقات بحسب ما قبلته منه و لهذه النفوس عندهم ثلاث قوى قوة التصور و قوة التخيل و قوة التعبير فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عن غيرها و تدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها و تكلمها بكلام تسمعه الآذان و هو عندهم كلام الله و لا حقيقة له في الخارج و إنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية قالوا

و ربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها و تشكيل تلك الصورة العقلية لعين الرائي فيرى الملائكة و يسمع خطابهم و كل ذلك من الوهم و الخيال لا في الخارج فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب و ملائكته و رسله و أنبيائه و الأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل و دعت إليه وهو القائم بنفسه المباين لخلقه العالي فوق سمواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته و مشيئته العالم بجميع المعلومات القادر على كل شيء فهم أنكروا ذلك كله
المذهب الثالث مذهب الجهمية النفاة لصفات الرب تعالى القائلين إن كلامه مخلوق و من بعض مخلوقاته فلم يقم بذاته سبحانه فاتفقوا على هذا الأصل و اختلفوا في فروعه قال الأشعري في كتاب المقالات اختلفت المعتزلة في كلام الله تعالى هل هو جسم أو ليس بجسم و في خلقه على ستة أقاويل فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن كلام الله جسم و أنه مخلوق و أنه لا شيء إلا جسم و الفرقة الثانية زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة و أن كلام الخالق جسم و أن ذلك الجسم صوت منقطع مؤلف مسموع وهو فعل الله و خلقه و هذا قول أبي الهذيل و أصحابه و أحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه والفرقة الثالثة من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه تال فهو يوجد مع تلاوته و إذا كتبه وجد مع كتابته وغذا حفظه وجد مع حفظه وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والتلاوة و لا يجوز عليه الانتقال و الزوال و الفرقة الرابعة يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض و أنه مخلوق و أحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد و زعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله و زواله منه ووجوده في غيره و هذا قول جعفر بن حرب و أكثر البغداديين الفرقة الخامسة أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض و الأعراض عندهم قسمان

قسم منهما يفعله الأحياء و قسم منهما يفعله الأموات و محال أن يكون ما يفعله الأموات فعلا للأحياء و القرآن مفعول وهو عرض و محال أن يكون الله فعله في الحقيقة لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله و زعموا أن القران فعل للمحل الذي يسمع منه إذا سمع من الشجرة فهو فعل لها و حيث سمع فهو فعل المحل الذي حل فيه الفرقة السادسة يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق و أنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد و هذا قول الإسكافي و اختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى فقالت فرقة منهم يبقى بعد خلقه و قالت فرقة أخرى لا يبقى و إنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك و هذا المذهب هو من فروع ذلك الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله و رسله و لصريح المعقول و الفطر من جحد صفات الرب و تعطيل حقائق أسمائه و صفاته و نفي قيام الأفعال به فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصف و لا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن و لا بغيره و أن القرآن مخلوق و طرد ذلك إنكار ربوبيته و إلهيته فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه يعلم و يقرر و يريد و يسمع و يبصر فإذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر و النهي و لوازمهما و ذلك ينفي حقيقة الألهية فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالمين و لا إله فضلا عن أن يكون لا رب غيره و لا إله سواه
المذهب الرابع مذهب الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة و المشيئة و أنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة و العلم و أنه لا يسمع على الحقيقة و الحروف و الأصوات حكاية له دالة عليه و هي مخلوقة و هي أربعة معاني في نفسه الأمر و النهي و الخبر و الاستفهام فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع وذلك المعنى هو المتلو المقروء وهو غير مخلوق والأصوات والحروف هي تلاوة هي تلاوة العباد وهي مخلوقة وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن ان تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلا للحوادث فهي مخلوقة منفصلة عن الرب والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق

المذهب الخامس مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب تعالى لأنه ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الإستخبار الكل واحد وهو عين التوراة و عين الإنجيل و القرآن و الزبور و كونه أمرا و نهيا و خبرا و استخبارا صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له فإنه لا ينقسم بنوع و لا جزء و كونه قرآنا و توراة

و إنجيلا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا و إذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة و إن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا و المعنى واحد و هذه الألفاظ عبارة عنه و لا يسميها حكاية و هي خلق من المخلوقات و عنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي و لا سمع من الله و عنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة و يجوز أن يرى و يشم و يذاق و يلمس و يدرك بالحواس الخمس إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة الرائي و أنه يرى حقيقة و ليس مقابلا للرائي هذا قولهم في الرؤية و ذلك قولهم في الكلام و البلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم و أنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة و أنهم أهل الحق و من عداه أهل الباطل و جمهور العقلاء يقولون إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات و هذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال و الأمور الإختيارية بالرب تعالى و يسمونها مسألة حلول الحوادث و حقيقتها إنكار أفعاله و ربوبيته و إرادته و مشيئته

التنبيه إلى أن الأشعرية غير الأشعري

وأقول و الحق يقال لا نشك أن ابن القيم هذا و شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى من أعلم من صنف في المقالات و الملل و النحل و أدراهم بمواردها و مصادرها و أبصرهم برد الباطل منها و إدحاضه و أوفاهم تقريرا لمذهب السلف أهل السنة و الجماعة و أشدهم تمسكا به و نصرة له و أكملهم تحريرا لبراهينه عقلا و نقلا و أكثرهم اشتغالا بهذا الباب و تنقيبا عن عامل البدع فيه و اجتثاثا

لأصولها و لكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالى عن الأشعري في مسألة القرآن هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشعري و يسمون أنفسهم أهل الحق و يقرون ذلك و يكررونه في كتبهم و يناظرون عليه و أما أبو الحسن الأشعري نفسه رحمه الله تعالى فالذي قرره في كتابه الإبانة الذي هو من آخر ما صنف هو قول أهل الحديث ساقه بحروفه و جاء به برمته و احتج فيه ببراهينهم العقلية و النقلية ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كأحمد بن حنبل و مالك بن أنس و الشافعي و أصحابه و الحمادين و السفيانين و عبد العزيز بن الماجشون و الليث بن سعد و هشام و عيسى بن يونس و حفص بن غياث و سعد بن عامر و عبد الرحمن بن مهدي و أبي بكر بن عياش ووكيع و أبي عاصم النبيل و يعلى بن عبيد و محمد بن يوسف و بشر بن المفضل و عبد الله بن داود و سلام بن أبي مطيع و ابن المبارك و علي بن عاصم و أحمد بن يونس و أبي نعيم و قبيصة بن عقبة و سليمان بن داود و أبي عبيد القاسم بن سلام و غيرهم و لولا خوف الإطالة لسقنا فصول كاملة بحروفه فإنه و إن أخطأ في تأويل بعض الآيات و أجمل في بعض المواضع فكلامه يدل على أنه مخالف للمنتسبين إليه من

المتكلمين في مسألة القرآن كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء و النزول و الرؤية و الوجه و اليدين و الغضب و الرضا و غير ذلك و قد صرح في مقالاته بأنه قائل بما قال الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث معتقد ما هم عليه مثبت لما أثبتوه محرم ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن مواضعه و صرف اللفظ عن ظاهره و إخراجه عن حقيقته و بالجملة فبينه و بين المنتسبين إليه بون بعيد بل هو بريء منهم و هم منه برآء و الموعد الله و كفى بالله حسيبا وهو حسبنا و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله
قال ابن القيم رحمه الله تعالى المذهب السادس مذهب الكرامية وهو أنه متعلق بالمشيئة و القدرة قائم بذات الرب تعالى وهو حروف و أصوات مسموعة وهو حادث بعد أن لم يكن فهو عندهم متكلم بقدرته و مشيئته بعد أن لم يكن فاعلا كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام فهو لازم لهم في مسألة الفعل و الكرامية أقرب إلى الصواب منهم فإنهم أثبتوا كلاما و فعلا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل و جعلوا لها أولا فرارا من القول بحوادث لا أول

لها و منازعوهم أبطلوا حقيقة الكلام و الفعل و قالوا لم يقم به فعل و لا كلام البتة و أما من أثبت منهم معنى قائما بنفسه سبحانه فلو كان ما أثبته مفعولا لكان من جنس الإرادة و العلم لم يكن شيئا خارجا عنهما فهم لم يثبتوا لله كلاما و لا فعلا و أما الكرامية فإنهم جعلوه متكلما بعد أن لم يكن متكلما كما جعله خصومهم فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا
المذهب السابع مذهب السالمية و من وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة و أهل الحديث أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل و لا يزال لا يتعلق بقدرته و مشيئته و مع ذلك هو حروف و أصوات و سور و آيات سمعه جبريل منه و سمعه موسى بلا واسطة و يسمعه سبحانه من يشاء و إسماعه نوعان بواسطة و بلا واسطة و مع ذلك فحروفه و كلماته لا يسبق بعضها بعضا بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات و لا تعدم بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة و السمع و البصر و جمهور العقلاء قالوا إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه و البراهين العقلية و الأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها و أنها مخالفة لصريح العقل و النقل و العجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها ثم ذكر رحمه الله تعالى قول أتباع الرسل و أطال على ذلك ثم مسألة تكلم العباد بالقرآن و ساق فيه كثيرا من كلام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه و في كتاب خلق أفعال العباد لأنه من أحسن الأئمة توضيحا و تفصيلا في هذه المسألة لما جرى عليه من المحنة في شأنها ثم ذكر الكلام على حروف المعجم و ساق فيه أقوال الأئمة ثم ذكر اللفظية في أثناء ذلك و الواقفة ثم ذكر فصلا في الكتابة له في الرق و غيره ثم فصلا في السماع

ثم فصلا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في أول من أظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المئة الثالثة ابن كلاب و أنكر عليه ذلك أئمة الحديث كأحمد و البخاري و غيرهما و في غصون هذه الفصول أبحاث نفسية لا يستغنى عنها فلتراجع منه

ثم قال رحمه الله تعالى فصل منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته على قولين فقالت طائفة كلامه بغير مشيئته و اختياره ثم انقسم هؤلاء أربع فرق قالت فرقة هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا و أتباعه و ينسبونه إلى أرسطو و فرقة قالت بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم و هو قول الكلابية و من تبعهم و انقسم هؤلاء فرقتين فرقة قالت هو معان متعددة في أنفسها أمر و نهي و خبر و استخبار و معنى جامع لهذه الأربعة و فرقة قالت بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم و لا يتبعض و فرقة قالت كلامه هو هذه الحروف و الأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار بها متكلما و هذا قول المعتزلة وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الإعتزال فنسب إليهم و فرقة قالت يتكلم بقدرته و مشيئته كلاما قائما بذاته سبحانه كما يقوم به سائر أفعاله لكنه حادث النوع و عندهم أنه صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما كما قاله من لم نصفهم من المتكلمين أنه صار فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل و هذا قول الكرامية و فرقة قالت يتكلم بمشيئته و كلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه و باطله و صدقه و كذبه كما يقوله طوائف الاتحادية و قال أهل الحديث و السنة إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء و يتكلم بمشيئته و لم تتحدد له هذه الصفة بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة وهو بائن عن خلقه بذاته و صفاته و كلامه ليس متحدا بهم و لا حالا فيهم و اختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة فقال فرقة لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما تسمع حكايته و العبارة عنه وهذا قول الكلابية ومن تبعهم وقالت بقية الطوائف بل يسمع كلامه حقيقة ثم اختلفوا فقالت فرقة يسمعه كل أحد من الله تعالى وهذا قول الإتحادية وقالت فرقة بل لا يسمع إلا من غيره و عندهم أن موسى لم يسمع كلام الله منه فهذا قول الجهمية و المعتزلة و قال أهل السنة و الحديث يسمع

كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى و جبريل و غيرهما و كما يكلم عباده يوم القيامة و يكلم أهل الجنة و يكلم الأنبياء في الموقف و يسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغا عنه و كما سمع الصحابة القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ و كذلك نسمع نحن بواسطة التالي فإذا قيل المسموع مخلوق أو غير مخلوق قيل إن أردت المسموع عن الله تعالى فهو كلامه غير مخلوق و إن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل إن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق و إن سألت عن الكلام المؤدى بذلك الصوت فهو غير مخلوق و الذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق فرقة قالت يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه و هم المعتزلة و فرقة قالت يتكلم بصوت قديم لم يزل و لا يزال و هم السالمية و الاقترانية و فرقة قالت يتكلم بصوت حادث في ذاته بعد أن لم يكن و هم الكرامية و قال أهل السنة و الحديث لم يزل الله تعالى متكلما بصوت إذا شاء و الذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان أصحاب الفيض و القائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس انتهى ما أردنا إيراده من كلامه رحمه الله تعالى و قد أودع هذه الأقوال و غيرها في مسألة القرآن و غيرها في نونيته الشافية الكافية و أما مذهب أتباع الرسل فقد قدمنا فيه الشفاء الكافي من نصوص الكتاب و السنة و أقوال سلف الأمة بما لا يحتاج معه إلى غيره و بالله التوفيق